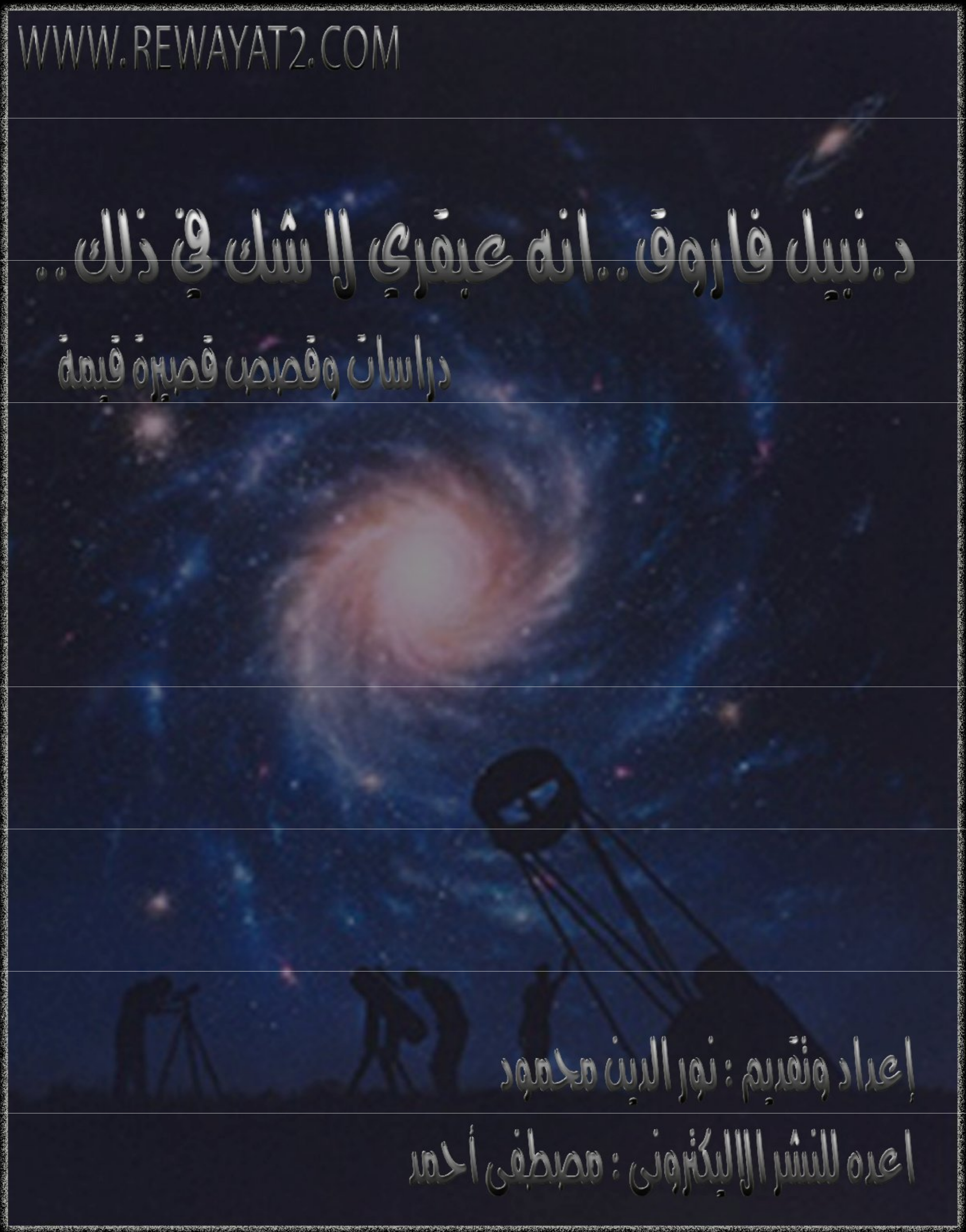


د.نبيل فاروق ..انه عبقري لا شك في ذلك ..

دراسات وقصص قصيرة قيمة

إعداد وتقديم : نور الدين محمود

اعده للنشر الاليكترونى : مصطفى أحمد

د / نبيل فاروق انه عبقرى لا شك فى ذلك

مجموعة مقالات ودراسات وقصص قصيرة قيّمة

كتاب من اعداد / ايهاب (نور الدين محمود)

تصميم الغلاف والاهداء وتنسيق الصفحات الداخلية والصياغة pdf من عمل

مصطفى أحمد (mostafa٠٩)

اخواني الاحباء اخواتي الكريمات اعضاء منتدانا الغالي روايات ٢...

اهدي اليكم مجموعة المقالات والدراسات العلمية والقصص القصيرة للمؤلف العظيم والعبقري بلا حدود الدكتور نبيل فاروق..

سيروق هذا الكتاب باذن الله تعالى الى كل متعطش للعلم والى كل متلهف لكل جديد ومفيد ومحب للخيال...

اتقدم بالشكر الخاص لكل من:

الاخ الكريم مصطفى احمد (mostafa۰۹) على المجهود الكبير والعظيم الذي بذله في تنسيق الكتاب واخراجه بابهى الصور..

ايضا للاخ الكريم وسام (رجل المستقبل) على مساعدتي في تجميع المقالات والدراسات والقصص القصيرة..

ايضا للدكتور محمد (رجل المستحيل) الذي بذل المستحيل ليضمن استمرارنا معا..

وكذلك اهدي هذا للاخ (الصقر الاعمى) على كل شيء..

واليك يا قارئ هذه الكلمات..اهديكم تحياتي القلبية..

خالص تقديري واحترامي:

ايهاب (نور الدين محمود)..

الفهرس

المقالات والدراسات

القصص القصيرة

الكتاب الأول

مقالات ودراسات

الدراسة الأولى

اللذين ذهبوا

الدراسة الأولى

الذين ذهبوا ..

"إنها (أطلانطس) .."

صرخ طيار مدنى بهذه العبارة ، وهو يقود طائرته فوق جزر (بهاما) عام ١٩٦٨ ، عندما شاهد مع زميله جزيرة صغيرة تبرز من المحيط بالقرب من جزيرة (بيمن) ، وأسرع يلتقط آلة التصوير الخاصة به ، ويملأ فيلمها بصور لذلك الجزء من القارة المفقودة ، التى ألهبت الخيال طويلاً .. قارة (أطلنطس) ..

ولكن لماذ تصور الطيار وزميله أن هذا الجزء ، الذى يحوى أطلالاً قديمة ، هو جزء من قارة الخيال والغموض ؟ ..

إن الجواب يعود إلى يونيو ١٩٤٠ ، عندما أعلن الوسيط الروحى الشهير (إدجار كايس) ، واحدة من أشهر نبوءاته ، عبر تاريخه الطويل ، إذ قال إنه ، ومن خلال وساطة روحية قوية ، يتوقع أن يبرز جزء من قارة (أطلنطس) الغارقة، بالقرب من جزر (بهاما) ، ما بين عام ١٩٦٨ م ، و ١٩٦٩ م .

ولقد اتهم العديدون (كايس) بالشعوذة والنصب ، عندما أعلن هذه النبوءة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد انتظر العالم ظهور (أطلنطس) بفارغ الصبر ..

وكان لظهور ذلك الجزء ، فى نفس الزمان والمكان ، اللذين حددهما (كايس) فى نبوءته ، وقع الصاعقة على الجميع .. مؤيدين ومعارضين ؛ إذ كان – فى رأى الجميع – الدليل الوحيد الملموس ، على وجود (أطلنطس) ..

هذا لأن قارة (أطلنطس) ظلت دائماً مجرد أسطورة ، يعجز أى عالم أو باحث أثرى ، مهما بلغت شهرته وخبرته ، عن إثبات أو نفى وجودها بصورة قاطعة جازمة ..

والحديث عن (أطلانطس) يعود إلى زمن قديم ، أقدم مما يمكن أن تتصور ، فلقد ورد ذكرها – ولأول مرة – فى محاورات (أفلاطون) ، حوالى عام ٣٣٥ق.م ففى محاورته الشهيرة ، المعروفة باسم (تيماوس) ، يحكى (كريتياس) أن الكهنة المصريين استقبلوا (صولون) فى معابدهم ، وهذه حقيقة تاريخية ، ثم يشير إلى أنهم أخبروا (صولون) عن قصة قديمة ، تحويها سجلاتهم ، تقول : إنه كانت هناك امبراطورية عظيمة تعرف باسم

(أطلانطس) ، تحتل قارة هائلة ، خلف أعمدة (هرقل) – مضيق جبل (طارق) حالياً – وإنها كانت أكبر من شمال (أفريقيا) و (آسيا) الصغرى مجتمعتين ، وخلفها سلسلة من الجزر ، تربط بينها وبين قارة ضخمة أخرى ..

وفى نفس المحاورة ، وصف (كريتياس) (أطلانطس) بأنها جنة الله (سبحانه وتعالى) فى الأرض ، ففيها تنمو كل النباتات والخضراوات والفواكه ، وتحيا كل الحيوانات والطيور ، وتتفجر فيها ينابيع المياه الحارة والباردة ، وكل شئ فيها نظيف جميل طاهر ، وشعبها من أرقى الشعوب وأعظمها ، له خبرات هندسية وعلمية تفوق – بعشرات المرات ما يمكن تخيله ، فى عصر (أفلاطون) ، إذ وصف (كريتياس) إقامتهم لشبكة من قنوات الرى ، والجسور ، وأرصفة الموانى التى ترسو عندها سفنهم وأساطيلهم التجارية الضخمة ..

ثم يحكى (كريتياس) عن الحرب بين الأثينيين والأطلانطيين، ويصف كارثة مروعة ، محقت الجيش الأثينى ، وأغرقت (أطلانطس) كلها فى المحيط ..

وإلى هنا تنتهى المحاورة ..

وتبدأ المشكلة ..

مشكلة (أطلانطس) ..

ففى البداية ، تعامل الباحثون مع محاورة (أفلاطون) ، بصفتها رواية مثالية، لوصف المدينة الفاضلة (يوتوبيا) ، وأنها مجرد خيال لا أكثر ..

ثم دس العلماء أنفهم فى الأمر ..

والسبب الذى جعل العلماء يفكرون فى قصة (أطلانطس) ، هو أن فكرة وجود قارة وسيطة ، تربط ما بين (أفريقيا) و (أمريكا) ، كانت تملأ الأذهان ، تثير اهتمام العلماء ، الذين يتساءلون عن سر وجود تشابه حضارى ما بين العالمين، القديم والجديد ، ويبحثون عن سبب علمى ومنطقى ، لوجود نفس النباتات والحيوانات فى قارتين تفصل بينهما مساحة مائية هائلة ..

وفى الوقت نفسه كانت هناك تلك الظواهر الحضارية المدهشة ، التى يجدها العلماء وسط أماكن لم تشتهر أبداً بالحضارة ، مع وجود أساطير متشابهة فى تلك الأماكن ، تشير إلى أن الآلهة جاءت من حضارة أخرى ، وضعت كل هذا ..

وجاء وجود (أطلانطس) ، ليضع تفسيراً لكل هذا الغموض ..

كان وجود قارة متقدمة فى هذا الزمن القديم يريح عقول الجميع ، ويفترض وجود شعب متطور ، بنى حضارته فى قلب الأرض ، ونشر أجزاء منها فى كل القارات ..

ولكن أين الدليل على وجود (أطلانطس) ذات يوم ؟ ..

إن قصة (أفلاطون) ما زالت تتأرجح ، ما بين الخيال ونصف الخيال والحقيقة، فعلى الرغم من أن محاورة (كريتياس) تشير إلى أن المصريين هم الذين أخبروا المشرع الأثينى (صولون) بقصة (أطلانطس) ، إلا أننا لا نجد ذكراً لهذه القصة عند المصريين أنفسهم ، وفى الوقت نفسه لا يوجد دليل واحد ، على أن (أثينا) كانت يوماً بهذه القوة التى تمكنها من التصدى لحضارة متطورة كحضارة (أطلانطس) ..

وفى نفس الوقت ، نجد من بين العلماء من يؤكد وجود (أطلانطس) ، ويشير إلى أن (أفلاطون) أخطأ التاريخ والزمن فحسب ، أو أنه كان يستخدم تقويماً يختلف عن التقويم ، الذى نستخدمه الآن ، وحجتهم فى هذا هى كشف حقيقة وجود مدينة (طرواده) ..

و (طرواده) هذه مدينة أسطورية ، ذكرها (هوميروس) فى ملحمتيه الشهرتين (الإلياذة) و (والأوديسا) ، حوالى عام ٨٥٠ ق.م ، أى قبل (أفلاطون) بخمسة قرون ، وظل الدارسون يعتقدون أن (طرواده) مجرد خيال ، من بنات أفكار (هوميروس) ، حتى جاء الألمانى (هنريش شوليمان) عام ١٨٧١ م ، لينتشل (طرواده) من التراب ، فى (هيسارليك) ، فى شمال غرب (تركيا) ..

وبعده جاء سير (آرثر إيفانز) ، ليؤكد أن (قصر التيه) ، الذى جاء ذكره فى أسطورة (المينوتوروس) حقيقة ، ويثبت وجوده بالفعل عام ١٩٠٠ م ..

فلماذا لا ينطبق هذا على (أطلانطس) ؟

ما دام (شوليمان) و (إيفانز) قد عثرا على أسطورتين ، فلماذا لا يعثر ثالث على أسطورة ثالثة ، ويثبت أن (أطلانطس) حقيقة واقعة ؟ ..

ومن هذا المنطلق بدأت عشرات المحاولات ، لإثبات وجود (أطلانطس) ، وراح العلماء يبحثون عن أماكن أخرى ، بخلاف المحيط الأطلسى ، يمكن أن تكون المهد الحقيقى للقارة المفقودة ، فأشار الفيلسوف البريطانى (فرانسيس بيكون) إلى أن (أطلانطس) هى نفسها قارة (أمريكا) ، وأكد البريطانى (فرانسيس ويلفورد) أن الجزر البريطانية هى جزء من قارة (أطلانطس) المفقودة ، فى حين اقترح البعض الآخر وجودها فى (السويد) ، أو المحيط الهندى ، أو حتى فى القطب الشمالى .. ثم جاءت نبوءة (إدجار كايس)، لتضع قاعدة جديدة للقضية كلها .. وبعد ظهور جزيرة (كايس) الصغيرة ، والمبانى ، أو الأطلال

الأثرية فوقها ، قرر باحث وأديب وغواص شهير ، يدعى (تشارلز بيرليتز) ، أن يبحث عن (أطلانطس) فى نفس الموقع ، وبدأ بحثه بالفعل ، ليلتقط عدداً من الصور لأطلال واضحة ، فى قاع المحيط ، ومكعبات صخرية ضخمة ، ذات زوايا قائمة ، مقدارها تسعين درجة بالضبط ، مما يلغى احتمال صنعها بوساطة الطبيعة وعوامل التعرية وحدها ..

ولم يكن هذا وحده ما تم العثور عليه ، فى تلك المنطقة من المحيط .. لقد عثر الباحثون ، بالقرب من سواحل (فنزويلا) ، على سور طوله أكثر من مائة وعشرين كيلو متراً ، فى أعماق المحيط ، وعثر السوفيت ، شمال (كوبا) على عشرة أفدنة من أطلال المبانى القديمة ، فى قاع المحيط ، وشاهدت ماسحة محيطات فرنسية درجات سلم منحوتة فى القاع ، بالقرب من (بورتريكو) ..

وعلى الرغم من هذا فالجدل ، حول حقيقة (أطلانطس) ما يزال قائماً ..

والنظريات أيضاً لم تنته ..

ومن بين هذه النظريات نظرية تقول : إن سكان (أطلانطس) قد أتوا من كوكب آخر ، فى سفينة فضائية ضخمة ، استقرت على سطح المحيط الأطلسى ، وأنهم انتشروا فى الأرض وصنعوا كل ما يثير دهشتنا فى كهوف (تسيلى) ب(ليبيا) ، وبطارية (بغداد) ، وحضارة (مصر) ، وأنهم كانوا عمالقة زرق البشرة، (وهناك إشارة إلى هذا فى بعض الروايات بالفعل) ، ثم شن الأثينيون حرباً عليهم، فنسفوا الجيش الأثينى بقنبلة ذرية ، أو ما يشبه هذا ، وبعدها رحلوا ، وتركوا خلفهم كل هذه الآثار ..

من أصحاب الدم الأزرق ، أو الدم النبيل ..

حتى اللون الأزرق ، أطلقوا عليه اسم (اللون الملكى) ..

وهناك نظرية أخرى ، تربط ما بين (أطلانطس) وجزيرة (كريت) ، حضارة (أطلانطس) ، كما أشار البروفيسير (ك.ت.فروست) عام ١٩٠٩ م فى (لندن) ، حيث قال : إن كل شئ فى (كريت) يتشابه مع ما ذكره (أفلاطون) عن (أطلانطس) فكل من الحضارتين نشأت فى جزيرة ، وكلتاهما لقيت نهاية مفاجئة، كما أنه هناك مراسم صيد الثيران ، والميناء العظيم ، والحمامات الضخمة ، والملاعب الرياضية، وكل الأشياء الأخرى التى عثر عليها سير (إيفانز) فى (كريت) ، والتى ذكرها (أفلاطون) فى محاورة (كريتياس) ..

ويؤيد البروفيسير (ج.ف.لوتش) هذا ، فى كتابه (نهاية أطلانطس) ، ويؤكد أن اختفاء (أطلانطس) معنى مجازى ، وليس حقيقياً ، وأنها لم تغرق فى قاع المحيط ، وإنما تعرضت لكارثة أودت بها ، مثل كارثة بركان (ثيرا) ، وبركان (كراكاتوا) عندما ثار البركان ، ودمر جزيرة كاملة ..

وهناك احتمال يقول إن قصة (أفلاطون) هي تحوير للقصة الفعلية ، التي سمعها (صولون) في (مصر) ، بعد أن تناقلتها الألسن والذاكرة لقرون كاملة ، قد تتغير خلالها رواية الأحداث ، وأسماء الأشخاص والأماكن ..

واسم (أطلانطس) نفسها ..

وكالعادة ، تفتقر كل هذه النظريات إلى الدليل ..

الدليل العلمي القوي ..

وحتى لحظة كتابة هذه السطور ، ما زال عشرات العلماء يبحثون عن قارة (أطلانطس) ، التي أصبحت قارة الغموض والخيال في عقول العلماء والأدباء ..

عشرات النظريات تحدثت عنها ..

مئات المقالات والكتب كتبت أسمها ..

أعداد لا حصر لها من الروايات الخيالية ، تفترض وجودها والعثور عليها ، وينسج الخيال مغامرات مثيرة داخلها ، عن حضارتها وتقدمها .. وعن شعبها الغامض ..

أولئك الذين أقاموا أكثر حضارات التاريخ غموضاً وإثارة ..

الذين تزعموا العالم يوماً ..

والذين ذهبوا ..

وبلا عودة ..

الدراسة الثانية

من وراء النجوم

الدراسة الثانية

من وراء النجوم ..

من وراء النجوم

هل هناك مخلوقات عاقلة على كواكب أخرى ؟! ..

من المؤكد أنها ليست أول مرة ، تلقى فيها على نفسك هذا السؤال ، بعد كل رواية تقرؤها من روايات الخيال العلمى، وكل خبر تطالعه حول الأطباق الطائرة وظواهرها العجيبة ..

ومن المؤكد أيضاً أنك لم تجد قط جواباً علمياً شافياً لسؤالك ..

إنك تقرأ كثيراً عن مخلوقات العوالم الأخرى ، وترسم فى ذهنك عشرات الصور والتخيلات لهيئتهم ، وللاختلافات بينهم وبين البشر ، وتشاهد بعض الأفلام الخيالية العلمية ، التى ترسم لهم بعض الصور المخيفة ، أو التركيبات العجيبة ، مثل (إى . تى) ، أو تضع على رءوسهم هوائيات مضحكة ، أو تمنحهم بشرة خضراء وزرقاء وبنفسجية ..

ولكنك أبداً لا تقتنع ..

الصورة لا تريح خيالك ، أو تملأ فراغ ذهنك قط ..

ثم إن الفكرة نفسها ما زالت تحمل فى أعماقها بذرة شك ..

بل هى حديقة كاملة من الشك ، تنبت فيها زهرة واحدة من اليقين ..

واليقين هنا لا يأتى من رؤيتك لمخلوقات من كواكب أخرى ..

ولا من القصص التى تقرؤها عنهم ..

إنه يأتى من ثقتك بالله (سبحانه وتعالى) ، الذى خلق المئات من أشكال الحياة، على كوكب الأرض ، وعلى اليابسة ، وفى أعماق البحار ، وحتى فى قلب البراكين، وأنه (عز وجل) قادر على خلق الملايين والملايين من أشكال الحياة الأخرى ، فى غياهب الفضاء ، وفيما وراء النجوم ..

ولكنك – على الرغم من كل هذا – لا تملك دليلاً علمياً واحداً ، على وجود مخلوقات فى كواكب أخرى .

بل إن العلم كله ، بما توصل إليه من تكنولوجيا الرصد ومراقبة النجوم ، وبما يحمله من نظريات ، حول منشأ الأرض والكواكب ، ومولد المجموعات الشمسية والنجوم ، لا يملك بعد دليلاً مادياً واحداً ، على وجود أية كواكب ، فى أية منظومة شمسية أخرى ..

هذا ما تؤكده كل الكتب والمراجع العلمية ، ويجزم به كل المهتمين والمشتغلين بالفلك ، وكل علماء الفضاء والنجوم..

فيما عدا البروفيسير (جان بيير بوتى) ...

وقبل أن نتطرق إلى ما قاله ذلك العالم الجليل ، دعونا نتعرفه أولاً ..

والبروفيسير (جان بيير) هذا يعمل أستاذاً ومدير أبحاث ، فى المركز القومى للأبحاث العلمية فى (فرنسا) ، وهو فيزيائى شهير ، وأخصائى فى علم الكون والفلك وميكانيكا السوائل ، ورجل عُرف بالجدية والاتزان ، وبالاهتمام الشديد بكل الظواهر العلمية والميتافيزيقية ، وبحسن التحليل والاستنباط ، استناداً إلى مبادئ العلم والمنطق وقوانين الفزياء المثبتة علمياً ..

باختصار ، إنه رجل فوق مستوى الشبهات ، من الناحية العلمية ..

وهذا الرجل هو أكثر من يؤمن – على وجه الأرض – بوجود مخلوقات فى الكواكب الأخرى ..

ليس هذا فحسب ولكنه يؤمن أيضاً بأن هذه المخلوقات تعيش هنا بيننا ..

على كوكبنا (الأرض) ..

وقبل أن تتسرع بالرفض ، أو باستنكار القول ، أو نفى الفكرة تعال نستعرض معاً ما كتبه البروفيسير (جان بيير) ، حول هذا الأمر ..

لقد وجه (جان بيير) صدمة للعالم كله ، وللأوساط العلمية بالذات ، عندما أعلن أنه على اتصال بمخلوقات من كوكب آخر ، منذ ما يقرب من نصف القرن، وأنهم يرسلون إليه رسائلهم بانتظام ، وهذه الرسائل ليست مجرد حديث أو شرح لوجودهم، وإنما تحوى فى بعض الأحيان معادلات فيزيائية مدهشة ، وحلول علمية مذهلة لمشكلات حار فيها أعظم علماء العالم طويلاً ..

ليس هذا فحسب ، وإنما يؤكد البروفيسير (جان بيير) أيضاً أنه ليس الوحيد فى هذا العالم الذى يتلقى رسائل مخلوقات الكواكب الأخرى هؤلاء ، ولكنه واحد من مجموعة كبيرة من العلماء والمفكرين الذين تصلهم هذه الرسائل ، والذين ينبهرون فى المعتاد بكل ما جاء فيها من معلومات وأخبار وحلول ..

وقبل أن يفيق من صدمته راح (جان بيير) يقص ما يعرفه عن زوار الفضاء هؤلاء من واقع رسائلهم التى تعامل معها لربع قرن من الزمان ..

فهؤلاء الزوار ينتمون إلى كوكب يحمل اسم (يومو) (UMMO) ، يبعد عنا بخمس سنوات ضوئية تقريباً (*) ، وجاذبيته تزيد قليلاً عن جاذبية كوكب (الأرض) حتى أن سكانه يشعرون على سطح (الأرض) بأنهم أخف وزناً بمقدار ٢٠ ٪ وكتلة الكوكب تزيد مرة ونصف على كتلة (الأرض) وطول يومه ٣٢ ساعة ، بدلاً من ٢٤ ساعة ، وتمر به فصول أربعة تماماً مثل الفصول المناخية عندنا ، ولكن ليس له أية أقمار ، لذا فليله حالك الظلمة ، ثم إنه لم يمر بمرحلة انشقاق القارات، ولهذا فليس فيه سوى قارة واحدة ، وجنس واحد من الشُقر الطوال القامة ، يتحدثون لغة واحدة ، مما خفض احتمالات نشوب الحروب إلى الحد الأدنى ، وساعد على سرعة التقدم العلمى ، والتطور التكنولوجى ..وهذا لا يعنى أن كوكب (يومو) هو جنة الله (سبحانه وتعالى) فى الكون ، أو أنه كتلة من الخير الصافى ، فتاريخه يشير إلى أنه ذات يوم ، كانت تحكمه إمرأة مستبدة وضعت نفسها فى مصاف الآلهة ، وحكمت القارة الوحيدة هناك بالحديد والنار ، بوساطة جهاز شركة قوى ، ولكن إحدى خادماتها نسفتها ذات يوم ، فاشتعلت ثورة عنيفة ، كان من نتيجتها أن استولى الشعب على الحكم ، وتم انتخاب مجلس خاص لإدارة الكوكب ، طبقاً لنظام محكم ، يضمن عدم تكرار الموقف ثانية..

(*)السنة الضوئية : هى المسافة التى يقطعها الضوء فى سنة ، وهى تساوى حوالى ستة ملايين من الأميال .

وأصبح على سكان (يومو) أن يطورا أنفسهم ، ويسعوا للتفوق والتقدم ..

وذلك يوم التقطت أجهزتهم رسالة ، أو إشارة منظمة ، آتية من أحد الكواكب، في الكون الشاسع ..

والعجيب أن هذا الكوكب كان كوكبنا (الأرض) !! ..

ولأن كوكبنا كان يبدو لهم أشبه بالمربع (طبقاً لرسائلهم) مع لون أزرق باهت، فقد أطلقوا عليه فى لغتهم اسم (أوياجا) (OYAGAA) ، حيث أن كلمة (OYA) تعنى (المربع) ، و (GAA) تعنى (البارد) ... أى أن كوكبنا كان معروفاً عندهم باسم (المربع البارد) ..

وضمن برنامج رحلاتهم الفضائية انطلق رواد الفضاء من (يومو) ؛ لزيارة كوكب (الأرض) ، الذى هبطوا فوقه فى الثامن والعشرين من مارس عام ١٩٥٠ م .

ولقد حدد زوار (يومو) فى إحدى رسائلهم موقع هبوطهم بالتحديد ، ووصفوا كل ما رأوه من هذه النقطة ، وقالوا إنهم أخفوا بعض معداتهم فى مغارة جبلية ، نجحوا فى إخفائها بمهارة ، وتركوا ستة منهم لدراسة اللغة والعادات المحلية ، ثم رحلوا لإبلاغ كوكبهم بنتائج زيارتهم الأولى ..

ولم يترك المهتمون بالأمر هذه المعلومة تمر ببساطة ، بل كونوا فرقة بحث، وانطلقوا إلى النقطة التى حددها زوار (يومو) ، وكانت فى انتظارهم مفاجأة مذهلة..

لقد حاولوا رؤية كل ما جاء بالرسالة ، من الإحداثيات التى حددتها الرسالة ، ولكن ذلك بدا مستحيلاً ، إلا إذا ..

إلا إذا ارتفعت مائة وعشرين متراً عن سطح الأرض ..

من ذلك الارتفاع وحده ، ويمكنك رؤية كل الإحداثيات فى وضوح ..

ليس هذا فحسب ، وإنما عثر الباحثون هناك على أحجار حمراء اللون ، لا تشبه أية عينات جيولوجية (*)

(*)الجيولوجيا : علم الأرض ، ويشمل دراسة أصل الأرض ، وتاريخ تطورها ، وبنيانها، والأحداث التى مرّت بها ، وطبيعتها الكيميائية والفيزيقية ، ودراسة سكانها ، وتطور الحياة فيها ، منذ أول تسجيل لنشوئها ، وحتى العصر الحديث .

معروفة ، على وجه الأرض .. ورسائل (يومو) نفسها مطبوعة على ورق خاص ، من العسير صنع مثله ، إلا باستخدام تكنولوجيا متطورة للغاية ، والختم الذى تحمله تصدر عنه إشعاعات ذرية محدودة ، كما لو أنه مطبوع بمادة مشعة من أحد النظائر ، التى لم يتم الحصول عليها بعد ، فى معامل الكيمياء العادية ، حتى أن (جان بيير) يقول عن هذا :

– كل الدلائل تشير إلى أنه إما أن أصحاب الرسائل هم مجموعة من أكبر علماء الفيزياء ، وأكثرهم عبقرية ، تعاونهم مختبرات تكنولوجية رائعة ، ويسعون لصنع أكبر دعابة فى التاريخ ، وإما أنهم بالفعل من سكان كوكب (يومو) هذا .

والواقع أن (جان بيير) لم يطلق هذا القول من فراغ ، فبحكم كونه عالماً فيزيائياً كان من الطبيعى أن ينبهر بما جاء فى رسائل زوّار (يومو) ، فيما يختص بالحلول الفيزيائية للمشاكل العويصة ..

وخصوصاً حل مشكلة الرنين ..

وهذه المشكلة أقلقت علماء الفيزياء طويلاً ، وهم يحاولون تفسير السرعات الخارقة للأطباق الطائرة ، التى سجلها الطيارون ، الذين حاولوا مطاردتها يوماً، أو وهم يبحثون عن وسيلة لإطلاق مركبات الفضاء الأرضية بسرعات كبيرة دون أن تؤدى هذه السرعات إلى الوصول لنقطة منتهى الرنين ، التى يمكن أن ينهار عندهم جسم المركبة الفضائية تماماً ..

وبينما انهمك أكبر علماء العالم فى دراسة هذه المشكلة ، وعجزوا عن الوصول إلى حل علمى منطقى لها ، وصلتهم فجأة رسالة من زوّار (يومو) ، تمنحهم هذا الحل على طبق من فضة ..

والحل هنا يعتمد على وجود شبكة من الأنابيب ، حول جسم المركبة الفضائية تحوى مادة يمكن تحويلها بسرعة ، من الحالة السائلة إلى الحالة شبه الصلبة (الجيلاتينية) ، وهذه الشبكة تتصل بكمبيوتر خاص ، يقيس درجة الرنين ، التى وصلت إليها جدران المركبة الفضائية ، وعندما تصل إلى درجة قريبة من المستوى الحرج ، يعمل الكمبيوتر على تحويل تلك المادة من الحالة السائلة إلى الحالة الجيلاتينية ، أو العكس بالعكس ..

وهذا يغير مستوى الرنين ، وينهى المشكلة على الفور ..

وكانت الرسالة مذهلة ، بالنسبة للعلماء الكبار ، لما تحمله من حل مباشر وصحيح وبسيط لمشكلة أرهقتهم طويلاً ..

و (جان بيير) يعتبر أن مثل هذه الرسائل هى أكبر دليل على صحة وجود زوّار (يومو) ورسائلهم ، وإلا فكيف تتوصل مجموعة عابثة إلى ما عجز عنه أكبر علماء العالم ؟

بل كيف عرفت تلك المجموعة أن هذه المشكلة تؤرق العلماء ؟..

وحتى لا تُثار الشكوك حول رواية (جان بيير) هذه ، قام العالم الفرنسى الجاد بإضافة ملحق علمى خاص لكتابه ، يضم صوراً لهذه الوثائق ، مع تحليل علمى دقيقى مفصل مطول ، يكفى لإقناع العلميين ، وإزالة كل شكوكهم ..

وفى هذا الملحق ، أجاب (جان بيير) على أكبر نقطة اعتراض وتشكيك فى قصة زوّار (يومو) كلها ..

نقطة الزمن ..

فمن الطبيعى أن تعلو الأصوات معترضة على سرعة وصول سكان (يومو) إلى كوكبنا ، وعلى رحلتهم القصيرة نسبياً ، والتى تستغرق عامين قياساً بالمسافة التى تفصلنا عنهم ، والتى تبلغ خمس سنوات ضوئية كاملة ..

ولكن رسائل (يومو) نفسها تحمل الجواب ..

لقد تحدثوا فى رسائلهم عن نظرية ، أطلقوا عليها اسم (توءمية الكون) ، هذه النظرية تشبه إلى حد ما نظرية المادة المضادة ، التى وضعها البريطانى (بول دريك) عام ١٩٢٨ م ، بعد أن صهر عدة معادلات سابقة لنظريتى (الكم) للعالم (ماكس بلانك) ، و (النسبية) لـ (ألبرت أينشتين) ، وتوصل إلى وجود مادة معكوسة تكون نواة الذرة فيها سالبة ، وإليكتروناتها موجبة ..

ونظرية (يومو) تقول : إنه لا يوجد كون واحد ، وإنما هناك كونان توءمان ، تربطهما ببعضهما تلك المناطق ، التى نطلق عليها اسم الثقوب السوداء ، وبالمرور عبر هذه الثقوب السوداء من خلال شبكة اتصالات خاصة تمت دراستها منذ قرون عديدة تستطيع سفن (يومو) الفضائية اختصار الزمان والمكان وعبور ملايين الوحدات الفضائية فى أيام معدودات ..

ومن الطبيعى أن تواجه هذه النظرية هجوماً عنيفاً ..

ولكن هذا لا يعنى أنها نظرية خاطئة ، بل يعنى فقط أنها نظرية ساحقة ، تسحق صحتها كل النظريات التى جاءت قبلها ..

والناس أعداء ما يجهلون ..

حتى ولو كانوا من العلماء ...

وبعض هؤلاء العلماء يتساءلون فى سخرية ولماذا لم يعلن سكان (يومو) المزعومون هؤلاء عن وجودهم على نحو صريح ، بدلاً من هذه الرسائل العجيبة الملتوية ؟ ..

وحتى هذا السؤال ، تجد إجابته فى رسائل (يومو) ..

إنهم يقولون : إن الوقت لم يحن بعد للتصريح بوجودهم ، ولكنهم ما زالوا يحتفظون بأوّل مخبأ سرى صنعوه فى قلب الغابات الفرنسية ليكون بكل ما يحويه من معدات تكنولوجية ، وإمكانات مبهرة شاهداً على صحة قصتهم ، عندما تحين اللحظة المناسبة ، ويبدءون فى الاتصال برؤساء وملوك الدول ، للإعلان عن وجودهم ..

وزوّار (يومو) لهم شعار عجيب يحملونه على أزيائهم الفضائية ، وهو عبارة عن رسم لثعبان مجنح ، أثار انتباه (جان بيير) وحيرته طويلاً ، ولكنهم لم يفصحوا عن مغزاه قط ..

وسكان (يومو) هؤلاء يمكنهم التجول بحرية وسط البشر دون أن يثير وجودهم إلا أدنى انتباه ، فتكوينهم الخارجى بشرى للغاية ، باستثناء أنهم أطول قامة فى المتوسط ، وأنهم شاحبو الوجه كثيراً ، ولكن هذا لا يمنعهم من الذوبان وسط طوفان البشر ، وخصوصاً فى المدن المزدحمة ، مثل (نيويورك) و (روما) .. وحتى (القاهرة) ..

ولكن أغرب ما أشار إليه زوّار (يومو) فى رسائلهم ، هو أنهم أبناء عمومتنا ..

أو بمعنى أدق أن أبحاثهم أثبتت أننا وهم من أصل واحد ..

ولكنهم أبداً لم يفسروا ما يعنيه هذا ..

هل كان أجدادهم أرضيين ، من حضارة سابقة ، ثم هاجروا إلى ذلك الكوكب البعيد ، أم أننا وهم أتينا من كوكب آخر ، ولكن بعضنا اتجه نحو (الأرض) ، والبعض الآخر نحو كوكب (يومو) ؟..

لست اعتقد أننا سنجد الجواب فى سهولة ..

والأمر كله عسير التصديق ، ويثير ألف علامة شك ويفجّر فى النفس كل أسباب الحذر ..

وأنا واثق بأن العديدين منكم استنكروه ، وسخروا منه ..

بل ورفضه البعض تماماً ..

وربما اتهمنى بالخبل والكذب ، وبأننى أسعى إلى غش القارئ ، واستثارته بدجل ساذج ، حتى أضمن نسبة أكبر من المبيعات ..

ولكن هذا لا يقلقنى ..

(جان بيير بوتى) واجه الموقف نفسه ، عندما نشر كتابه هذا عن سكان الكوكب (يومو) ..

ولكن العالم الفرنسى تحدّى الحكومة الفرنسية ، فى نهاية كتابه ، بكل مؤسساتها العلمية ، وهيئاتها الرسمية ، أن تنكر ما جاء فى كتابه ..

تحدّاها أن تنكر أن مسئوليها تلقوا أيضاً عشرات الرسائل من زوّار (يومو) ، وأن الهيئات العلمية تدرس الأمر بمنتهى الجدية ، بل وتحاول إجراء اتصال رسمى مباشر مع هؤلاء الزوّار ..

وجدير بالذكر أن أحداً فى الحكومة الفرنسية لم يستنكر هذا التحدى أو يرفضه ..

وأحداً أيضاً لم يقبله ..

فهل يثير هذا فى نفسك أية تساؤلات ؟..

وهل تعلم أن (جان بيير بوتى) ليس أوّل من يشير إلى وجود سكان من الفضاء الخارجى ، على كوكب الأرض ؟..

لقد سبقه إلى هذا الكاتب الشهير (تشارلز بيرلتز) عندما قام بتحقيق واسع النطاق حول ما أطلق عليه اسم (حادث روزويل) ..

و (روزويل) هذه قرية صغيرة فى ولاية (نيومكسيكو) الأمريكية ، استيقظ سكانها ذات ليلة من ليالى يولو عام ١٩٤٧ م ، على دوى هائل ، ونيران ترتفع فى الأُفق وانطلق مأمور القرية فى الشوارع يصرخ :

– الغزاة هبطوا من الفضاء .. الغزاة هبطوا من الفضاء ..

وقبل أن يندفع أهل القرية إلى منطقة الحقول الشمالية ، حيث سقط جسم غريب، بدت قبته الخضراء الضخمة واضحة على الرغم من تحطم قاعدتها ، كان الجيش يحيط بالمكان كله ، ويصدر أمراً بمنع التجوال ، ثم تنفيذه بمنتهى السرعة والصرامة على الرغم من اعتراض الأهالى واستنكارهم ..

وخلال ساعة واحدة رأى السكان من نوافذهم عدة قوافل تملأ المكان الذى اكتظ بمئات الغرباء ، وأحيط بنطاق أمنى عنيف ، جعل قائد فرقة الجيش يهدد بإطلاق النار دون إنذار ، على كل من يحاول مغادرة منزله ، قبل انتهاء فترة حظر التجوال..

وكان من الواضح أن الأمر بالغ الأهمية والخطورة ..

ولكن مع طلوع النهار ، وبعد حركة لا تنقطع من عشرات فى سيارات الجيش والنقل والأوناش الضخمة انتهت فترة حظر التجوال العامة ، وانصرف رتل من السيارات وهو يحمل أشياء ضخمة ، أُخفيت فى عناية بالغة ، تحت خيام كبيرة محكمة الإغلاق ، واقتصر الحظر على منطقة السقوط وحدها التى امتلأت بالباحثين والمنقبين لفترة طويلة ..

وعندما تتبع (تشارلز بيرلتز) هذا الأمر ، توصل إلى أن ذلك الشئ الذى سقط على (روزويل) فى تلك الليلة من يوليو ١٩٤٧ م ، كان أحد الأطباق الطائرة ، التى حوت جثث بعض المخلوقات من الفضاء الخارجى ، وأن أحد هذه المخلوقات لم يلق مصرعه مع السقوط فاحتفظت به المخابرات المركزية فى معامل أبحاث

الفضاء لتقوم بدراسته ، ولكنه مات بعد أسبوع واحد متأثراً بإصابته التى لم ينجح الطب الأرضى – آنذاك – فى علاجها ..

وعندما نشر (بيرليتز) كتابه هذا ، أُصيب المجتمع الأمريكى بصدمة بالغة ، وثار بعض صحفييه ومفكريه ، وطالبوا الحكومة بكشف كل الحقائق المتعلقة بهذا الحادث ، إلا أن الحكومة الأمريكية التزمت الصمت التام ، دون أن تكذب الموقف أو تنفيه ، أو تعترف به ..

واستفز هذا الموقف أحد أعضاء جمعيات المراقبة الفضائية ، فقرر أن يقاضى وكالة المخابرات الأمريكية ، لإخفائها الحقائق عن الشعب ، وعندما انعقدت المحاكمة فى يناير ١٩٧٢ م طلبت المخابرات الأمريكية أن تكون الجلسة سرية ؛ لأمور تتعلق بالأمن العام ، وبعد سبع جلسات مغلقة ، أصدرت المحكمة حكمها بإدانة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، ولكنها أسفت لعدم استطاعتها إصدار حكم بكشف كل تفاصيل الحادث ؛ لأن هذا يتعارض مع الأمن الأمريكى كله ..

واعتبر العامة هذا الحكم اعترافاً من الحكومة وجهاز المخابرات ، بكل ما جاء فى كتاب (تشالز بيرلتز) ..

ولكن هذا لم يحسم الأمر ..

وفى صيف ١٩٩٤ م نشرت مجلة (أومنى) العلمية ، وهى إحدى المجلات القليلة الجادة فى هذا المجال مقالاً مختصراً ، يذكر الناس بحادثة (روزويل) وطلبت منهم أن يتقدموا بطلب للحكومة لنشر تفاصيل الحادثة ، بعد مرور أكثر من خمسة وأربعين عاماً على وقوعها ..

وحتى ديسمبر ١٩٩٤ م وصل عدد المطالبين إلى أكثر من أربعة عشر مليوناً من الأمريكيين ، ولكن الحكومة ما زالت ترى أن الأمر يحتاج إلى أن يظل حبيس الأدراج ، وهو يحمل تلك العبارة المستفزة ..

عبارة (سرى للغاية) ..

ويبدو أن هذه العبارة ومثيلاتها ستظل دائماً حاجزاً تتحطم عليه كتابات (جان بيير) ، و (بيرليتز) وغيرهم ، حتى تحين اللحظة المناسبة التى تسقط فيها كل الحواجز ، ويعلن أحد سكان الكواكب الأخرى عن وجوده ..

وصيغة الجمع هنا مقصودة ؟ فمن الواضح أن سكان (يومو) ، الذين يتحدث عنهم (جان بيير) يختلفون عن هؤلاء الذين سقط بهم الطبق الطائر فى (روزويل) فالآخرون وصفهم (بيرليتز) بأنهم قصار القامة ، وكبار الرءوس ، ثم أن الحادثة وقعت عام ١٩٧٤ م ، قبل وصول أوّل رحلة من رحلات زوار (يومو) إلى الأرض..

إذن فلم تعد أرضنا كوكباً يقتصر علينا ..

لقد صارت محطة فضائية يتجه إليها سكان كواكب مختلفة لأنها تجذب انتباههم ..

أو لأنها تناسب معيشتهم ..

وأياً كان الجواب ، فمن المؤكد أننا هدف لدراسات تبدأ وتأتى دائماً من هناك ..

من وراء النجوم ..

***

الدراسة الثالثة

تجربة فلاديلفيا

الدراسة الثالثة

تجربة فيلادلفيا

انها التجربة التي تم فيها اخفاء مدمرة أمريكية عن الانظار بفعل عدة مجالات غريبة و أصيب طاقمها بالجنون

يبدأ بحثنا بالصحفي (جون كارنبتر) ، الصحفي في جريدة محلية صغيرة في بوسطن عندما التقي بالمصادفة بالبحار (فيليب دوران) في مقهي ..

وعندها أخبره فيليب بتلك الحادثة .. ولكن نظرا لأن فيليب كان مجنونا .. فلم يعره جون اي اهتمام ..

لولا أن صاحب المقهي أخبره بأن فيليب هذا كان يعمل بالبحرية الأمريكية قبل أن يجن وخرج منها عام ١٩٤٤ بسبب جنون صنعه الخوف ، وأنه قضي بعض الوقت في مصحات نفسيه ..

ولكن الذي جذب جون حقا هو أنه عندما سأل صاحب المقهي عن مكان عمل فيليب .. أخبره صاحب المقهي أنه كان يعمل في فلادليفا فأسرع جون يجري وراء فيليب الذي كان قد غادر المقهي وهو يطلب منه أن يقص علي مسامعه ما يعرفه عن هذي الحادثة ......

اينشتين !!منذ وضع نظريته النسبية عام ١٩٠٥ ، سجل ألبرت أينشتاين اسمه في تاريخ العلم الحديث كواحد من أكثر العلماء عبقرية وجرأة ، ولأن طبيعة العلماء تدفعهم دوما للبحث والدراسة مهما حققوا من نتائج ومن نجاحات .. فقد اشتغل العالم الفذ منذ أوائل عام ١٩١٦ في دراسة ما أطلق عليه اسم (نظرية الحقل الموحد)

ففي ذلك الحين راودت أينشتين فكرة ألا تكون الجاذبية الأرضية قوة علي الاطلاق بل مجرد خاصية من خواص ما أسماه الزمكان .. أو ارتباط طاقة الزمن بالمكان ..

وتمادي أينشتين في بحثه هذا الي درجة قوله بأن ما نطلق عليه اسم المادة ليس أكثر من منطقة حدث فيها تركيز بالغ القوة لطاقة ذلك الحقل الموحد بحيث صارت ملموسة ومحسوسة ..

بإختصار أراد صاحب النظرية النسبية أن يثبت أن المادة هي صورة من صور الطاقة .. وليس العكس ..

وعلي الرغم مما يتمتع به اينشتين من مصداقية في الأوساط العلمية والفزيائية .. الا أن نظريته الجديدة قوبلت بشئ من التحفظ والحذر باعتبار أن كل قواعد العلم تؤكد أن المادة والطاقة يتواجدان جنبا الي جنب في الحياة و أن المادة لا يمكنها أن تتحول الي طاقة بالاحتراق أو التبخر مثلا في حين تقول نظرية أينشتين الجديدة أن كل ما يحدث هو أن الطاقة تعود الي حالتها الأولي فحسب عندما تتحلل من صورتها المادية ..

وعلي الرغم من الاعتراضات العديدة واصل اينشتين العمل في نظريته هذي وفي محاولة منه لاثبات أن الجاذبية ليست قوة في حد ذاتها وانما هي تأثير من تأثيرات الاندماج أو التناغم بين عدة قوي اخري علي رأسها المجالات الكهرومغناطيسية للأرض ..

وفي عام ١٩٢٧ بدأ اينشتين يمزج نظريته هذي مع نظرية تبادل الطاقة التي تقول ان كل نوع من الطاقة يمكن أن ينشأ من نوع آخر منها تماما كما يمكن توليد الكهرباء بواسطة مغناطيس في المولدات الكهربية العادية في نفس الوقت يمكن فيه توليد المغنطيسية من الكهرباء كما نجد في المغنطيس الكهربي ..

وهنا وضع العالم الفيزيائي العبقري يده علي حقائق نظرية الحقل الموحد ....

وهذا الحقل هو ما ينشأ من مزج الطاقة الكهربية بالمجال المغنطيسي للأرض والجاذبية الأرضية والأشعة الكونية والنووية معا ..

وطوال عمره الذي تجاوز السادسة والسبعين ظل اينشتين وحده في هذا الملعب يسعي لاثبات نظرية الحقل الموحد في حين يصر باقي العلماء علي أنه يطارد هدفا وهميا في محاولة عابثة لإيجاد قواعد لنظام الفوضي (علي حد قولهم) .. ولكن هناك بعض الأدلة التي تشير الي أن اينشتين قد أجري بالفعل تجربة عملية علي تأثير الحقل الموحد هذا ..

وأنها كانت تجربة رهيبة الي أقصي حد ...

ففي نيوجيرسي عام ١٩٥٤ وعندا لحق الصحفي جون كاربنتر بذلك الرجل فيليب دوران الذي يتصوره سكان بلدته مجنونا وجمعتهما جلسة واحدة هادئة قال فيليب الآتي :

((كان هذا في أكتوبر ١٩٤٣ عندما أخبرونا أنهم سيجرون تجربة خاصة جدا علي سلاح جديد لو نجح فسيؤدي الي سحق الإسطولين الألماني والياباني معا بأقل خسائر ممكنة .. وفي ذلك اليوم اجتمع كبار القادة في فلادليفا.في القاعدة البحرية هناك وجاء بعض المدنيين،أحدهم كان طويل الشعر أشيبه صاحب شارب كث أثار سخرية البحارة

... وكان من الواضح أنهم يولونه اهتماما بالغا وهو يشرف علي تركيب بعض الأجهزة التي لم أر مثلها قط ، ثم جائت السفينة (– ١٧٣DE) ...

كانت هناك سفينتان اخريان علي جانبي السفينة (– ١٧٣DE) وعلي متنهما تلك الأجهزة العجيبة ولقد راحتا تبثان طاقة ما نحو السفينة .. في البداية ، بدا الأمر أشبه بأزيز ينتشر في الهواء .. ثم تحول الي طنين قوي ، وبعدها أصبح ارتجاجا عنيفا جعلني اغلق عيني في قوة ورأسي يكاد ينفجر ، وعندما فتحتهما ثانية،كان هناك ضباب رمادي حفيف يحيط بالسفينة (– ١٧٣DE) .. ثم لم يلبث ذلك الضباب أن أصبح شفافا وإختفت داخلة السفينة تماما حتي لم يعد يظهر سوي أثرها علي سطح الماء ..

--كنت أسمع صراخا رهيبا ينبعث من الفراغ الذي تركته السفينه خلفها وكأنما يعاني بحارتها عذابا يفوق احتمال البشر .. ولكن الكل أكدوا أنهم لايسمعون شيئا وأنني أتوهم فحسب حتي عادت السفينة للظهور وعرفنا ما حدث .....

الرجال اصيبوا بصدمة هائلة .. بعضهم شعر بالآم مفزعة ، في كل خلية من جسده .. والبعض الآخر شاهد أشباحا .. والبعض الثالث فوجئ بمخلوقات عجيبة تهاجمه .. المهم أنهم عانوا جميعا من عذاب لا مثيل له خلال الدقائق القليلة التي اختفوا فيها معا (((– ١٧٣DE) ----- لم تكن هذي أول مرة يسمع فيها الصحفي جون بأمر تجربة فلادلفيا الرهيبة هذي ..

ففي عام ١٩٥٣ التقي بضابط سابق من البحرية همس في اذنه بأنه قد سمع من بعض القادة القدامي أن تجربة علمية مدهشة قد اجريت في منطقة أمنية خاصة في ساحة البحرية في فلادلفيا لإخفاء مدمرة كاملة كوسيلة لإبتكار سلاح سري خفي قادر علي مباغتة الأسطول الياباني في عرض المحيط الهادي ...

ومنذ ذلك الحين ترامي الي مسامعه الكثير من الأحاديث حول التجربة الرهيبة ولكنها كلها لم تحمل لمحة تأكيد واحدة مما جعله يتجاهل هذا الأمر برمته ولا يوليه الإهتمام الكافي بإعتبار أن كل ما يحدث مجرد شائعات أو امور أسئ فهم مدلولاتها كما يحدث في كثير من الأحيان ..

حتي التقي بذلك الرجل فيليب دوران ..

فعلي الرغم من أن الكل يعتبر فيليب هذا مجنونا الا أن كونه أحد مشاة البحربة خلال الحرب العالمية الثانية في منطقة فلادلفيا بالذات كان يمنح حديثه شيئا من المنطقية ..

ثم إنه أول شاهد عيان علي ما حدث ..

والأغرب أنه عندما التقط جون صحيفة قديمة بها صورة بعض العلماء وطلب من فيليب أن يتعرف العالم الأشيب طويل الشعر كث الشارب ... أشار الي احدي العلماء المشهورين وقال إنه هو ...

فأدرك جون أنه وصل الي مبتغاه ..

فالرجل الذي تعرفه فيليب في الصورة باعتباره ذلك الذي كان يشرف علي الأجهزة في تجربة فلادلفيا لم يكن سوي أينشتين ....

وعلي الرغم من أن البحرية الأمريكية لم تصدر بيانا رسميا حول الأمر .. الا أن أحد قادتها صرح عبر مؤتمر صحفي غير رسمي أن ما نشر مجرد خزعبلات وأنه من المضحك أن يقال إن إخفاء سفينة حربية كاملة يمكن أن يكون حقيقة واقعية ..

وبلا من أن يهدئ هذا التصريح الموقف ، فإنه أشعله بشدة ..

وبدأ جون يجري تحرياته علي نطاق واسع بتمويل من إحدي الصحف الكبري في واشنطن .. كما إضطر للإسنعانه بثلاثة من المعونين لفرز كل ما يصله من خطابات ورسائل وبرقيات ، لإختيار ما تلوح الجدية من بين سطوره .. وإستبعاد محولات الشهرة والجدل العقيم ..

ولقد تأكد جون من أن فيليب دوران كان يعمل في قطاع الأمن في مشاة البحرية الأمريكية في فلادلفيا عام ١٩٤٣ في أكتوبر بالتحديد .. كما حصل علي وثائق تثبت عمل (باتريك ماسي) كخبير في في الكهرباء وانتدابه من البحرية الي القيادة في واشنطن خلال عام ١٩٤٥ مما يمنح شهادة الرجلين مصداقية لا باس بها ..

ثم توصل لحقيقة مدهشة اخري ..

فما يقرب من ٦٦٪ من أفراد طاقم السفينة الحربية (DE – ١٧٣) ، تم ايداعهم مصحات نفسية وعصبية خلال الفترة من نوفمبر ١٩٤٣ حتي ديسمبر ١٩٤٥ وبعضهم ظل هناك حتي منتصف الخمسينات ..

و تساءل جون في مقالة التالي :

___ أمن المعقول أو من المنطقي أن يصاب كل هذا العدد من رجال البحرية من سفينة واحدة باضطراب عقلي مشترك دون سبب واضح ؟

وجاء السؤال كطعنة في الصميم لقيادات البحرية الأمريكية التي واصلت عدم التعليق رسميا ولكنها – في الوقت ذاته – أخفت كل الوثائق المتعلقة بالسفينة المنكوبة ..

وعلي الرغم من توالي الشهادات من كل صوب علي مكتب (جون كاربنتر) ، ومن العشرات من بحارة طاقم (DE – ١٧٣) قد قصوا القصة نفسها .. وأيدوا ما قاله فيليب وباتريك إلا أن جميعهم كانوا يحملون شهادة طبية رسمية تؤكد أنهم ليسوا في حالتهم الطبيعية مما جعل شهادتهم بلا سند قانوني مؤكد ..

وربما كان هذا هو السبب الرئيسي الذي دفع قيادات البحرية الي إيداعهم هذي المصحات خلال فترة الحرب وما بعدها ..

وفي رسالة أحد البحارة وهو (مايكل جريج) ، المسئول الثاني عن الدفة ، قال الرجل :

((كنا علي ظهر السفينة نعلم جيدا أنهم سيقومون بتجربة سلاح ما ، وكان معظمنا مفهم بالحماسة ، ثم بدأت تلك المولدات الضخمة في العمل ، وشعرنا وكأن رؤوسنا ستنفجر ، وكادت قلوبنا تثب من صدورنا مع عنف خفقاتها وبعدها أحاط بنا ضباب أخضر كثيف ، وأظلمت الدنيا من حولنا ، وكأننا قد فقدنا أبصارنا ، فاستولي الرعب علي معظمنا ، وراح الكل يعدو بلا هدف ، في كل مكان وكل إتجاه ، وتصورت أننا قد غرقنا في عالم آخر .. أو أن عقولنا قد أصابها الجنون ، مع تلك الهلاوس التي تراءت لنا ، فصديقي (ميجور) أقسم أنه يري زوجته الراحلة ، والضابط (براد) راح يضحك في جنون ، والقبطان (رود) أخد يدير الدفة في حركات هيستيرية ، وهو يصرخ بأنه من الضروري أن نخرج من بحر الظلمات هذا ، أما أنا ، فقد التقيت بمخلوقات من عالم آخر ، أو هي وحوش ، أو لعلها هلاوس مجنونة .. المهم أن ما عانيناه هناك لم يكنت عاديا أبدا ، بل كان يستحق أن نصاب من أجله بجنون حقيقي .))

كان هذا أول خطاب من أحد بحارة السفينة المنكوبة وإن كان إثبات هذا أمر مستحيلا ، بعد أن أخفت البحرية كل الوثائق الرسمية ، وواصلت إصرارها علي رفض التحدث عن الأمر علي الرغم من سيل الخطابات وإهتمام الرأي العام ..

ثم وصل جون فجأة لخطاب خطير الي أقصي حد ..

هذا لأنه كان كافيا ليقلب الأمور كلها رأسا علي عقب .. مرة اخري نستكمل الحديث حول هذا الموضوع ..

بسم الله نبدأ ...

استمر صراع جون كاربنتر طويلا في محاولته لاثبات قيام البحرية الأمريكية بتلك التجربة الرهيبة التي حاولت فيها إخفاء سفينة بحرية كاملة لولا أن اصيب طاقمها بأضرار فادحة حتمت إيقاف التجربة وعدم تكرارها ..

وعلي الرغم من سيل الخطابات والرسائل .. ومن شهود العيان الذين وصفوا ما حدث علي سطح السفينة ظل الأمر كله أشبه بلعبة عبثية مع غياب الدليل المادي الحاسم علي حدوث تلك التجربة خاصة وأن كل الشهود كانوا من نزلاء المصحات اتلنفسية السابقين ، ومن بحارة السفينة أيضا ..

ومع مواصلة البحرية صمتها العنيد ، بدأ الموقف ينحسر .. وراح إهتمام العامة يقل تدريجيا .. وفجأة ..

وصلت رسالة بالغة الخطورة ..

رسالة تحمل توقيع العالم الفيزيائي المعروف (ألند)

وفي رسالته قال (ألند):))لن يمكنكم أن تتصوروا عظمة تجربة اينشتين التي لم يعترف بها أحد .. لقد دفعت يدي حتي المرفق داخل حقل الطاقة الفريد هذا بمجرد أن بدأ في التدفق في عكس اتجاه عقارب الساعة ، حول السفينة البحرية (- ١٧٣de) ، ولقد شعرت به يعبر يدي الممدودة داخله .. أما الهواء حول السفينة ، فقد تحول في بطء الي لون قاتم ، قبل أن يتكون سديم رمادي ضبابي أشبه بالسحاب الخفيف ، أظنه الجسيمات الذرية ، أو الهواء التأين حول السفينة ، التي راحت تختفي تدريجيا عن الأعين البشرية .. هذا الحقل يوحي بأنه هناك كهربية صافية تحيط به بمجرد تدفقه .. ولقد كان من القوة بحيث كاد يبتلع جسدي كله ، عندما بلغت كثافته أقصاها ، إذ راح يتحرك بغتة في اتجاه عقارب الساعة وأظن أن هذا الانعكاس في الحقل ، هو سبب فشل التجربة .. ((رسالة كهذي ، من عالم له مكانته مثل ألند كانت تكفي لكسر حاجز صمت البحرية بعنف مما أجبر قيادتها علي الإدلاء بتصريح غير رسمي قالت فيه بإختصار أقل ما يوصف به هو أنه مخل وغير مشبع :)) ----- لا يوجد في ملفات البحرية كلها ما يحمل اسم

(تجربة فيلادلفيا) ولقد فجر هذا البيان المختصر موجة من السخط والغضب في كل الأوساط ..

بل موجه من السخرية ايضا فقد كتب جون في مقالة التالي إنه لم يسمع أو يقرأ في حياته كلها بيانا أكثر سخافة وسذاجة من بيان قيادة البحرية هذا ، إذ أنه ليس بالضرورة أن تحمل التجربة في ملفات البحرية ، اسم تجربة فيلادلفيا الذي أطلقه فو علي الأمر ، و أنه من المحتم أن يكون لها كود سري خاص مثل (الرجل الخفي) أو(الفراغ) أو أي اسم آخر ..

ثم عاد ينشر شهادة العالم البروفيسور ألند وكأنه يتحدي بها كل قيادات البحرية .. كان من الواضح أن (فالنتين)علي علم بالتجربة في حينها ، وأن جيسوب أحد المشاركين فيها مما أثار مشاعر الكل ، ودفع سيلا من الصحفيين ورجال الإعلام نحو فالنتين الذي فوجئ بهذا الجيش حوله وبآلاف الأسئلة التي تخترق اذنيه وعقله وكيانه كله ، فإرتبك وإضطرب .. وحاول نفي معرفته بالأمر ، علي الرغم من إعترافه بإرسال تلك الرسالة إلي جون ، وكل ما قاله أمام الصحفيين هو :))كل ما أعلمه هو أن الأمر يحتاج الي ثلاثة حقول من الطاقة المختلفة ، لتتناسب مع مستويات الفراغ الثلاثة ، وأن الأمر يرتبط بالرنين المغناطيسي الفائق علي نحو ما ((

وعلي الرغم مما قاله فالنتين ، فإن جيسوب أصر علي الصمت التام ، ولم ينف أو يؤيد ما قاله زميله ورفض تماما الإدلاء بأية أحاديث صحفية ، أو حتي إجابه سؤال واحد ...

وهكذا فقد جون دليلا قويا ، كان يمكن أن يحسم الأمر تماما ..

ولكن حملته نجحت في تفجير القضية ، وفي دفع العقول التي التفكير في صحة ما حدث ..

بل ودفعت فريقا من العلماء الي دراسة إحتمالات حدوث تلك التجربة عمليا ..

وجائت النتائج مدهشة ..

معظم العلماء أكدوا أن الأمر قابل للحدوث من الناحية العملية ، إذا ما أمكن توليد حقل كهرومغناطيسي فائق ، حول جسم ما ، مع الإستعانة بقوة الجاذبية الأرضية ، والرنين البالغ ، ولكن هذا لا يمكن أن يلح ، من الناحية العملية ، بالنسبة للبشر والكائنات الحية ..

فالهدف من التجربة ، هو كسر الإنعكاسات الضوئية ، والوصول بمعامل الانكسار الي الصفر ، بحيث تعبر الأشعة من خلال الجسم مباشرة ، علي نحو يجعله غير مرئي ..

ولو حدث هذا مع البشر ، فسيعني أن الضوء لن يسقط أو يستقر عند شبكية العين ..

وهذا يعني أن يصاب الانسان بالعمي التام ، فلا يري من حوله سوي ظلام دامس ..

بل ، وكتب أحد العلماء مقالا يؤكد فيه أن النظرية نفسها ، تجعل قصة الرجل الخفي للكاتب (هربرت جورج ويلز) مجرد عبث غير علمي ، بإعتبار أن ذلك الرجل سيصبح أعمي ، يحتاج الي من يمد له يد المساعدة خلال فترة إختفائه ....

وخلال تلك الفترة ، إنتبه (جون كاربنتر) الي حقيقة مدهشة لم يحاول إستغلالها قط ، وهو يشن حملته هذي ، لإثبات حدوث تجربة فيلادلفيا الرهيبة ..

(ألبرت أينشتين)

فشهادة فيليب دوران ، في بلداية الأحداث كانت تشير الي أن اينشتين نفسه كان يشرف علي تلك المولدات المغنطيسية في ساحة البحرية في فيلادلفيا في أثناء إجراء التجربة .. وإسم شهير مثله ، كفيل بإثارة الموقف كله ، علي نحو مختلف تماما .. وهنا، وحتي لا يتورط جون فيما يمكن أن يدينه قانونا ، راح يجري بعض الأبحاث حول حياة وعمل (ألبرت اينشتين)

وكانت النتائج رائعة .. ففي عام ١٩٤٠ نشر أينشتين نظرية الحقل الموحد لأول مرة ، ثم تم تعيينه في البحرية الأمريكية كعالم له شأنه ، من ٣١ مايو ١٩٤٣ وحتي ٣٠ يونيو ١٩٤٤ .. وكأنما كانت البحرية تحتاج الي وجودة الرسمي ، في هذي الفترة بالتحديد ...

والأهم أن اينشتين قد نقل مكتبه في البحرية الي فيلادلفيا ، كما تقول الوثائق الرسمية من ١٨ سبتمبر ١٩٤٣ وحتي ٣٠ أكتوبر من العام نفسه ..

ولكن الأكثر خطورة هو أن أينشتين قد أعلن منذ عامين فحسب ، ردا علي بعض معارضي نظريته ، أن لديه نتائج تجريبية مقنعة للغاية ، عن العلاقة بين القوي الكهرومغنطيسية والجاذبية الأرضية ، وإن لم يجد بعد دليلا رياضيا علي هذا ، مما يوحي بأنه قد شاهد تجربة عملية ، تؤكد كل هذا ..

ووفقا للتواريخ والملابسات ، لابد أن تكون هذي هي تجربة (فيلادلفيا)

ومع نشر هذا الأمر ، قامت الدنيا ولم تقعد ، نظرا لوجود اسم اينشتين هذي المرة مرتبطا بالتجربة الرهيبة ..

واندفع جيش الصحفيين نحو ألبرت أينشتين هذي المرة ، وهو يمني نفسه بالحصول علي سيل من المعلومات ، من هذا العالم العبقري البسيط ..

ولكن كانت في أنتظارهم جميعا مفاجأة ...

مفاجأة مذهلة ..

ومؤلمة بحق ......

وهي أن أينشتين لم يجب أي سؤال من أسئلتهم .. لأنه عندما وصلوا الي منزله ، كان قد غادر الحياة كلها ، ومات في هدوء في عام ١٩٥٥ ..

ومع رحيل اينشتين في هذا التوقيت الدقيق جدا ، خبت الحماسة فجأة بشأن تجربة فيلادلفيا ، ولم يعد أحد يتابع أخبارها أو حتي المقالات الحماسية التي يكتبها جون عنها ..

ومع الوقت ، نسي جون نفسه الأمر ، وبدأ يستغل شهرته في القاء المحاضرات وإقامة الندوات ، وسرعان ما تزوج ، وانشغل بعائلته الجديدة عن الأمر كله .. وفي أوائل الستينات ، فوجئ الكل بعالم فيزيائي جليل وهو (فرانكليني راينهارت) يقول في حديث تليفزيوني مذاع علي الهواء مباشرة :

((أينشتين كان يعرف جيدا تجربة فيلادلفيا وكان يعمل فيها منذ عام ١٩٤٠ مع البروفيسور (رودلف لارنبرج) ولقد طلبا مني معاونتهما في مشروع يتعلق باستخدام الحقول الكهرومغناطيسية القوية ،لإحاطة السفن والمدمرات بغلاف واق ، يؤدي الي إنحراف الطوربيدات بعيدا عنها .. ولقد بدأنا العمل في ذلك المشروع بالفعل ثم لم نلبث أن طورنا الفكرة الي اطلاق الحقل الكهرومغناطيسي في الهواء بدلا من الماء لإخفاء السفن بصريا .. وكل ما كان يقلقنا هو الآثار الجانبية التي قد تحدث نتيجة للتجربة وكان من ضمنها احتمال غليان الماء ، أو تأين الهواء حول السفينة ، أو أي من تلك الأمور التي تؤدي الي حالة من عدم الاستقرار ، إلا أن أحدا منا .. حتي أينشتين نفسه لم يفكر في إحتمالات إحلال الكتلة والتداخل بين الأبعاد))

عبارة البروفيسور راينهارت الأخيرة لم تكن مفهومة للعامة ، ولكنها أثارت في العقول إحتمالا جديدا ، لم يخطر ببال أحد أبدا ، طوال فترة الحديث عن تجربة فيلادلفيا ...

تري هل تسببت التجربة في حدوث فجوة بين الأبعاد المختلفة ، أم أنها فتحت بوابة الي عالم آخر ؟؟؟!!! ...

إحتمالات بدت كلها أشبه بالخيال العلمي ، علي الرغم من علميتها المطلقة .. ولقد حاول الصحفيون الاستفسار عما قاله الدكتور راينهارت ومعرفة ما الذي كان يعنيه بمصطلحي (احلال الكتلة) و(التداخل بين الأبعاد)

ولكن راينهارت أيضا لم يجب عن اسئلتهم ، لأنه لقي حتفه في حادث سيارة مروع ، تمزق بعدها جسده تماما ..

وهنا ، وعلي الرغم من عدم التصريح بهذا ، اتجهت أصابع الاتهام الصامتة الي السلطات الحكومية ، والي القوات البحرية الأمريكية بالتحديد ، باعتارها المسئولة عن مصرع راينهارت ، كمحاولة منها لإخراس الألسنة التي تثرثر بشأن موضوع تجربة فيلادلفيا الرهيبة ، ومحو أي أدلة مادية أو بشرية خاصة وأن فيليب دوران قد اختفي في ظروف غامضة

، بعد خروجه من ذلك المقهي البسيط ، علي حدود (نيوجيرسي) ، في حين تم تعيين البروفيسور (ألند) في المخابرات المركزية بحيث يخضع لقانون السرية ، الذي يحظر عليه الكلام في الأمر أو في أيه امور اخري تتعلق بالأمن القومي ..

وأدرك الكل ، وعلي رأسهم جون كاربنتر نفسه ، أن الأمر يتجاوز حدود قدراتهم ، فلاذوا بالصمت التام ، باعتبار أن حياتهم أغلي من البحث عن حقيقة تجربة فاشلة ، أيا كانت معطياتها ..

ومرت السنوات في هدوء ، وأصدر (تشارلز بيرلتز) كتابا شهيرا عن تجربة فيلادلفيا في أوائل السبعينات وقد كان كتابا رائعا أنصحكم بقرائته لمن يريد الاستزاده عن هذا الوضوع ..

المهم ..

كنا عند كتاب (تشارلز بيرلتز) الذي بدا وكأنه آخر قول في هذا الأمر ، الذي انخفض الاهتمام به وتحول الي اسطورة غامضة ، تماما مثل (مثلث برمودا) ، و(الأطباق الطائرة) ، و(وحش بحيرة لوخ نس) وغيرها ..

ثم مات الدكتور جيسوب عام ١٩٧٣ ، وهو آخر من ارتبط اسمه من العلماء بتجربة فيلادلفيا ..

وتنفس قادة البحرية الأمريكية الصعداء ، باعتبار أن هذا يحسم الأمر تماما ، بعد سنوات من الشد والجذب ..

ولكن (جيسوب) كان قد ترك وراءه مفاجأه غير سارة لهم .. مفاجأة تتمثل في في خطاب بخط بده تركه لدي محاميه وطلب تسليمه الي جون كاربنتر بعد وفاته ...

وفي رسالته قال جيسوب :

((تجربة فيلادلفيا كانت كارثة حقيقية بكل المقاييس ، ولقد تنبأت بفشلها ، قبل حتي أن تبدأ ، فقد اعتمد فيها اينشتين علي نظرية الحقل الموحد التي اعارضها بشدة ، وعلي مزج المجال الكهرومغناطيسي بالجاذبية الأرضية ، مع اشعاع نووي محدود ، والواقع انني قد التقيت ببعض ضباط وعلماء البحرية حول هذا الأمر ، وأخبرتهم أنها تجربة مهمة بحق ، ولكنها بالغة الخطورة ، وقاسية جدا علي المتورطين فيها ، والذين سيتعرضون الي رنين مغنطيسي هائل ، وهذا يعادل ما يمكن أن نطلق عليه الطمس المؤقت للبعد ، الذي نحيا فيه .. شئ يخرج عن نطاق السيطرة ، ويمكن أن يؤدي الي اختراق بعدنا الي مستوي آخر ، أو بعد آخر .. ولكنهم لم يستمعوا الي .. ربما لأنني أقل شهرة من اينشتين ، الذي يعتبرونه اسطورة في الفيزياء .. المهم أن التجربة قد أجريت ، ونجح اينشتين في اثبات العلاقة بين أنواع الطاقة وحقول القوي المختلفة ، وأكد صحة الجزء الخاص بالاندماج في نظرية الحقل الموحد اذ اختفت السفينة

بالفعل ، ولكن الحقل تسبب في خلق منطقة مضطربة ، بدلا من الغياب الكامل للألوان ، كما أن وجود أفراد الطاقم المساكين داخل حقل عنيف للطاقة ، أصابهم باضطرابات وهلاوس عنيفة ، حتي أننا كنا نسمع صراخهم المذعور ، خلال الدقائق القليلة ، التي اختفت فيها السفينة ، كما لو أن أحدا داخلها يذبحهم ذبح النعاج ..)) وفي نهاية خطابه ، كتب جيسوب وكأنه يعتذر عن اشتراكه في التجربة الرهيبة : ((وأيا كانت النتائج أو حتي الفوائد المرجوة من هذي التجربة فلم يكن من الجيد أبدا أن أسمح لهم باجرائها ، أو أن اشارك فيها ... تقبلوا أسفي))

ونشر جون رسالة جيسوب ثم استقل سيارته للعودة الي منزله .. ولكنه لم يصل اليه أبدا .. لقد اختفى (جون كاربنتر) ، واختفت معه رسالة جيسوب الأصلية الي الأبد ، دون أن تتوصل التحقيقات المكثفة التي أجرتها الشرطة الي جثته أو حطام سيارته أو أدني أثر له .. بل و دون أي سبب سوي أنه تعدي حدوده في السعي خلف تجربة فيلادلفيا ، والعمل علي سبر أغوارها وكشف أسرارها ..

وباختفاء (جون كاربنتر) أسدل الستار علي تلك التجربة المذهلة ، ولم يعد هناك من يتحدث عنها .. بجدية علي الأقل ..

وعلي الرغم من أن كتاب (تشارلز بيرلتز) قد صدر في ثلاث عشرة طبعة حتي الآن ، إلا أن الاهتمام بتجربة فيلادلفيا قد تناقص عمليا ، حتي اقتصر الأمر علي قرائتها ، والانبهار بما حققته ، نظريا علي الأقل ..

ومازال هناك علماء يصرون علي أن هذا ممكن ..

وآخرون يستنكرونه بشدة ..

ومازالت هناك عشرات الأسئلة المطروحة ..

هل حدثت تجربة فيلادلفيا بالفعل ؟!

وماذا كانت نتائجها بالضبط ؟!

ولماذا التستر الشديد عليها ؟!

صحيح أن أحدا لا يعرف جواب تلك الأسئلة ، ولا حتي الاسم الحقيقي للتجربة ، في ملفات البحرية الأمريكية السرية ، ولكنها تحولت في الأذهان الي اسطورة غامضة ..

أسطورة حدثت في فيلادلفيا ، في أكتوبر ١٩٤٣ ..

أسطورة تجربة ..

رهيبة جدا .

....

الدراسة الرابعة

حيث يبدأ العدم

الدراسة الرابعة

حيث يبدأ العدم ..

حيث يبدأ العدم

"اختفى السرب التاسع عشر ، بقيادة الملازم (تشارلز تايلور) ، دون سابق إنذار، ولم يتم العثور على جناح طائرة واحدة منه .." .

كانت هذه هى الإشارة ، التى تلقاها قائد القوات الجوية الأمريكية ، من قاعدة (فورت لاديرديل) فى (فلوريدا) ، فى الثانية بقليل ، والتى كانت بمثابة قنبلة ذرية ثالثة ، يفوق تأثيرها فى نظر القيادة الأمريكية ، والعالم فيما بعد ، تأثير قنبلتى (هيروشيما) و (ناجازاكى) ..

لقد كانت إشارة البدء لواحد من أعقد وأعظم ألغاز العصر ، وكل العصور السابقة ..

لغز مثلث (برمودا) ..

ففى ذلك اليوم : ٥ من ديسمبر ١٩٤٥ ، انطلق سرب من الطائرات البحرية بقيادة (تشارلز تايلور) فى رحلة تدريبية ، وكل طائرة مجهزة بالقنابل ، ومملوءة بوقود يكفى طيرانها لآلاف الكيلو مترات ، وكانت الرياح شمالية شرقية معتدلة ، ودرجة الحرارة ملائمة ، وكل الأحوال الجوية والمناخية مثالية للطيران ..

وفى الثانية تماماً بدأت الرحلة التدريبية ، وراح (تشارلز) يرسل ملاحظاته لاسلكياً ، وطائرات سربه تتدرب على الانقضاض والقصف ، كما يحدث فى كل مرة وبدا كل شئ عادياً مألوفاً ..

وفجأة .. فى تمام الثالثة والربع ، تلقى برج المراقبة رسالة مضطربة من (تشارلز تايلور) يقول فيها :

– هناك شئ عجيب يحدث .. لم نعد على ما يرام .. لا يمكننا حتى أن نرى الأرض ..

وعندما سأله مراقبو الطيران عما يعنيه بهذا ، أجاب فى توتر :

– لست أدرى .. المحيط لا يبدو كما اعتدنا أن نراه .. وكل شئ تعطل .. البوصلة والدفة .. كل شئ .

وبعدها انقطع الاتصال بسرب الرحلة التاسعة عشرة تماماً ..

وتفجرت حالة ذعر عامة ، فى كل أفرع الجيش وقياداته ، فلقد انتهت الحرب العالمية الثانية منذ شهور قليلة ، وبدأ الجميع استرخاءهم ، وبدا المستقبل مشرقاً ، ثم جاء هذا الاختفاء الغامض ليقلب كل شئ رأساً على عقب ..

وأصدر قائد القوات الجوية أوامره بضرورة البحث عن هذا السرب المفقود ، واستعادته بأى ثمن ..

وانطلقت السفينة الحربية (مارتن ماريز) لإنقاذ السرب المفقود ، ولكن ..

(مارتن ماريز) اختفت بدورها ..

تلاشت ، كما لو أن البحر قد انشق وبلعها ..

بل لم يبد هذا الاحتمال حتى منطقياً ؛ فلم تسفر عمليات البحث عن العثور على أدنى أثر لطاقمها ، أو حطام وركام أو حتى بقعة زيت ..

لقد تبخرت السفينة ، كما تبخر قبلها سرب (تشارلز تايلور) ..

ذهبوا جميعاً إلى العدم ، فى قلب مثلث الشيطان ..

وبدأت أسطورة مثلث (برمودا)

ومثلث (برمودا) هذا هو مثلث وهمى يقع فى غرب الأطلنطى ، ويمتد من (برمودا) شمالاً إلى (فلوريدا) جنوباً ، ويتجه شرقاً عبر جزر (البهاما) وغرباً حتى خط طول ٥٤٠ ، ثم يعود إلى (برمودا) ..

والواقع أن حوادث الاختفاء فى مثلث (برمودا) لم تبدأ بحادثة سرب (تشارلز تايلور) ، وإنما هى حوادث قديمة ، يرجع تاريخ بعضها إلى القرون الوسطى ، ولكن قلة السجلات فى هذا العصر ، وقلة عدد الرحلات البحرية أعطتنا انطباعاً بأن لغز (برمودا) لم يبدأ إلا فى عصرنا هذا ، فى حين أشار (كريستوفر كولمبس) إلى واقعة اختفاء لواحدة من سفنه هناك ..

وبعد واقعة (تشارلز تايلور) ، وسربه ، بدأت حوادث اختفاء أكثر إثارة ، أشهرها اختفاء سفينة الشحن (مارين سيلفركوين) التى يبلغ طولها ١٤١ متراً ، والباخرة (سايكلوت) ، التى اختفت بكل ركابها ، البالغ عددهم ٣٠٩ راكب ، وحمولتها البالغة تسعة عشر ألف طن ..

وفى عام ١٩٤٨ م كانت طائرة جديدة من طراز (ستارتايجر) تعبر منطقة المثلث الغامض ، وعلى متنها طاقهما المكون من ستة أفراد ، وخمس وعشرين راكباً وكان كل شئ يسير على ما يرام ..

ثم اختفت (ستارتايجر) بغتة ..

وكانت هذه الحالة أكثر مدعاة للدهشة ؛ فلم ترسل (ستار تايجر) إشارة استغاثة واحدة ، بل كانت آخر رسالة واردة منها ، قبيل اختفائها بدقائق ، تؤكد أن الطقس جيد وكل شئ يسير على ما يرام ..

وتوالت حوادث اختفاء الطائرات والسفن فى مثلث (برمودا) ..

وبدأت عمليات البحث العلمى ، والسعى لإيجاد تفسير عملى منطقى لما يحدث ..

وخرجت عشرات النظريات ..

عالم بريطانى حاول تفسير هذا بقوة التيارات البحرية فى منطقة مثلث (برمودا) وقال إن هذه التيارات يمكن أن تصنع دوامة هائلة ، ذات قوة امتصاص رهيبة ، تبتلع كل ما يقترب منها من السفن ، وكل ما يطير فوقها من طائرات ..

ولكن أحداً لم يهتم بهذه النظرية ؛ إذ أنها لم تعط تفسيراً مناسباً لحوادث الاختفاء المباغتة ، ولا حتى للظواهر المصاحبة لها ، كما أن أحداً لم يسجل وجود تخلخل هوائى ، يشير إلى وجود هذه الدوامة المزعومة ..

ثم جاء الأمريكى (ولبرت ب . سميث) ، وقال إنه توجد مناطق تتلاشى فيها الجاذبية على كوكب الأرض ، مما يؤدى إلى اضطراب البوصلة ، وأجهزة الطيران، ولكن هذا أيضاً لم يفسر الأمر على نحو جيد ، مما جعل أحد العلماء يشير إلى نبوءة قديمة للعالم النفسانى ، والمتنبئ الشهير (إدجار كايس) ، الذى توفى عام ١٩٤٤ م ، قبيل كشف واختراع أشعة الليزر .

ففى عام ١٩٣٧ ، أشار (كايس) فى أثناء سقوطه فى غيبوبة عميقة ، إلى أن سكان قارة (أطلنطس) القديمة استخدموا الكريستال والياقوت لتوليد واستخراج الطاقة، وأن جزءً كبيراً من هذه الطاقة قد غرق مع قارتهم ، وأنه سيبقى فى الجزء الغربى من المحيط الأطلنطى ، ليفسد البوصلة ، وكل المعدات الحديثة فوق نقطة غرقه ..

ولم يكن أى مخلوق يعلم حتى هذا التاريخ أنه من الممكن توليد طاقة الليزر من الكريستال أو الياقوت ، أو عبرهما..

وهنا برز احتمال آخر ..

احتمال أن تكون (أطلنطس) هى السر ..

ولاقى هذا الاحتمال قبولاً من ذوى الخيال ، فى حين استنكره كل العلماء ، وكل دارسى غموض مثلث (برمودا) ..

ثم تفجرت أكبر قنبلة فى الموضوع ..

ففى حديث تليفزيونى عام ١٩٧٤ قال أحد مراقبى المطار ، ممن عاصروا حادثة (تشارلز تايلور) أن القوات الجوية قد أخفت عبارة أرسلها (تايلور) نفسه، قبل اختفاء سربه تماماً ..

"لا تتبعونا .. يبدو أنهم من الفضاء الخارجى" ..

وكان هذا يقلب كل الأمور بالفعل ، ويضع احتمالاً جديداً لم يناقشه أحد من قبل..

احتمال أن تكون هذه الاختفاءات عمليات اختطاف من قبل مخلوقات من كوكب آخر ..

ومرة أخرى وجدت هذه الفكرة مؤيديها ومعارضيها ، ولكن أحداً من مسئولى القوات الجوية لم ينكر أو يستنكر هذه العبارة التى نسبت إلى (تشارلز تايلور) ، مما أيد موقف من يميلون إلى نظرية الاختطاف من الفضاء الخارجى ..

ولكن ماذا عن الذين نجوا من مثلث الرعب ؟ ..

ماذا رأوا ؟ ..

بم شعروا ؟ ..

ماذا قالوا ..

القبطان (هنرى) ملاح قديم فى الخامسة والخمسين من عمره ، قوى الجسد، ممشوق القوام ، يمتلك شركة للإنقاذ البحرى ، ويروى أنه كان يجر بسفينته يوماً باخرة كبيرة ، عندما أطاحت به فجأة سحابة كثيفة للغاية من الضباب ، وخيل له ولبحارته أن الأفق قد اختفى ، وأن السماء قد اختلطت بالماء ، بحيث لم تعد هناك اتجاهات ، وفقدت البوصلة وعيها ، وراحت تدور باتجاه عقارب الساعة فى جنون، وكانت المولدات كلها تعمل بأكثر طاقتها ، ولكنها لم

تكن تعطى أية كهرباء، واختفت الباخرة التى يجرونها تماماً وإن بدا الحبل المربوط إليها مشدوداً عن آخره، وهناك مادة كالحليب تحيط بكل شئ ..

ثم اختفى كل هذا بغتة ، وبدا الأفق أخضر اللون لحظات ، وبعدها عاد كل شئ إلى طبيعته ..

ما الذى يعنيه هذا إذن ؟ ..

إن حادثة القبطان (هنرى) مجرد مثال ، وإن اتفقت أقواله مع أقوال وأوصاف العديدين ممن نجوا من هذا الرعب ، وممن شاء لهم القدر ألا يتحولوا إلى رقم آخر ، فى سجل المفقودين ، والضائعين فى هذا العدم ..

وما زال مثلث (برمودا) يحمل كل الغموض ..

حيث تختفى الطائرات ، والسفن ..

حيث يتلاشى البشر ..

وحيث يبدأ العدم ..

***

الدراسة الخامسة

خلف اسوار العقل

الدراسة الخامسة

خلف أسوار العقل

فى إحدى ليالى نوفمبر ، فى عام ١٩٦٦ م ، جلس السوفيتى (نيكولاييف) ، داخل حجرة من الرصاص ، لا يوجد بها سواه ، وأمامه ورقة صغيرة ، خط عليها أحد العلماء – من وحى اللحظة – كلمات غير مترابطة ، ورسماً لا معنى له ، راح (نيكولاييف) يحدق فيهما لحظات ، دون أن تسجل أجهزة هيئة العلماء، التى عكفت على مراقبته ، فى (موسكو) شيئاً ، فى حين كان زميله (كاتشسكى) يجلس فى ظروف مماثلة فى (لينجراد) ، على بُعد ألف كيلو متر من (موسكو)، وقد راح يخط الكلمات نفسها ، والرسم ذاته على ورقة بيضاء ، ناولها لأحد العلماء المجاورين له ، وهو يقول :

– لست أدرى ما يقصده بذلك ، ولكن هذا ما أرسله .

وأُصيب العلماء بالذهول ، فى (موسكو) و (لينجراد) ، فى نفس اللحظة ، فلقد استقبل (كاتشسكى) رسالة عقلية من (نيكولاييف) ، بمنتهى الدقة ، كما لو أن عقله جهاز استقبال لاسلكى فائق التطور ..

ولكن كيف حدث هذا ؟ ..

بل كيف يمكن أن يحدث ؟ ..

لقد أعلن تلك القصة السالفة الذكر العالم السوفيتى (فلاديمير فيدلمان) ، وهو واحد من أشهر علماء ما فوق الطبيعيات ، فى مؤتمر لبحث الظواهر الخارقة للمألوف ، عام ١٩٦٨ م ولم يحاول وضع تفسير علمى للظاهرة ، وإنما أطلق عليها اسم التخاطر العقلى ، أو (التليباثى) ..

والعجيب أن المصطلح لم يكن جديداً بالنسبة لزمرة علماء الظواهر فوق الطبيعية، الذين حضروا ذلك المؤتمر ، بل كان مصطلحاً قديماً ، لظاهرة مازالت تثير جدلاً علمياً ، حتى لحظة كتابة هذه السطور ..

فمع مطلع عام ١٨٦٢ م ، وبينما انشغل نصف سكان العالم فى الاحتفال بأعياد رأس السنة الميلادية ، أغلق عالم نصف معروف ، يدعى (ف . مايرز) (F.Myrs) معمله على نفسه ، وانهمك فى سلسلة من التجارب

والدراسات المعقدة ، استغرقت تسعة أشهر من عمره ، قبل أن يخرج إلى العالم بذلك المصطلح الجديد (التليباثى) (Telepathy) ، دون أن يتصور أن مصطلحه هذا سيثير أكبر وأطول جدل علمى فى التاريخ ، وأنه وبعد مرور أكثر من قرن كامل على إطلاقه هذا المصطلح ، لم ينجح شخص واحد ، أو جهة علمية – صغرت أو عظمت – فى إثبات أو نفى هذه الظاهرة..

وكلمة (تليباثى) ، كما تقول القواميس المتخصصة ، تعنى (التخاطر عن بعد)، أو انتقال الأفكار ، من شخص إلى آخر – أو آخرين – دون استخدام وسيلة مادية ..

أو هى ببساطة ظاهرة (قراءة الأفكار) ، كما يطلق عليها العامة ..

وعلى الرغم من كل ما أثارته ظاهرة (التخاطر عن بعد) ، من جدل ، وما أطلقته من خيال العلماء والأدباء ، إلا أن التجارب الجادة حولها لم تبدأ إلا فى عام ١٩٢١ م ، عندما قام ثلاثة من علماء جامعة (جروننجن) بسلسلة طويلة من التجارب والمشاهدات ، انتهت بإصدار تقرير كبير ، اقتنع به عدد من العلماء، ورفضته الغالبية العظمى منهم ..

ومن العجيب أن تلك الظاهرة تذهب بالعلماء دائماً إلى طرفى نقيض ، فإما أن يؤيدها البعض فى حماس ، أو يرفضها البعض الآخر فى عناد وإصرار ، ولعل من أعظم مؤيديها العالم البريطانى (جوزيف سينل) ، الذى قضى القسم الأعظم من حياته ، فى محاولة إثبات وجود الظاهرة ، وهو يقول عنها : "إنها تشبه عملية الاتصالات اللاسلكية المعروفة ، فالعقل البشرى يموج بالإشارات الكهربية، التى تنتقل دوماً بين المخ والأعصاب ، وتربطه بأعضاء الجسم ، وعندما تبلغ هذه الإشارات حداً مناسباً ، يمكنها أن تنتقل دون الحاجة إلى الأسلاك (الأعصاب)، فتسافر من عقل إلى عقل" ..

أما أشهر العلماء فى هذا المجال ، وهو (ج.ب.راين) فيقول : "الأمر عبارة عن نوع من الشفافية الروحانية ، التى تتيح للروح الالتقاء بالأرواح الأخرى ، واستنطاقها عما يدور فى أجساد وعقول أصحابها" ، ولكن هذا الرأى يبدو فلسفياً، أكثر مما يبدو علمياً أو منهجياً ، ولهذا السبب رفضه كل العلماء تقريباً ، على الرغم من أن (راين) هو صاحب أول تجارب مدروسة لفحص الظاهرة ، فلقد ابتكر عام ١٩٣٤ فى جامعة (ديوك) أسلوباً جديداً ، يعرف باسم (اختبار أوراق اللعب) ، وفيه يحاول الشخص ، المفترض اكتسابه للقدرة على التخاطر العقلى ، استنتاج ترتيب خمس أوراق لعب مختلفة ، يتم ترتيبها عشوائياً ..

وقد يبدو هذا الاختبار هيناً ، ولكنه ليس كذلك فى الواقع ، فاحتمال استنتاج موضع ورقة واحدة ، أو تخمينه ، هو (واحد إلى خمسة) أما احتمال استنتاج موضع الأوراق الخمسة هو (واحد إلى ثلاثة آلاف ومائة وخمس وعشرين) ، وهذا يجعل التخمين مستحيلاً بالطبع ..

ولعل من أكثر ما يؤيد وجود هذه الظاهرة ، رجل يحفظ كل دارسى الظواهر فوق النفسية اسمه عن ظهر قلب ، وهو الهولندى (بيتر هيركوس) ، الذى ولد عام ١٩١١ م ، وظل يحيا كشاب عادى ، حتى انقلبت حياته رأسه على عقب فجأة فى عام ١٩٤١ م .

فى ذلك العام كان (بيتر) يعاون والده فى طلاء بناء من أربعة طوابق ، عندما زلت قدمه ، وسقط من الطابق الرابع، وتم نقله إلى المستشفى فى سرعة ، فى العاشر من يوليو ١٩٤١ م ، حيث تم إسعافه ، وقدر له أن ينجو ، وأن يغادر المستشفى فى الخامس من أغسطس ، من العام نفسه ..

ولكن شتان ما بين الدخول والخروج ..

لقد كشف (بيتر) ، وهو يرقد على فراشه فى المستشفى أنه قد اكتسب خاصية عجيبة وهى أنه ما إن يمس شيئاً .. أى شئ .. حتى تندفع إلى رأسه كل المشاهد والأصوات والأحداث ، التى عايشها هذا الشئ .. جماداً كان أو حيواناً أو نباتاً ..

وكاد المسكين يُصاب بالجنون فى البداية ..

بل لقد تصور أنه قد أُصيب به بالفعل ..

ثم اتضحت له حقيقة موهبته الجديدة شيئاً فشيئاً ..

والعجيب فى ظاهرة (هيركوس) أنه ، ولأول مرة فى التاريخ اعترفت إدارة (اسكوتلانديارد) بموهبة شخص يحوز صفة فوق طبيعية ، بل استدعت (بيتر هيركوس) إلى (إنجلترا) عام ١٩٥١ م ، حيث عاون مفتشيها على حل غموض اختفاء الماسة الشهيرة (سكون) ، وبعدها استعانت به عدة هيئات بوليسية أوربية، وحقق فى كل مرة انتصاراً مبهراً ..

وعلى الرغم من هذا لم يحظ (بيتر) باعتراف أو تأييد الأوساط العلمية ، ولم يحاول عالم واحد ، ممن أنكروا موهبته ، اختبار وجود هذه الموهبة ، بأية وسيلة، حتى أن الصحفية (نورما – لى – براونج) التى كانت من أشد المؤيدين لـ (بيتر)، قد علقت على هذا بقولها : "لقد خسروا فرصة مثالية لفحص ظاهرة غامضة" وهى على حق ، فربما أدى فحص (بيتر هيركوس) إلى إماطة اللثام عن تلك الظاهرة ..

ولكن يبدو أن البعض يخشى إماطة هذا اللثام ..

وهذا أيضاً صحيح ..

إن الرافضين لوجود هذه الظاهرة يقولون : إنه لو صح وجودها ، فسيعنى هذا أن الأسوار التى تحيط بالعقل قد تهاوت ، وأنه لم يعد هناك مكان آمن لحفظ أية أسرار ، مهما بلغت خطورتها ، فالقاعدة الأولى ، فى عالم المخابرات مثلاً ، تحظر الاحتفاظ بمعلومات مكتوبة ، وتصر على ضرورة حفظها عن ظهر قلب ، بافتراض أن العقل البشرى هو الحصن الحصين ، الذى يستحيل اختراقه ، أو نسيانه داخل درج مغلق ، أو فوق مائدة القمار ، وعلى الرغم من ذلك ، فمن يمتلك القدرة على قراءة الأفكار سيعبر أسوار العقل فى يسر وسهولة ودون أن يقاتل العمالقة مثل (جيمس بوند) ، أو يحتال ويتخابث مثل (أرسين لوبين) ..

بل قد يتمادى أصحاب هذه المقدرة الفذة ، فيفتتحون مكاتب خاصة ، على غرار مكاتب البوليس الخاص ، يعلقون على أبوابها لافتة تقول : "هنا أسرار للبيع" ..

قد تبدو الصورة خيالية أو هزلية ، فى نظر القارئ ، ولكنه ليست كذلك فى نظر العديد من العلماء ، وأجهزة مخابرات الشرق والغرب ، بل إنهم يولونها اهتماماً بالغاً ، وينكبون على دراستها فى سرية ودقة ..

ولعل القارئ يتصور الآن أننا لو استبعدنا الفريق الرافض من العلماء ، فسيتبقى أمامنا المؤيدون للظاهرة فحسب .

ولكن هذا غير صحيح ..

الواقع أنه ما من عالم – فى الكرة الأرضية كلها – يمكنه أن يجزم أو ينفى وجود هذه الظاهرة ، بصفة قاطعة ، فبعد استبعاد الرافضين لوجودها سينقسم الباقون إلى قسم أعظم ، يقف على الحياد ، غير مؤيد أو

معارض ، أو هو ينتظر ما سيتوصل إليه الآخرون ، وقسم صغير ، يميل إلى الإيمان بوجود الظاهرة، ولكنه يلقى سؤالاً أكثر أهمية ، وهو يقلب بين يديه نموذجاً صغيراً للمخ البشرى ..

من أين تنبع هذه الظاهرة ؟ ..

فعلى الرغم من التقدم الطبى والتكنولوجى والتقنى ، الذى توصل إليه العالم ، فى هذه السنوات الأخيرة من القرن العشرين ، إلا أن أجزاء كبيرة من المخ البشرى ما زالت غامضة تماماً ، وما زال ذلك العضو الرخوى البيضاوى ، الذى يبلغ وزنه التقريبى فى الرجل حوالى رطلين وعشرة أوقيات (أى ما يساوى من وزن الجسم تقريباً) يثير حيرة أعلم العلماء ..

والمخ يتكون من نصفين ، أيمن وأيسر ، يشتركان لصنع الفص الأمامى والفص الخلفى ، ثم يحوز كل منهما فصاً جدارياً ، وآخر صدغياً ، فى حين يلتقيان من الخلف عند المخيخ ، والجسم الصنوبرى الصغير ..

ولقد درس العلماء كل خلية من خلايا هذا المخ ، وعرفوا وظيفة كل جزء فيه، فيما عدا منطقتين ، توقّف أمامهما الجميع فى حيرة ، وهما الجسم الصنوبرى والفص الأمامى ، فتوصلوا إلى جزء ضئيل من وظائف الأول ، وعجزوا تماماً عن فهم وظيفة الثانى (مع الإيمان التام بأن الله – سبحانه وتعالى – لم يخلق شيئاً عبثاً)..

وأثار التحدى حماس العلماء ، وجمعوا مئات من حيوانات التجارب المسكينة، وراحوا يمزقون فصوصها ، ويغرسون فيها الأسلاك والأعمدة ، دون أن يسفر هذا عن نتائج واضحة ، بل إن مراجع الطب الشرعى تحدثت عن حالة ، انغرز فيها نصل خنجر لعشرة سنتيمترات ، فى الفص الأمامى لمخ آدمى ، دون أن يؤثر ذلك فى وظائف المصاب الحيوية ، أو حتى غير الحيوية ..

وتضاعفت حيرة العلماء ..

وبقى السؤال ..

هل الفص الأمامى هو محطة الإرسال والاستقبال التخاطرى ؟ ..

ولم يأت الجواب بعد ..

ولن يأتى ؛ لأن إثبات ظاهرة فوق نفسية ، مثل التخاطر العقلى ، كان وسيظل عسيراً ؛ لأن العلماء سيعجزون دوماً عن إمساكها بأيديهم ، وتقليبها ، ووضعها تحت المجهر وتصويرها ، وتكبيرها ، و ... و ... وإلى أن يأتى

ذلك اليوم (المستحيل) ، سنظل نردد قول أحد كبار العلماء ، المؤمنين بوجود الظاهرة :

"ينبغى أن يتوقف العلم عن محاولاته الدائبة ، لإثبات وجود هذه الظواهر ، ويحصر جهوده فى بحث كيفية الإفادة منها ، حتى لا نكون كمن يقضى عمره كله فى محاولة إثبات كونه حياً ، ثم تنقضى حياته ، دون أن يصنع فيها شيئاً واحداً.." وإلى أن تحظى ظاهرة (التليباثى) بالاعتراف ، دعونا نتخذ الحذر ، فقد يكون حولنا بعض من يمتلكون تلك القدرة ، ويسعون للتسلل خلف أفكارنا ..

وخلف أسوار العقل ..

الدراسة السادسة

لعنة الفراعنة

الدراسة السادسة

دراسة مستفيضة للدكتور نبيل فاروق حول موضوع

(لعنة الفراعنة)



١ - أوَّل الغيث..

* امتدت الصحراء المصرية على مدى البصر، أمام عينى عالم الآثار البريطانى (هوارد كارتى)، وهو يجفف ذلك العرق الغزير، الذى انهمر على جبهته ووجهه، وهو يقف تحت أشعة الشمس الحارقة، فى تلك البقعة التى قادته إليها أبحاثه ودراساته، للبحث عن مقبرة أحد ملوك الفراعنة القدامى..

كان هذا فى العقد الثانى من القرن العشرين، عندما بلغت حمى البحث عن الآثار ذروتها، وخاصة بعد الكشوف الأثرية المدهشة، التى قام بها الألمانى (هنريش شليمان)، عندما عثر على بقايا (طروادة)، فى عام ١٨٧١م، فى منطقة (هيسارليك)، شمال غرب (تركيا)، فى نفس الموقع الذى حدَّده (هوميردس)، فى ملحمته الشهيرة (الإلياذة)، وسير (آرثر إيفانز)، الذى كشف قصر التيه فى (كريت)، عام ١٩٠٠م، ليثبت أن أسطورة المينوتوروس لم تكن مجرَّد خيال محض..

وكان (هوارد كارتر) يحلم بانضمام اسمه يوماً إلى قائمة هؤلاء الأثريين العباقرة، الذين حفروا أسماءهم فى تاريخ الكشوف، بحروف من ذهب، مما جعله يحتمل الحرارة، والرمال الساخنة، والعرق الذى يلهب عينيه، طوال عدة أشهر طويلة، زاره خلالها ممول حملته اللورد (كارنرفون) مرة واحدة، تركه بعدها للعذاب، وعاد هو إلى قصره البريطانى العريق، ليتباهى بتمويل أكبر حملة للبحث عن الآثار المصرية..

حتى جاء شهر فبراير ١٩٢٣م..

فى ذلك التوقيت، عثر (هوارد كارتر) على ما كان يبحث عنه طوال الوقت..

مقبرة الملك الصغير (توت عنخ آمون)..

لم يكن (كارتر) أثرياً بسيطاً أو مغموراً، إذ كان يحيا فى (مصر)، منذ عام ١٨٩٠م؛ للتنقيب عن الآثار، ورسم المناطق الأثرية المعروفة..

ولم يكن هذا أيضاً أوَّل كشوفه؛ إذ كانت له عدة حفائر فى وادى الملوك، موَّلها بعض المغامرين الأمريكيين، وأهلته لإصدار كتابه الشهير (خمس سنوات للكشوف الأثرية فى طيبة)..

وعلى الرغم من هذا، فقد انبهر (كارتر)..

انبهر بما عثر عليه، وبالكنوز التى رآها فى مقبرة (توت غنخ آمون)، وببريق الذهب الذى يلتمع فى كل مكان، حتى أنه أبرق إلى اللورد (كارنرفون)؛ ليحضر على الفور، فى حين انشغل هو برسم كل ما يراه داخل المقبرة..

حتى تلك العبارة، التى جذبت انتباهه واهتمامه طويلاً..

عبارة هيروغليفية غير تقليدية، وجدها محفورة على أحد أبواب المقبرة، تقول : "سيطوى الموت بجناحيه، كل من يقلق الملك"..

أيامها اهتم (كارتر) بالعبارة، وترجمها، وسجلها..

إلا أنه لم يشعر بالخوف منها أبداً..

وبسرعة، انتشر الخبر، وقفزت شهرة (هوارد كارتر) إلى الذروة، فى عالم الباحثين عن الآثار..

وقفز معه بالتالى اسم اللورد (كارنرفون)..

ومع وصول اللورد المغامر، الذى اشتهر باهتماماته المتعددة والمثيرة، راح الصحفيون يتدفقون على المكان كالنمل.

ومع عدسات كاميراتهم، ظهرت صور الجدران، والتوابيت، والتماثيل.. والذهب..

الذى الذى زغلل عيون الجميع، حتى الحكومة المصرية نفسها، التى فوجئت، أو بدا وكأنها فوجئت، بأن القانون يمنح المكتشف دوماً ما يعثر عليه من آثار، مهما بلغت قيمتها..

وفى حالة (كارتر)، كانت (مصر) ستفقد كنوزاً لا حصر لها، وتحفاً أثرية تتجاوز كل ما عرفه العقل، لو تم تطبيق القانون..

لذا، فقد رفضت الحكومة المصرية تطبيق القانون، ورفضت منح (كارتر) أو (كارنرفون) ولو حلية واحدة، مما تم العثور عليه فى المقبرة.. بل لقد أحاطتها بحراسة قوية، واعتبرتها أرضاً مصرية، لها عليها كل السطوة والسيادة..

وبالطبع، لم يستسلم (كارتر) لهذا، وقام بتهريب بضع قطع من آثار مقبرة (توت غنخ آمون) إلى (لندن)، ولكن كل الآثار الثقيلة بقيت..

ومعها تلك العبارة الرهيبة..

"سيطوى الموت بجناحيه كل من يقلق الملك"..

وكان من الممكن أن تبقى العبارة إلى الأبد، مجرد جملة، سجلها كاهن مصرى قديم، من باب المجاملة، أو حتى القناعة الشخصية، على أحد جدران مقبرة أصغر ملوك الفراعنة..

لولا ما حدث بعد هذا بقليل..

فبعد شهرين من هذه الضجة تقريباً، وقبل أن يفقد اللورد (كارنرفون) زهوة انتصاره، أو يبتلع مرارة حرمانه من كل هذا الذهب، جرح الرجل ذقنه جرحاً صغيراً أثناء الحلاقة..

وبسرعة لم يستوعبها أحد، أصيب اللورد البريطانى بحمى غامضة رهيبة، رفعت درجة حرارته إلى حد الهذيان، ودفعته إلى الصراخ والعويل طوال الوقت، وهو يصرخ بأنه فى قلب الجحيم، وبأن ملوك الفراعنة يحيطون به، بعد أن جاءوا للانتقام منه، لأنه فتح مقبرة أصغرهم، ودنسها بتواجده البشرى غير الطاهر..

ولفترة قصيرة جداً، واصل اللورد هذيانه وصراخه، ثم لم يلبث أن أسلم الروح، فى الخامس من أبريل، عام ١٩٢٣م..

ومع موت اللورد، فى ريعان قوته، استعاد بعض الصحفيين تلك العبارة، المنقوشة على مقبرة الفرعون الصغير، وانطلقوا ينشرون مقالاتهم عنها وحولها، ويربطون بينها وبين موت (كارنرفون)..

وهنا فقط، ظهر ذلك المصطلح الشهير، الذى لم يفارق أسماعنا وأذهاننا، وعقولنا بعدها قط..

مصطلح (لعنة الفراعنة)..

وكما يحدث دوماً، فى كل مرة تنشأ فيها بدعة جديدة، انتشر المصطلح بسرعة مدهشة، وراح الكل يرددونه، ويناقشونه، ويفحصونه، ويمحصونه..

وكما يحدث أيضاً، انقسم المتابعون، بين مؤيد ومعارض للفكرة..

المؤيدون أكَّدوا أن الفراعنة عاشوا عالماً عجيباً غريباً، ترك لنا الكثير من الغوامض والأسرار، التى لم يمكننا كشفها بعد، فليس من المستبعد إذن أن يخلفوا وراءهم لعنة ما، تصيب كل من يدنس قبورهم، حتى ولو كان هذا بحجة تحقيق كشوف أثرية جديدة..

والمعارضون أصروا على أنه لا توجد ركيزة علمية واحدة، يمكن أن تؤيد الفكرة، وأنه من السخافة أن يتردَّد أمر كهذا، لمجرَّد أن ممول حملة (هوارد كارتر) قد لقى مصرعه بحمى غير معروفة..

وبين هؤلاء وهؤلاء، وقف (هوارد كارتر) نفسه، يعلن فى كل المجتمعات، وكل المحافل العلمية، أنه لم ولن يؤمن أبداً بما يسمونه لعنة الفراعنة؛ لأنه مستكشف قديم، واجه الأمر عشرات المرات، دون أن يصيبه مكروه واحد..

والمدهش أن هذا لم يقنع أحداً، خاصة وأن حالات الوفيات، والموت بأسباب غير معروفة، راحت تنتشر على نحو ملفت للأنظار، بين كل من كانت له علاقة مباشرة، أو غير مباشرة، بكشف مقبرة (توت غنخ آمون)..

وعندما هل عام ١٩٢٩م، كان عدد من وافتهم المنية منهم، لأسباب غير واضحة، اثنين وعشرين رجلاً..

وفى العام نفسه، وفى جلسة خاصة، أعلنت زوجة (كارنرفون) أنها أيضاً لا تؤمن بلعنة الفراعنة، ولا تصدق أن الموتى يمكنهم قتل الأحياء، بأية وسيلة كانت..

وكان من الممكن أن ينهى تصريحها هذا القضية ويحسمها، لولا تطوّر مفاجئ، لم يكن فى الحسبان أبداً..

فقبل أن يكتمل الأسبوع، أصيبت زوجة كارنرفون) بالحمى الغامضة نفسها، التى أصيب بها زوجها؛ وراحت تهذى وتصرخ ليومين تقريباً، قبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة على فراشها، تاركة خلفها أكبر موجة من الرعب، عرفها التاريخ الحديث، حتى تلك الفترة..

رعب لعنة الفراعنة..

ولفترة طويلة، لم يعد هناك حديث للصحافة ووسائل الإعلام، سوى عن الفراعنة.. ولعنة الفراعنة..

وظهرت فى الأسواق كتب، ودراسات، وروايات، وحتى أفلام سينمائية صامتة، تدور كلها حول لعنة الفراعنة..

ومن بين تلك الكتب، ظهر كتاب يحمل للمهتمين بالأمر مفاجأة مثيرة للغاية..

مفاجأة تقول : إن لعنة الفراعنة لم تبدأ مع فتح مقبرة (توت غنخ آمون)، بل كانت هناك قبل هذا بقرن من الزمان على الأقل..

ولقد ارتبطت فعلياً باثنين من مشاهير العلم..

أو ربما أشهرهم..

على الإطلاق.

٢ - لعنة المشاهير..

* ذات صباح دافئ، من شتاء عام ١٧٩٩م، وبمصادفة رتبها القدر حتماً، وأثناء الحملة الفرنسية على (مصر)، عثر جندى فرنسى على حجر فى مدينة (رشيد) المصرية، يعتبره علماء الآثار، فى يومنا هذا، أعظم كشوف القرن على الإطلاق..

فذلك الحجر، الذى أطلقوا عليه اسم (حجر رشيد)، والذى هو من مادة البازلت، كان يحوى كتابات بثلاث لغات.. اليونانية القديمة، والقبطية أو الديموطيقية، والهيروغليفية..

وتعود الأهمية الأثرية البالغة لهذا الحجر، إلى أنه حتى كشفه، كانت الهيروغليفية، بالنسبة للعالم كله، مجرد نقوش منظمة، يسعى العلماء لاستنتاج أو استنباط ما تعنيه، دون أن يتمكنوا من حل رموزها، أو تحديد منطوقها، بأى حال من الأحوال.. وعندما تم كشف (حجر رشيد)، وجد الأثريون أن الكتابة اليونانية، هى ترجمة أمينة ودقيقة للكتابة الديموطيقية، الموجودة على وجه آخر منه..

وكان هذا يعنى، من باب المنطق، أن الكتابة الهيروغليفية، هى أيضاً ترجمة أمينة ودقيقة للنص نفسه..

وعلى الرغم من أن وسائل الاتصال كانت ضعيفة للغاية، فى ذلك الزمن، مقارنة لما أصبحت عليه، بعد قرن واحد من الزمان، وليس فى عصرنا الحالى بالطبع، والذى حدث فيه تطور مدهش، فى نظم ووسائل الاتصال، فى الفترة بين مقدمة المقال، وهذه السطور، فقد طار الخبر إلى (أوروبا) كلها، فانتعش علماءها، والتهب حماسهم، والتهبت عقولهم، وهم يجدون أمامهم فرصة نادرة، لكشف أسرار وغوامض اللغة الهيروغليفية، مع كل ما قد يحمله هذا من كشف لتاريخ (مصر) القديمة، وفراعنتها، وعلومها، وأسرارها الخفية، التى لم يصل العلم الحديث، إلى بعضها، حتى لحظتنا هذه..

ولأن (نابليون بونابرت)، الذى كانت حملته تحتل (مصر)، فى ذلك الحين، كان مغرماً بالعلم والعلوم، ويرغب دوماً فى أن يرتبط عصره بالكشوف العظيمة، فى كل المجالات، فقد سارع بنقل الحجر إلى (باريس)، حتى تتم دراسته، على أيدى الخبراء هناك..

وبكل شغف ولهفة الدنيا، أقبل العلماء على فحص الحجر، وتدوين ما عليه من كتابات ونقوش، ثم راحوا يدرسون، ويفحصون، ويمحصون، و...

ويبأسون أيضاً..

فالأمر لم يكن أبداً بالسهولة، التى أوحى بها الأمر منذ البداية..

فلا أحد منهم كان يعمل من أين يبدأ الترجمة!!.. أمن اليمين، أم اليسار، أم من أعلى، أو أسفل..

ولسنوات وسنوات، وعلى الرغم من كل ما بذله العلماء من جهد، فقد فشلت كل محاولاتهم لترجمة اللغة الهيروغليفية، وكشف أسرارها..

حتى جاء (شامبليون)..

كان (جان فرانسوا شامبليون) من العلماء الشبان، الذين عشقوا الحضارة الفرعونية، منذ نعومة أظافرهم، والذين جذبهم بشدة (حجر رشيد)، وكل ما يمكن أن يمنحه من كشوف هائلة، لذا فقد اتخذ قراراً جريئاً، بأن يتفرغ تماماً لمهمة فحصه، وترجمته، وكشف أسرار اللغة الهيروغليفية، التى ستساعد العالم كله على الإطلال من نافذة هائلة، على حضارة تعد الأعظم، بين كل الحضارات، التى شهدها العالم القديم..

ولقد بدأ (شامبليون) مهمته، وهو فى الحادية والعشرين من عمره، وتفرغ لها تماماً، وراح يوصل الليل بالنهار، بحثاً عن طرف خيط، يمكن أن يقوده إلى حل اللغز..

ثم، وعلى خلاف الآخرين، لاحظ (شامبليون) أن عدد أسماء الملوك، فى النصين اليونانى والديموطيقى، يتطابق تماماً مع عدد الخراطيش، فى النص الهيروغليفى، لذا فقد استنتج من هذا أن الخراطيش تحوى داخلها أسماء الملوك..

ومن هنا، انطلق (شامبليون)..

وبحسبة بسيطة، حدَّد أسماء الملوك، فى النص الهيروغليفى، وترجمها، وسجل حروفها، وانطلق منها إلى باقى النص..

وبعد إحدى عشر عاماً، وفى عام ١٩١٦م، توصل (شامبليون) إلى أعظم كشوف الزمان، فى علم الآثار والتاريخ القديم، وحل رموز اللغة الهيروغليفية..

وفتح أنظار العالم كله على الفراعنة..

وعلى دنيا الفراعنة..

وفي ليلة وضحاها، أصبح (شامبليون) أعظم علماء عصره، وهو بعد في الثانية والثلاثين من عمره، وأحاطت به الشهرة من كل جانب، وتحوَّل إلى أشهر خبير في لغة الفراعنة، و...

وفجأة، تفجَّرت في وجهه اللعنة..

فعلى حين غرة، ودون أسباب واضحة، أصيب (شامبليون) بشلل رباعي، وحمى غامضة، وراح يهذي ويرتجف، ثم لم يلبث أن قضى نحبه، تاركاً خلفه من يروى هلاوسه الأخيرة..

وبالمصادفة، كانت كلها عن الفراعنة.. وانتقام الفراعنة..

كان هذا عام ١٩٣٢م، كما يروى لنا ذلك الكتاب، الذى تحدَّث عن تاريخ لعنة الفراعنة، السابق لاكتشاف مقبرة (توت غنخ آمون).

ولا يكتفي الكتاب بربط أشهر عالم آثار بتلك اللعنة الوهمية، وإنما يسبح معنا إلى ما هو أبعد من هذا..

إلى (تيودور بلهارز)، أستاذ علم التشريح المرضى، ومكتشف أشهر مرض يصيب المصريين، منذ أيام الفراعنة..

البلهارزيا..

ويقول الكتاب أن (تيودور بلهارز) قد قضى شطراً طويلاً، في حياته القصيرة، يطارد تلك الدودة القاتلة، التي تخترق أجساد المصريين، وتستقر في أكبادهم، وتدمرهم تدميراً بطيئاً منتظماً، وتسلبهم نشاطهم وحيويتهم..

ثم حياتهم فيما بعد..

وبعد تلك السنوات، خطرت في ذهن (بلهارز) فكرة عجيبة..

ترى متى بدأت (البلهارزيا) في حربها مع المصريين؟!..

وفي سبيل إجابة السؤال، لجأ (بلهارز) إلى أمر لم يخطر ببال سواه قط، إذ انتقل بأبحاثه من الموتى المصابين بالمرض، إلى مومياوات الفراعنة القدامى، وبالذات تلك الخاصة بالعمال والمزارعين، الذين تدفعهم ظروف عملهم للخوض في مياه النيل طوال الوقت..

أيامها، لم يكن للآثار قيمتها الحالية، ولم تكن هناك تشريعات قوية، لحمايتها والحفاظ عليها، لذا كان من الممكن أن يبتاع (بلهارز) بعض المومياوات، التى يتم العثور عليها فى الجنوب، أثناء أعمال الحفر والبناء، وأن يجرى عليها تجاربه..

وكان هذا يعنى بالطبع نبش قبور القدامى، واستخراج مومياواتهم، بل وتشريحها والتمثيل بها أيضاً..

ولقد نجحت تجارب (تيودور بلهارز) إلى حد كبير، إذ أثبت بالفعل أن المصريين القدامى أصابتهم (البلهارزيا)، منذ آلاف السنين، بل وعثر على بعض الديدان المحنطة داخلهم بالفعل..

ولكن فجأة، وقبل أن يسجل (بلهارز) تجاربه رسمياً وعلمياً، أصابته حمى مجهولة..

حمى لا تشبه التيفوئيد، أو أية حمى معروفة أخرى..

ومع الحمى، التى لم يتم تشخيصها أو علاجها بالطبع، راح (بلهارز) يهذى، ويصرخ ويهذى وتراوده هلاوس عجيبة، حول المومياوات، التى قام بتشريحها، والتى بدت له وكأنها قد عادت إلى الحياة، لتنتقم من ذلك الذى أقلق راحتها، ومثَّل بها، و...

ومات (تيودور بلهارز)، عام ١٨٦٢م، وهو بعد فى السابعة والثلاثين من عمره، بتلك الحمى المجهولة، التى لم يتم تشخيص أعراضها، حتى يومنا هذا..

وفى هذه المرحلة، لا يحاول الكتاب وضع تفسيرات علمية أو منطقية، لما أصاب (شامبليون) أو (بلهارز)، ربما لأنه شغف بمحاولة تأكيد فكرة لعنة الفراعنة، بأكثر مما اهتم بتفسيرها..

ولكن هذا كان دأب الجميع، فى تلك المرحلة الزمنية، خاصة وأن الفكرة نفسها بدت جذابة ومثيرة، خاصة وهى ترتبط بعالم الأسرار والأساطير، وحمى السحر والتنجيم والغموض..

ودون أية دلائل علمية أو تاريخية، أعقبت ذلك الكتاب عدة كتب أخرى، تنسب موت عشرات المشاهير إلى لعنة الفراعنة، التى صارت صرعة النصف الأول من القرن العشرين..

حتى (يوليوس قيصر) نفسه، ادعوا أن لعنة الفراعنة قد طاردته، وأصابت عقله بحمى جنونية، دفعته إلى تلك الأفعال الديكتاتورية، التى انتهت بمقتله واغتياله، على يد مجموعة من المقربين له، وعلى رأسهم ربيبه (بروتس)..

وأصيب الناس بالضجر والملل، من هذه الكتب السخيفة، وقرَّروا تجاهلها فجأة، فانخفضت مبيعاتها إلى حد كبير، وبدا وكأن لعبة لعنة الفراعنة هذه قد بلغت نهايتها، و..

وفجأة، ظهر كتاب جديد في الأسواق..

كتاب قلب كل الموازين، رأساً على عقب..

وبمنتهى العنف.

٣ - تايتانيك..

* في صيف ١٩٨٥م، وبعد أشهر من البحث، استقل البروفيسير (روبرت بولارد)، المتخصِّص في تصوير الأعماق، الغوَّاصة العلمية (ألفن)، والمجهزة للغوص حتى مسافة ١٣ ألف قدم، تحت سطح المحيط، لاستكمال مشروع البحث عن حطام سفينة، غرقت منذ ثلاثة وسبعين عاماً تقريباً..

كانت الغوَّاصة (ألفن) مزوَّدة بإنسان آلي صغير، يكمن في تجويف خاص في مقدمتها، ويمكن إطلاقه بوساطة قائدها، إلى مسافات تعجز الغوَّاصة عن بلوغها، في أعمق الأعماق..

وعبر كاميرا صغيرة، في مقدمة الآلي (أرجو)، راح البروفيسير (بولارد) يتلقى عشرات الصور، لأعماق المحيط الأطلنطي، فيفحصها ويراجعها بمنتهى الدقة، دون أن يعثر فيها على أدنى أثر لما يبحث عنه..

ثم فجأة، بدأ (أرجو) يرسل مجموعة من الصور الإيجابية..

صور لم تكن واضحة في البداية، إلا أنها لم يلبث أن اتضحت رويداً رويداً، وأصبحت جلية نقية، على نحو انتفض به قلب (بولارد) بين ضلوعه، وتفجَّر معه الحماس في قلوب كل رجل من رجال بعثته الصغيرة..

هذا لأن (أرجو) قد عثر أخيراً على السفينة موضع البحث..

والأهم، أنها لم تكن سفينة عادية..

بل كانت أشهر سفينة غارقة، في التاريخ الحديث كله..

كانت (تايتانيك)..

و(تايتانيك) هذه كانت سفينة عظيمة هائلة، تعتبر طفرة تاريخية في تاريخ صناعة وبناء السفن، إذ أنها أضخم سفينة ركاب شهدها العالم، حتى تاريخها، إذ بلغ وزنها ٥٢٣١٠ طناً، وبلغ طولها ٨٨٢ قدماً، وعرضها ٩٤ قدماً في المتوسط، كما أن ارتفاعها كان يبلغ ارتفاع مبنى من أحد عشر طابقاً..

حتى اسمها، كان يعني المارد..

ولم تكتف (تايتانيك) بالضخامة، وإنما أضافت إليها الفخامة المفرطة أيضاً، والتى لم تعرفها سفينة ركاب من قبل، وبالذات فى درجتها الأولى، ذات حجرات النوم الهولندية، وقاعات الطعام الكبيرة، والصالونات الفاخرة، والشرفات الضخمة...

وعندما تم الإعلان عن تدشين (تايتانيك)، تسابق كبار الأثرياء والتجار لحجز أماكنهم عليها؛ للفوز بأولى رحلاتها، التى ستعبر خلالها المحيط، حتى تصل إلى الشاطئ الأمريكى.

وفى العاشر من أبريل ١٩١٢م، ترقب العالم بمنتهى اللهفة، رحلة (تايتانيك) الأولى عبر المحيط، وأحيطت تلك الرحلة بدعاية هائلة، حتى لقد اصطف آلاف الناس، على رصيف ميناء (كوينستون) فى (إنجلترا)، بين مودعين ومشاهدين، لمراقبة السفينة العملاقة، والانبهار بها، ومشاهدة انطلاقتها الأولى، وعلى متنها صفوة الأثرياء ورجال المجتمع، وفى قاعها مئات من مسافرى الدرجتين، الثانية والثالثة..

وانطلقت (تايتانيك)..

انطلقت تمخر عباب المحيط، فى زهو وخيلاء، وصاحبها يُعلن، فى تعال مغرور، أن سفينة من القوة والضخامة، حتى أن القدر نفسه، لا يمكنه أن يغرقها..

ويا لها من عبارة جاحدة، متجنية، مغرورة، حمقاء..

ففى الرابع عشر من أبريل، وبعد أربعة أيام فحسب من بدء رحلتها، وبخطأ ملاحى صغير، ارتطمت العملاقة (تايتانيك) بجبل جليدى ضخم، لم يدر أحد، حتى هذه اللحظة، كيف لم يره قبطانها ومهندسوها وبحارتها..

وعلى الرغم من أن السفينة الماردة، كانت مصممة بحيث يمكن عزل أى قسم يصاب منها، عن باقى أجزاءها، إلا أن المياه قد غمرتها بسرعة مدهشة، لم تسمح باتخاذ أية إجراءات وقائية..

وابتسم القدر فى سخرية، عندما بدأت (تايتانيك) تواجه ما تصوَّر صانعوها أنه مستحيل!!..

الغرق..

وطوال اثنتى عشرة ساعة كاملة، وكم هائل من الرعب، واضطراب ما له من حدود، راحت (تايتانيك) تغرق.. وتغرق.. وتغرق..

وفى يوم ١٥ أبريل ١٩١٢م، اختفت (تايتانيك) تماماً، فى قاع المحيط الأطلنطى..

وكان يمكن ألا نربط بين غرقها ولعنة الفراعنة، بأى حال من الأحوال، لولا ما نشره أحد الناجين منها فيما بعد، مع روايته كشاهد على عملية غرق أشهر سفينة فى التاريخ..

ففى شهادته، أشار الرجل بشكل عابر، إلى أن مخزن بضائع السفينة كان يضم تابوتاً لكاهنة فرعونية، ارتبط وجوده بأحداث مخيفة رهيبة، قبل أن يغرق مع كل ما غرق ومن غرق مع (تايتانيك)..

فمنذ تم وضع التابوت فى مخزن البضائع، فى قاع (تايتانيك)، كان عمال المخزن يرون ويسمعون ما أصابهم بالرعب، وجعلهم يطالبون بإعفائهم من العمل، أو نقلهم إلى وظيفة أخرى، حتى ولو تم تخفيض رواتبهم، أو مضاعفة جهدهم..

فما أن يحل الليل، كانوا يسمعون تأوهات الكاهنة، ويرون شبحها، و...

والواقع أننى شخصياً لا أصدق حرفاً واحداً من كل هذا، بل وأشعر معه بالكثير من الخيال والتدليس، خاصة وأنه ليس من السهل أن تتواجد امرأة فى عالم الكهنة، فى (مصر) الفرعونية..

ثم أن أحداً لم يعثر على ذلك التابوت المزعوم قط، بعد العثور على حطام (تايتانيك)، وكل ما كان على سطحها تقريباً..

إلا أن القصة تجدى صدى كبير، لدى كل المتابعين لأسطورة لعنة الفراعنة، وكل من يسعى لإثبات صحتها أو عدمها، حتى أنك ستجدها فى عشرات الكتب والمراجع، الخاصة بهذا الأمر..

وعندما تم سؤال البروفيسير (روبرت بولارد) عن قصة تابوت الكاهنة هذه، جاءت إجابته غامضة للغاية، إذ أنه لم يؤكد وجوده، كما لم يؤكد فى الوقت ذاته العثور على عشرات الأشياء الأخرى، ولكنه لم ينف فكرة تواجده تماماً، وإنما أشار إلى أن عشرات السنين، التى قضتها (تايتانيك)، فى قاع المحيط الأطلنطى، كانت كافية تماماً لتحلل وفساد واختفاء عشرات الأشياء، من سطحها، وقاعها، ومخزن بضائعها بالطبع..

وجواب البروفيسير (بولارد) منطقى تماماً، فالتابوت كان مصنوعاً من الخشب، وليس من الحجر، والمومياء ستتلف حتماً، وسط المياه المالحة، وربما تلتهما الأسماك أيضاً..

أو أن هناك تفسير آخر..

ففور الإعلان عن العثور على حطام السفينة العملاقة، تسابق مئات من هواة التحف والأثريات، لحجز وشراء أى شئ، تم العثور عليه داخلها..

وهناك شائعة قوية، تقول: إن أحد كبار الأثرياء الأمريكيين قد ابتاع التابوت سراً، وبداخله مومياء الكاهنة بالطبع، خشية أن يطالب به متحف (نيويورك) رسمياً، نظراً لأنه كان مشحوناً لحسابه، بالفعل، عندما غرقت (تايتانيك)..

ولكنها تبقى مجرد شائعة..

تماماً ككل ما يرتبط بتلك اللعنة الوهمية المزعومة..

فمن المدهش أنه، وعلى الرغم من انتشار المصطلح، ومن آلاف القصص والروايات، وأفلام السينما، والكتب التى دارت حوله، إلا أنه لا توجد قصة دقيقة واحدة، أو حتى رسالة علمية منطقية، حاولت البحث عن الأمر..

كل ما حدث هو عملية رصد دقيقة لحالات الوفيات، بين معظم من عملوا فى مجال البحث عن الآثار الفرعونية..

والفرعونية بالتحديد..

فالعجيب أن أحداً لم يتحدث عن أية لعنة، تصيب الباحثين عن الآثار الرومانية، أو اليونانية، أو الآشورية، أو حتى حضارات الأنكا، فى (أمريكا) الجنوبية.. فقد ارتبطت اللعنة بالآثار الفرعونية..

وبالذين سعوا خلف الآثار الفرعونية..

الرحالة الشهير (بلزونى) مثلاً، جاب العالم، بحثاً عن الآثار، فى مختلف البلدان، وحقق انتصارات مدهشة ومثيرة، دون أن يصيبه مكروه..

ثم جاء إلى (مصر)، وبدأ ينبش قبور الفراعنة، ونقل قاعدة تمثال (آمون) من (الأقصر)، وانتشل مسلة من قاع النيل، وأجرى أبحاثاً طويلة عن هرم (خوفو)، بحثاً عن مدخله، واقتحم المقابر، والمعابد، واستخرج الجثث، والمومياوات، والعظام..

ثم فجأة، أصابه ذلك المرض الغامض، الذى أصاب معظم علماء الآثار، فسيطرت عليه حمى لاهبة، وأصابه الهذيان، وطاردته الهلاوس، حتى لقى حتفه، فى مساء الثالث من ديسمبر، عام ١٨٢٣م، وهو بعد فى الخامسة والأربعين من عمره..

نفس الحمى..

ونفس النهاية..

ولأن حالات الموت متشابهة دوماً، فى كل من أصابته لعنة الفراعنة المزعومة، فقد جذب هذا انتباه واهتمام البروفيسير الألمانى (فيليب فاندنبرج)، والذى خرج إلينا بتفسير جديد للعنة الفراعنة..

تفسير علمى..

ولأوَّل مرة.

***

٤- وخرث العلم..

* عبر السنوات الطويلة، التى تردَّد خلالها مصطلح (لعنة الفراعنة)، كانت معظم الكتب والدراسات، الخاصة بها، تقتصر على تسجيل ورصد الحالات، التى ارتبطت بالتنقيب عن آثار فرعونية، والتى لاقت مصيراً غامضاً، وعانت من حمى غامضة مجهولة، تنتهى عادة بالوفاة..

ثم جاء كتاب البروفيسير الألمانى (فيليب فاندبنرج)..

وكتاب (فاندبنرج) يعد موسوعة علمية متكاملة، عن (لعنة الفراعنة)، ومحاولة شديدة الجرأة؛ للبحث عن تفسير علمى لها، من خلال مختلف اتجاهات العلم، بدءاً من الكيمياء، ووصولاً إلى الإشعاعات النووية..

ولقد اهتم (فاندبنرج) كثيراً بتسجيل معظم الحالات، التى أصابتها (لعنة الفراعنة)، من وجهة نظره، ثم توقف طويلاً عند تلك الحمى، التى أصيبت بها معظم الحالات، والتى أدت إلى الهذيان والهلوسة، ثم الموت فيما بعد..

ومن هنا، وضع العالم الألمانى نظريته..

ونظرية (فاندبنرج) تربط لعنة الفراعنة بثلاثة احتمالات علمية، تبدو فى جانب منها منطقية ومعقولة، إلى حد كبير..

الاحتمال الأوَّل هو أن تحوى مقابر الفراعنة، وملوكهم على وجه الخصوص، غازات سامة، أو عقاقير وأتربة بطيئة المفعول، من ابتكار الكهنة، الذين أخفوا دوماً علومهم عن العامة، وإن تركوا لنا دلائلها، من خلال سر التحنيط، الذى حار فيه علماء الكيمياء، حتى يومنا هذا..

ومن وجهة نظر العالم الألمانى، أن الكهنة قد ابتكروا نوعاً من السموم شديدة البطء، أشبه بعقاقير الهلوسة، ومزجوها بأتربة المقابر الخاصة بالملوك، كوسيلة لعقاب كل من تسول له نفسه نبشها أو سرقتها..

وربما كانت تلك العقاقير أكثر تأثيراً فى الماضى، وأسرع مفعولاً، إلا أن خواصها قد تغيرت تماماً، عبر آلاف السنين من التخزين، ولكنها، وفى كل الأحوال، تترك أثرها فى دماء كل من يقتحم المقابر الفرعونية، ويستنشق ترابها، ثم يبدأ تأثيرها بعد عدة سنوات، على شكل حمى، وهذيان، وهلوسة..

والاحتمال قد يبدو منطقياً للوهلة الأولى، إلا أن قليل من التفكير فيه، يجعلنا ندرك عقمه تماماً، إذ أن العلم قد قطع شوطاً ضخماً، فى السنوات العشر الأخيرة، وأصبح من السهل تحليل أتربة المقابر، ومعرفة كل ما تحويه، بل إنه هناك مراكز متخصصة لأبحاث التربة، يمكنها تحديد مكونات أية عينة من الأتربة بمنتهى الدقة..

وبمنتهى السرعة أيضاً..

والكشوف الأثرية ما زالت مستمرة، ولم تتوقَّف حتى الآن، ولو أن احتمال السموم بطيئة المفعول هذا وارد، لتوصل إليه العلم الحديث فوراً..

ولكن (فاندبنرج) نشر كتابه فى سبعينات القرن العشرين، وقبل أن يبلغ العلم هذا الحد، أو تظهر أجهزة وبرامج الكمبيوتر، التى قلبت كل الموازين، رأساً على عقب..

ولكن دعونا لا نتوقف طويلاً عن الاحتمال الأوَّل، ولننتقل منه إلى الاحتمال الثانى، والأقرب إلى المنطق..

الفيروسات..

فالبروفيسير الألمانى يفترض أنه كان هناك فيروس قديم، كامن فى أتربة مقابر ملوك الفراعنة..

فيروس ساد فى القرن القديمة، أو استخدمه الكهنة أيضاً، فى فترة ما، أو أنهم قد ورثوه من حضارة سابقة!!..

وذلك الفيروس ينتقل إلى أجساد من يقتحم المقابر، ويسرى فى دمه وأنسجته، ليقضى فيها فترة حضانته، التى تبلغ سنوات وسنوات، وترتبط بالقابلية الشخصية للإصابة، وبقوة مناعة الجسم، التى تختلف من شخص إلى آخر.. وعندما يبدأ ذلك الفيروس المفترض نشاطه، يصاب الإنسان بالحمى، التى تهاجم المخ على الأرجح، مسببة الهذيان والهلوسة..

والاحتمال هذه المرة منطقى وعلمى تماماً، ويمكننا هضمه واستيعابه، إلى حد كبير، وخاصة بعد ظهور فيروس (الإيدز)، الذى يكمن فى الأجساد لسنوات طويلة بالفعل، قبل أن تبدأ أعراضه فى الظهور..

ثم أن فكرة الفيروس هذه تتناسب مع الحمى المخية، والهذيان، والهلوسة، والوفاة أيضاً..

وكذلك تتفق مع عجز الأطباء عن تشخيص المرض، فى عصر لم تكن الأبحاث الطبية قد تطوَّرت إلى الحد الكافى، لكشف مثل هذه الكائنات الدقيقة، واستيعاب طبيعتها وأعراضها..

ولكن تعود بنا الخيوط إلى السؤال الأوَّل..

لماذا لم يعد ذلك الفيروس يظهر، فى الكشوف العلمية والأثرية الحديثة؟! هذا السؤال نتركه للبروفيسير الألمانى، ونتركه لعقولنا، تدرسه، وتناقشه، وتحلله..

ثم تتوصل إلى نتائجه..

أما نحن، فسننتقل إلى الاحتمال الثالث، فى نظرية (فاندبنرج)..

والاحتمال الثالث مدهش، ومثير للحيرة، ولست أدرى حتى كيف وضعه العالم الجليل، ولكن يبدو أن إيمانه بالفراعنة كان يتجاوز كل الحدود..

فذلك الاحتمال، هو أن ترتبط (لعنة الفراعنة) بنشاط إشعاعى ذرى، ظل مختزناً داخل مقابر الملوك لآلاف السنين، لينطلق فى وجه كل من ينبشها..

وربما يتفق الاحتمال مع بعد التأثير، ومع أعراض الحمى والهلوسة والهذيان، والموت فى نهاية المطاف، كما يتفق أيضاً مع عجز الأطباء القدامى عن تشخيص الحالات، وحيرتهم فى مواجهتها، إلا أنها تضعنا أمام احتمال جديد، يبدو أكثر خيالاً من كل ما سبقه..

احتمال أن الفراعنة كانت لديهم معرفة دقيقة بالنشاطات الإشعاعية.. وهذا أمر غير مقبول على الإطلاق..

حتى لو افترضنا أنهم قد توصلوا إلى تراب اليورانيوم مثلاً، وأن الكهنة قد أدركوا أنه يختلف عن التراب العادى، وأن له تأثيرات فتاكة على كل من يلمسه أو يستنشقه، فسنتساءل بدورها، كيف أمكنهم اتقاء تأثيره عليهم، دون أن تكون عندهم أبحاث، ودراسات، ووسائل مقاومة؟!..

ولو افترضنا أن هذا قد حدث بالمصادفة، ودون وعى منهم، وأن بعض المواد، الداخلة فى مساحيق التحنيط، كانت مواد مشعة فتاكة، فأين ذهبت هذه المواد، ولماذا غاب تأثيرها، واختفت من المقابر، على الرغم من أنها قد بقيت لآلاف السنين؟!..

ثم لماذا تواجدت فى الكشوف القديمة، ولم تتواجد فى الكشوف الحديثة؟! كل هذا ينبغى أن يقودنا إلى نتيجة واحدة لا غير، مع جزيل احترامنا للبروفيسير (فيليب فاندبنرج)، وشهرته، وعلمه الغزير..

يقودنا إلى أنه لا وجود لما يسمى بـ(لعنة الفراعنة)!..

ربما كانت هناك حوادث عديدة، ترتبط بكل من نقب عن الآثار، فى أزمته انخفضت فيها درجة الوعى الصحى، إلا أن هذا لا يعنى وجود لعنة أسطورية، صالحة لخيال الكتاب والسينمائيين، ولكنها غير قادرة على إقناع أى صاحب عقلية علمية أو منطقية..

وهنا، ينبغى أن أضم صوتى لكل الأصوات، التى ترفض، وبشدة، فكرة (لعنة الفراعنة) هذه، والتى تستنكر حتى ترديد المصطلح، أو حتى مناقشة احتمالات صحته..

وأهم ما ينبغى معرفته، فى هذا الشأن، هو أن أكثر من هاجم الفكرة، وحارب لإثبات زيفها وحمقها، هو الشخص الذى ارتبط اسمه بمنشئها، منذ أول مرة ظهر فيها المصطلح..

(هوارد كارتر) شخصياً..

فمع شغف الناس بالحديث عن الأمر وترديده، كتب (كارتر) عدد كبير من المقالات، وألقى مئات المحاضرات، واشترك فى عشرات الندوات، ليهاجم الفكرة، ويؤكد أنها مجموعة من المصادفات السخيفة، بدليل أنه أول من دخل مقبرة (توت غنخ آمون)، أو أول من رصد ما بداخلها، لو شئنا الدقة، ولم تصبه أية أعراض، يمكن أن ترتبط بالمصطلح..

لا ألم، أو حمى، أو هذيان، أو هلوسة..

ولقد عاش (كارتر) حتى عام ١٩٣٩م، فى صحة جيدة، ودون أن يعانى سوى من الأعراض الطبيعية للتقدم فى العمر، حتى مات ميتة هادئة فى فراشه، وهو يواصل إنكاره واستنكاره لفكرة (لعنة الفراعنة)..

ولكن العجيب والمدهش أن أحداً لم يستمع إليه..

هذا لأن الفكرة، بما تحويه من أسطورية وغيبيات، قد استهوت الناس، فى كل أنحاء العالم، وأصبحت مادة تجارية رابحة، ووسيلة لترويج مئات الكتب، والروايات، والدراسات، وأفلام السينما..

وهكذا أغلقنا جميعاً باب العقل والمنطق، وغرقنا حتى النخاع فى هلاوس وخزعبلات وخرافات، وروايات لا أثل أو أساس لها..

أو ربما نفعل هذا كجزء من لعنة، تلازمنا جميعاً بلا هوادة..

لعنة الفراعنة.

تمت بحمد الله

الكتاب الثانى

قصص قصيرة

القصة الأولى

لو علمتم الغيب

لو علمتم الغيب

انطلق حسن غنيم بسيارته، في ذلك الطريق المظلم، الذي يربط قريته بالطريق الرئيسي، وهو يهمهم بكلمات ساخطة غاضبة، ويعقد حاجبيه في توتر وسخط

كان قد خسر منذ قليل، واحدة من الصفقات، التي بنى أحلامه وآماله عليها

ولم تكن هذه أول مرة يخسر فيها صفقة

ولا أول مرة يغضب على هذا النحو

كان بطبعه شخصية ساخطة، ناقمة، متوترة، تكره كل ما يمكن أن يمسها بأدنى سوء، حتى ولو كان هذا السوء من وجهة نظرها فحسب

وفي حنق، هتف حسن:

لماذا لا أصبح مليونيرا لماذا لا أصل إلى ما وصل إليه غيري؟

لم يكد ينطق عبارته هذه، حتى أضيئت الدنيا كلها أمامه بغتة.. في البداية تصور إنها سيارة قادمة، أو شيء ينفجر، ثم لم يلبث أن انتبه إلى فجوة عجيبة، تكونت في الهواء

وخلفها كان المشهد مذهلا

كان هناك طريق ممهد، وآلات طائرة، وأشياء أخرى مبهرة، لم يفهم ماهيتها، وإن أدرك على الفور أنها نتاج تكنولوجيا مذهلة، لم تبلغها حتى الولايات المتحدة الأمريكية نفسها

ووسط كل هذا، كان هناك رجل

رجل يرتدي ثيابا عجيبة، ويمسك بيده شيئا يشبه الجريدة.. وفي ذعر، حدق كل من حسن والرجل في وجه الآخر، قبل أن يضغط حسن فرامل سيارته، بكل ما يملك من قوة، ويتراجع الرجل في حدة ورعب

ثم دوى مايشبه الانفجار ..

انفجار مكتوم، تردد في أذني حسن، قبل أن تندفع عشرات الأشياء، لترتطم بمقدمة السيارة، ثم يهدأ كل شيء، ويعود الظلام إلى المكان

ولثوان، ظل حسن داخل سيارته، ذاهل العينين، شاحب الوجه، ثم لم يلبث أن هتف:

ماهذا بالضبط ؟؟

استجمع شجاعته، وغادر السيارة، وتطلع أمامه في توتر، حيث كانت الفجوة، ثم التفت إلى مقدمة سيارته وزجاجها، وقد تناثرت فوقها أشياء شتى، نصفها بالغ الغرابة بالنسبة إليه

ولكن أكثر ما جذب انتباهه تلك الجريدة

وفي حذر، مد يده ليلتقطها

كانت جريدة الأهرام المصرية، ولكنها مطبوعة على شيء يشبه الكاوتشوك، له ملمس رخو مريح، وكل الصور والرسوم بها مجسمة، مطبوعة بأسلوب عجيب، حتى لتبدو حية متحركة

حتى الإعلانات كانت مدهشة

وبالذات إعلانات العطور

كل إعلان كان يفوح برائحة العطر المعلن عنه

وبسرعة، قلب حسن الجريدة، ليقرأ تاريخ صدورها

ثم شهق في انبهار

كان تاريخ صدور الجريدة هو الثالث من نوفمبر، عام الفين وثلاثين

****

هتف حسن بكل الانفعال في أعماقه:

رباه.. لقد خشيت مجرد التفكير في هذا، ولكنها حقيقة.. حقيقة تشبه ما نشاهده في أفلام الخيال العلمي.. لقد انفتحت فجوة بيني وبين المستقبل.. فجوة قذفت كل هذه الأشياء بين يدي، ثم تلاشت

كان جسده يرتجف في انفعال وانبهار، ولكنه أسرع يجمع كل تلك الأشياء، التي قذفتها فجوة المستقبل، وانطلق إلى منزله في القاهرة

وفي حجرته، راح يتلهم تلك الجريدة التهاما

قرأ كل الأخبار، والمقالات.. وحتى الإعلانات

وتضاعف انبهاره أكثر وأكثر

كان يجوب المستقبل دون أن يبارح مكانه

وبدا له هذا المستقبل مبهرا، حتى أنه هتف:

ياللروعة.. لن يصدق مخلوق واحد ما حدث لي.. إنها معجزة

قلب الصفحة الأخيرة للجريدة المستقبلية، وتطلع في إهتمام إلى صورة لشيخ وقور، بدت له مألوفة إلى حد كبير، فتساءل عن اسم صاحبها، و

وفجأة، وثب من مكانه، وهو يطلق شهقة قوية

وأسفل الصورة، قرأ بحروف مضيئة عبارة تقول: توفى أمس المليونير المعروف حسن غنيم، وسيقام العزاء في قصره، في مصر الجديدة

****

إنه هو ...

إنه يقرا خبر وفاته

ارتجف جسده، وألقى الجريدة جانبا، وراح يلهث في انفعال

ليس من السهل ابدا أن يقرأ المرء خبر وفاته، حتى ولو كانت هذه الوفاة ستحدث بعد أكثر من خمس وثلاثين عاما

ثم فجأة انتبه إلى أمور آخرى

لقد وصفته الجريدة بإنه مليونير معروف، يمتلك قصرا في مصر الجديدة

لقد نجح إذن

أو سينجح..

لقد عرف هذا الآن..

راح يطلق صيحات ظفر وسعادة، وهو يقرأ الخبر مرات ومرات، ثم لم يلبث أن ألقى الجريدة جانبا، وألقى جسده على فراشه، وابتسامة واسعة تلتهم وجهه كله

إنه سيصبح مليونيرا..

هكذا يقول المستقبل..

والأعظم إنه يعرف بالتحديد تاريخ وفاته

الثالث من نوفمبر، عالم ألفين وثلاثين

إنه أول مخلوق في العالم، يعرف تاريخ وفاته بالتحديد

اعتدل جالسا، وقال في حزم:

لا خوف بعد اليوم إذن..

الموت بعيد عني تماما ..بعيد بأكثر من خمسة وثلاثين عاما

وفي اليوم التالي، بدأ حسن صفقاته الناجحة

كان واثقا من النتائج، بعد ما قرأه في جريدة المستقبل

ولأول مرة، ربح صفقة كبيرة

ثم ثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ...

وطوال خمسة أعوام، لم يخسر حسن صفقة واحدة، وصار ثريا معروفا

ثم اشترى ذلك القصر في مصر الجديدة

اشتراه وأقام فيه مع أشقائه وأمه

ومع الجريدة

لم يتخلص منها قط، بل كان يختلي بنفسه في حجرته أحيانا،

ويقرؤها في سعادة، وكأنما لم يطالعها قط من قبل

وامتلأت نفسه بالثقة

إنه سيموت مليونيرا ومعروفا

وفي موعد محدود ..

****

هكذا أصبح حسن غنيم شديد الجرأة والشجاعة

وذات يوم، كان يقود سيارته الجديدة، وإلى جواره خطيبته، التي شعرت بالخوف من تلك السرعة الفائقة، التي يقود بها فقالت:

حسن ..أرجوك.. لا تقد السيارة هكذا

أطلق ضحكة عالية وهتف:

لا تخافي ..لن نموت الآن

قالت في ضراعة:

أرجوك يا حسن

قهقه ضاحكا مرة آخرى، وزاد من سرعة السيارة أكثر وأكثر بلا خوف

وفجأة، ظهرت تلك السيارة الضخمة

وصرخت خطيبته:

احترس يا حسن

وحاول هو أن يضغط فرامل السيارة

ولكن الاصطدام حدث

وأظلم كل شيء من حوله

****

لم يدر كم ظل فاقد الوعي، ولكنه استعاد وعيه مع آلام رهيبة، تسري في جسده كله، فحاول أن يتحرك، أو يضع يده على عظامه المتألمة، ولكنه عجز عن هذا تماما

ثم سمع صوتا إلى جواره، يقول:

خطيبته لقيت مصرعها على الفور، أما هو فما يزال على قيد الحياة

كانت الآلام عنيفة، ولكنه أدرك ان الذي يتحدث هو طبيبه الخاص، وحاول ان يشرح له آلامه وعذابه، ولكنه لم يستطع النطق، في حين سمع صوت شقيقه يقول:

وكيف حاله الآن؟

بدا له صوت طبيبه مفعما بالأسى، وهو يقول:

إنه اشبه بالموتى فهو في غيبوبة تامة، لا يستطيع الحركة أو النطق

سأله شقيقه في هلع :

وهل تعتقد إنه سيشفى؟

أجابه الطبيب في مرارة:

إنه حالة مجهولة، لم يشف منها شخص قط..

الأرجح أنه سيقضي ما بقى له من العمر، في هذه الحالة

صرخ حسن:

ولكنني حي ..أشعر وأسمع.. أنا اسمعكما

ولكن صرخته هذه لم تتجاوز أعماقه

لم يسمعه أحدهما ..

أو حتى يشعر به ..

وتصاعدت الآلام ..

واشتد العذاب ..

وهتف حسن لنفسه:

ألن ينتهي هذا العذاب ابدا.. رباه ..كم أتمنى الموت، لينتهي العذاب والآلام

لم يكد يفكر في هذا، حتى أنطلقت صرخة في أعماقه

صرخة تموج بالرعب والهلع

لا.. لن ينتهي العذاب

هو وحده يعلم هذا

أمامه ثلاثون عاما أخرى من العذاب

ثلاثون عاما حتى يموت

وانهارت أعماقه في يأس

لقد فقد حتى الأمل..

الأمل في أن ينتهي عذابه بالموت

وللمرة الثالثة، تردد في أعماقه صرخة مريرة

ليتني لم أعلم..

ليتني لم أعلم..

وظلت هذه الصرخة تتردد، وتضاعف العذاب، طوال ثلاثين عاما أخرى

وبلا توقف..

تمت بحمد الله

القصة الثانية

الدم

الدم



١- الجريمة . . . .

دوت أبواق سيارات الشرطة والإسعاف على نحو مزعج، وهي تتوقف أمام ذلك الفندق الفاخر، من فنادق الخمس نجوم، والمطل على نيل(القاهرة)، واندفع مدير الفندق يستقبل رجال الشرطة والأطباء، في توتر بالغ، وهو يقول :

-رويدكم أيها السادة... اخفضوا هذه الأصوات بالله عليكم.. إنكم تصيبون النزلاء بالذعر والاضطراب... أرجوكم .

أشار الرائد "صفوت" إلى قادة سيارات الإسعاف، لخفض الأبواق أو إيقافها، وهو يسأل المدير بلهجة حازمة، أصبحت جزءاً من تكوينه وشخصيته، بعد سنوات العمل الطويلة، في قسم المباحث الجنائية :

-أين القتيل؟!

أشار المدير إلى الداخل في توتر، قائلاً :

-هنا لقد نقلناه إلى . . .

قاطعة "صفوت" في حدة غاضبة :

نقلتموه؟! هل جننتم يا رجل؟! إنكم تفسدون القضية كلها بحماقتكم هذه! كيف تقومون بنقل الجثة، قبل قيامنا بالمعاينة الأولية؟!

توتر المدير أكثر، وهو يجفف عرقه، ويلوح بيده قائلاً :

-لقد أطلق عليه القاتل النار، في المقهى الرئيسي، في منتصف المكان بالضبط، ونسف رأسه على نحو بشع، وكان من المستحيل أن نترك الجثه هكذا، وخاصة أن . . . . .

قاطعه "صفوت" في حدة :

-ولو . . . .

كان يعبر معه بوابة الفندق الإلكترونية، التي انطلقت تصرخ في عنف، معلنة اعتراضها على الأسلحة، التي تعبرها، إلا أن "صفوت" تجاهل صراخها تماماً، وهما يتجهان نحو المقهى الرئيسي، حيث انهمك بعض عمال الفندق في تنظيف مائدة في منتصفها، على نحو جعل "صفوت" يقول في عصبية :

-ما الذي يفعلونه بالضبط؟!

ارتبك المدير بشدة، وهو يجيب :

-الدماء كانت تغرق كل شيء، و. . . .

قاطعه في غضب :

-سألقي القبض عليك يا رجل، بتهمة إخفاء الأدلة وإتلافها

امتقع وجه المدير، وهو يهتف :

-رباه! إنني لم أقصد هذا قط، ولم . . . .

قاطعه بإشارة صارمة من يده، وهو يشير إلى رجاله، الذين اندفعوا يبعدون عمال النظافة، ويحيطون بالمائدة، في حين سأل هو المدير في صرامة :

-وأين الجثة؟!

أشار الرجل في شحوب إلى حجرة في نهاية القاعة، فاندفع "صفوت" نحوها، وهو يغمغم في غضب :

-كيف يمكننا أن نعمل، وسط كل هذا الكم من الحماقة؟! يفسدون كل شيء، ثم يطالبوننا بنتائج عاجلة، و. . . .

كان يغمغم بعبارته، وهو يفتح باب الحجرة، ولكنه لم يكد يفعل، حتى اختنقت الكلمات في حلقه، واتسعت عيناه عن آخرهما، وسرت في جسده قشعريرة عنيفة، وهو يحدق في الجثة، التي تم نقلها بمقعدها، الذي لقيت مصرعها فوقه، إلى تلك الحجرة. . . .

كانت جثة رجل يرتدي حلة غالية الثمن، ورباط عنق زاهي الألوان، وحذاء إيالياً فاخراً، وساعة ذهبية، و. . . .

وهذا لم يكن ملاحظته بالنسبة إليه.... فلم يكن له وجه... أو رأس. . .

لم يكن قد تبقى من رأسه سوى جزء يسير من مؤخرة الجمجمة يتصل ببواقي العنق، أما فيما عدا هذا، فقد تم نسف الرأس تماماً. . .

وعلى الرغم من أن "صفوت" قد شاهد العشرات من حالات القتل العنيفة، بحكم عمله في منطقة مشتعلة الأحداث، في أعماق الصعيد، فور تخرجه، إلا أنها كانت المرة الأولى، في حياته كلها، التي يشاهد فيها مشهداً بهذه البشاعة. . . .



لذا فقد تراجع بحركة حادة، جعلت المدير يجفف عرقه، قائلاً في عصبية :

-كان من المحتم أن نبعده عن الأنظار، فسمعة الفندق لا . . .

قاطعة "صفوت" في توتر شديد :

-اصمت .

ابتلع المدير كلماته، وتراجع خارج الحجرة، وكأنما ينأى بنفسه عن رؤية ذلك المشهد، الذي لن يفارق خياله أبداً، في حين ازدرد "صفوت" لعابه في صعوبة، وهو يحدق في الجثة، متسائلاً: ترى أي سلاح هذا، الذي يمكن أن ينسف جمجمة كاملة، على هذا النحو؟ !

لقد شاهد، إبان عمله في الصعيد، رجلا أصيب بخمس رصاصات في جمجمته، من مسافة ثلاثة أمتار، وعلى الرغم من هذا فقد بقي رأسه في مكانه . . . .

أما هذا، فقد تحطمت جمجمته تماماً . . .

بل انسحقت سحقاً . . .

فأي سلاح فعل بها هذا؟ !

أي سلاح؟ !

وفي عصبية بالغة، سأل مدير الفندق :

-مع كل نظام الأمن والبوابات الإليكترونية، كيف عبر القاتل بسلاحة إلى الداخل؟ .

هز المدير رأسة في توتر، مجيباً :

لا أحد يدري... البوابات لم تطلق رنينها، ونحن لم نسمع حتى دوي الرصاص... لقد لمحنا وهجها فحسب، ثم رأينا الدماء تنفجر، لتغرق كل شيء، وتترك ذلك المسكين خلفها هكذا .

قال "صفوت" في عصبية :

-لم تسمعوا دوي الرصاصة؟! الذي فعل هذا استخدم حتماً مدفعاً يا رجل، وليس مجرد رصاصة .

قال المدير مبهوتاً :

وكيف يمكن أن يخفي مدفعاً؟ !

صاح "صفوت" بعصبية :

-أخبرني أنت .

قال المدير في حدة :

-إنها مهنتك أنت... أنا رجل سياحة وفندقة فحسب .

هتف "صفوت : "

-وأنت المسئول الأول عن هذا المكان أيضاً .

عاد المدير يجفف عرقه، ويهز رأسه، قائلاً :

-لا أحد هنا يدري كيف حدث هذا! البوابات الإليكترونية تعمل بكفاءة، والرجل لم يكن يحمل حتى حقيبة، عندما عبرها واتجه نحو القتيل مباشرة، ونسف رأسه .

انعقد حاجبا "صفوت" بشدة، وهو يقول في صرامة :

-اسمع يا رجل... أنا ضابط شرطة، منذ ما يقرب من اثني عشر عاماً، وخبرتي تؤكد لي أن نتيجة كهذه لا يمكن أن تحدث، إلا من سلاح ضخم، فلا تقل لي إن أحداً لم يره يحمله .

قال المدير في عصبية :

وهل تعتقد أننا كنا سنتركه يفعل ما فعله بمنتهى البساطة، لو أننا رأينا سلاحه؟!

كان الجواب منطقياً إلى حد مستفز، حتى أن "صفوت" قد عقد حاجبيه في توتر، وهو يسأل في صرامة :

-وماذا بعد أن فعل ما فعل؟! لماذا تركتموه يمضي في سبيله؟!

عض الرجل شفتيه، قائلاً :

-ومن قال: إننا تركناه؟!

سأله "صفوت" في توتر :

-أين هو إذن؟!

قلب الرجل كفيه في مرارة، وهو يجيب :

للوهلة الأولى لم نفهم ما حدث، خاصة أننا لم نسمع دوي رصاصة، كما سبق أن أخبرتك، ولكنه استدار يغادر المكان في هدوء، على الرغم من صرخات الهلع والرعب والذعر، فانقض عليه ستة من أقوى حراس الأمن عندنا، و....، و. . .

قال "صفوت" في لهفة عصبية :

-وماذا؟

قلب الرجل كفيه مرة أخرى، قائلاً :

-ولكنه أوقفهم جميعاً بضربة واحدة، وغادر المكان بكل هدوء، و. . . .

قاطعة "صفوت" بصيحة متنكرة :

-بضربة واحدة؟! أي نوع من الرجال تستخدمونه للحراسة يا رجل؟! أبطال لعبة تنس الطاولة؟!

قال المدير في غضب عصبي :

-رجالنا هم أفضل أطقم الحراسة في مصر يا سيادة الرائد، ولكن من الواضح أن ذلك الرجل كان قوياً كالثور، أو أنه يستخدم شيئاً نجهله، فقد أخبرني الرجال أنهم شعروا وكأنهم قد تلقوا صاعقة في صدورهم، ألقتهم بعيداً عنه بمنتهى العنف .

هتف "صفوت" في عصبية :

-هراء .

قال المدير في حدة :

-ليس هراء أيها الرائد... هذا ما وصفه الرجال بالضبط؟

قال "صفوت" في غلظة :

-مجرد محاولة سخيفة لتبرير فشل أكثر سخافة يا رجل، ثم شد قامته مستطرداً في صرامة :

-وعلى أية حال سأتولى التحقيق في هذه الجريمة بنفسي، لم يكد ينطق عبارته، حتى سمع دقات على باب الحجرة، فالتفت إليه، قائلاً في حدة :

-من خلف الباب؟

سمع صوتاً يتنحنح في حرج، قبل أن يقول :

-هل يمكننا رفع الجثة الآن؟ ! نحن رجال الإسعاف، ورجال الأدلة الجنائية هنا، ويرغبون في بدء الفحص .

قال "صفوت" في خشونة لم يتعمدها :

-دعهم يأتون .

مضت لحظات من الصمت والسكون، قبل أن يدفع أحدهم الباب، ويدلف إلى الحجرة، و. . . .

"رباه ما هذا بالضبط؟ . " !

انطلقت شهقات مذعورة، من حلوق الرجال، وهم يحدقون في المشهد البشع، فهتف بهم "صفوت" في غضب :

-ماذا دهاكم؟ ! ألم تروا جثة قتيل من قبل؟ !

هتف أحدهم بصوت مرتجف :

-ليس بهذه الصورة .

أجابه في حدة :

-حاولوا اعتياد المشهد، وارفعوا الجثة، وانقلوها إلى الطب الشرعي، فور انتهاء رجال الأدلة الجنائية من عملهم .

ثم استدار إلى المدير متابعاً في صرامة :

-وأنت... مر رجالك بجمع كل نقطة دم، امسحوها من مسرح الجريمة، وكل ذرة تراب أيضاً... حتى الأدوات والقطع، التي استخدموها في عملهم الأخرق، أريدها في المعمل الجنائي، مع قائمة بأسماء كل

العاملين في الفندق، وكل رجل أمن وحراسة، بالإضافة إلى فحص شامل للبوابات الإليكترونية .
وانطلقت من أعمق أعماق صدره زفرة ملتهبة، مضيفاً في عصبية :
-إنها جريمة معقدة، ولا أريدها أن تصبح نقطة سوداء في ملف خدمتي .
لم يدر، وهو ينطق عبارته الأخيرة، أن هذه الجريمة بالذات قد تنهي ملف خدمته كله . . .

بل وقد تصبح نقطة تحول رهيبة في حياته كلها . . .
نقطة بلا عودة . . .
على الإطلاق . .

* * *

زفر الدكتور " أحمد" الطبيب الشرعي الشاب، في ضجر شديد، وهو يوقف سيارته الصغيرة، أمام مشرحة" زينهم" ويغادرها مغمغماً :
-كان ينبغي أن أستمع إلى نصيحة جدي، عندما قال: إن كلية الزراعة أكثر فائدة من كلية الطب .
زفر مرة أخرى، وهو يدلف إلى مكتبه، فهب مساعده من مقعده، قائلاً :
-دكتور" أحمد"! حمداً لله على أنك قد وصلت... المباحث الجنائية اتصلت خمس مرات حتى الآن، ووكيل النيابة يطلب سرعة فحص هذه الجثة، وعمل التقرير اللازم .
هتف الدكتور "أحمد" في حنق، وهو يرتدي معطف وقفازي التشريح المطاطين :
-ماذا أصابهم جميعاً؟! إنها مجرد جريمة قتل، وليست اغتيالاً سياسياً، حتى يصاب الجميع بالهلع والتوتر إلى هذا الحد، ثم إنني قد أتيت فور اتصالك بي، ولكن الطرق مزدحمة للغاية، في ساعة الذروة هذه، فماذا يمكنني أن أفعل؟ !
واتجه بخطوات إلى قاعة التشريح، متابعاً في غضب :
-لماذا لم تتصل بالدكتور "إلهام" أو الدكتور "أبو سنة"؟ !
كلاهما يقيم في مكان أقرب مني على الأقل . . . .
غمغم مساعده في توتر :
الواقع أن . . . .
قاطعة في حدة :
-فليكن... لا تبحث عن أعذار ومبررات... أنا أفهم هذا
ومط شفتيه، متمتماً في سخط :
-ولقد اعتدته أيضاً .
توقف لحظة، وهو يتطلع إلى الجثة الراقدة على منضدة الفحص الرخامية، بكامل ملابسها، وتمتم في عصبية :
-رباه! من فعل به هذا؟ !

هز المساعد رأسه، مغمغماً :

-لست أدري... ضابط المباحث يقول . . .

قاطعه "أحمد" مرة أخرى :

-لا بأس... لا بأس... أعطني التقرير الأولي، وأحضر آلة التصوير، لنقوم بعملنا .

انطلق مساعده لتنفيذ الأوامر، في حين جذب هو مقعداً وجلس إلى جوار الجثة، وراح يتطلع إليها في حيرة، متسائلاً عن السلاح القوي، الذي يمكن أن ينسف رأس رجل على هذا النحو، ثم لم يلبث أن طرح السؤال عن رأسه مؤقتاً، وهو يميل لفحص ثياب الجثة في اهتمام . . .

كان القتيل يرتدي حلة فاخرة، غالية الثمن للغاية، وخاوية تماماً، بعد أن قام رجال المباحث الجنائية بتجريدها من كل ما تحمله، وكانت أصابعه طويلة إلى حد مثير للاهتمام، حتى أن" أحمد" قد رجح أنه عازف بيانو أو قيثارة . . . .

القميص أيضاً كان من نوع فاخر باهظ الثمن، ولكن نسيجه بدا غريباً للغاية، إلى الحد الذي دفع" أحمد" إلى قطع جزء منه، ووضعه في كيس خاص، لفحصه فيما بعد، ثم التقط محقنا صغيراً، وغرسه في أحد شرايين المعصم الأيمن، وحصل على ما يقرب من عشرين سنتيمتراً من الدم لفحصها، و. . . .

وفجأة توقفت كل أفكاره، وهو يتطلع إلى عينة الدم، التي احتوتها قنينة المعمل الخاصة . . .

شيء ما فيها جذب جزءاً من انتباهه . . . .

أو من وعيه الباطن على الأقل . . . ربما هو لونه الأحمر القاني، الذي بدا أكثر كثافة من المعتاد... كان داكناً، أقرب إلى اللون البنفسجي، منه إلى الأحمر بكل درجاته، على الرغم من أن درجة سيولته لم تكن أكبر من المعتاد، أو. . . .

ولكن مهلاً. . . .



كيف يمكن أن يظل الدم سائلاً حيوياً، بعدما يقرب من ثلاث ساعات على الوفاة؟!

كيف لم يحدث ذلك التجلط المعتاد، داخل الشرايين الميتة؟!

بل وكيف توقف النزيف، من الرأس المحطم، لو أن الدم مازال نشيطاً على هذا النحو؟!

كيف؟!

كيف؟!

كيف؟!

"هل ألتقط الصورة الآن؟"!

انتفض جسده في عنف، عندما اخترق سؤال مساعده أذنيه، وهو منهمك في التطلع إلى عينة الدم، فأفلتت القنينة من يده، وانزلقت نحو الأرضية الرخامية، فانتزع نفسه من مقعده، ووثب يلتقطها في الهواء بلهفة زائدة، وهو يهتف في حدة:

-ماذا فعلت؟!

تراجع مساعده في دهشة، وحدق في قنينة الدم، التي استقرت في راحة الدكتور" أحمد" الذي سقط جسده كله أرضاً، وهو يواصل في حنق:

-لقد أفزعتني.

تمتم الرجل في ارتباك:

-لم أقصد هذا يا دكتور "أحمد"... لقد تصورت أن....

قاطعة الدكتور "أحمد" بإشارة من يده، وهو ينهض قائلاً:

-لا بأس... لا بأس... التقط كل الصور اللازمة، حتى أطالع التقرير المبدئي، ثم احمل عينة الدم إلى المعمل فوراً.

غمغم الرجل متوتراً، وهو يبدأ في التقاط الصور بالفعل:

-بالتأكيد يا دكتور.... بالتأكيد.

وضع "أحمد" قنينة الدم على سطح دولاب الأدوات في حرص، وألصق عليها ورقة صغيرة بالبيانات المطلوبة، ثم التقط التقرير المبدئي، وجلس يطالعه في اهتمام، ومساعده يلتقط مجموعة من الصور للجثة، من كافة الجوانب....

كان التقرير يصف حالة الجثة، عند وصول رجال الشرطة إلى المكان، بمنتهى الدقة، وبكل التفاصيل اللازمة، و....

ولكن مهلاً...

هناك خطأ ما في التقرير..

خطأ بخصوص الرأس بالتحديد . . .

وفي اهتمام، نهض يلقي نظرة على الجثة، قبل أن يقول في سخط :

-سأظل أصر دوماً على أن يكون لدينا متخصص، لفحص أية جثة، في مسرح الجريمة، فالأطباء والمسعفون التقليديون لا يجيدون كتابة التقارير الرسمية في هذا الشأن .

سألة مساعده في اهتمام، وهو يعيد آلة التصوير إلى حقيبتها :

-لماذا؟ !

أشار "أحمد" إلى الرأس، قائلاً في حدة :

-التقرير يقول إن الجثة بدون رأس تقريباً، وها أنتذا ترى بنفسك أن قاعدة الجمجمة موجودة بالكامل، وكذلك الفك السفلي، حتى قاعدة الأسنان، و. . .

"يا الهي؟!"بتر مساعده حديثه بشهقته هذه، فانعقد حاجباه، وهو يسأله في عصبية :

-ما هذا بالضبط؟ !

كان مساعده يحدق في الجثة بذعر، وهو يهتف :

كيف لم أنتبه إلى هذا من اللحظة الأولى؟! رباه!! وأنا أتساءل ما الشيء المختلف في الجثة . . .

قال "أحمد" بعصبية أكثر :

-ماذا تعني يا رجل؟ !

ارتجفت سبابة الرجل مع صوته، وهو يشير إلى الجثة، قائلاً :

هذه الـ . . . . الجثة، كانت بدون رأس بالفعل، عندما أتوا بها إلى هنا .

حدق "أحمد" في وجهه لحظة بذهول، ثم نقل بصره إلى الجثة بحركة حادة، قبل أن يعود إلى الرجل هاتفاً :

-أي قول أحمق هذا؟! بل أي سخف؟! هل جننت يا رجل، أم أن بصرك قد أصيب بمرض هيستيري نادر؟ !

هتف الرجل في عصبية شديدة :

-أقسم أنها لم . . .

قاطعه "أحمد" في غضب :

-حذار أن تكذب .

هتف الرجل في حدة :

-أكذب؟ ! ولماذا أكذب؟! هذه الجثة كانت بلا رأس بالفعل، عندما أحضروها إلى هنا .

مال "أحمد" نحوه، وهو يقول في صرامة غاضبة :

-ثم ماذا هل نما الجزء الآخر هنا؟ ؟!

حدق الرجل في الجثة مذعوراً، وهو يغمغم :

-ربما .

تراجع "أحمد"، هاتفاً في حنق :

-ربما؟! ربما ماذا أيها المأفون؟! هل رأيت في حياتك كلها جثة تنمو خلاياها، بعد ساعات من الوفاة؟ !

هز الرجل رأسه نفياً في بطء، وهو يواصل التحديق في الجثة بذعر مذهول، قبل أن يتراجع في بطء، متمتماً :

-لست أدري... لست أدري !

قالها ثم اختطف قنينة الدم، وانطلق يعدو خارج المكان، هاتفاً :

سأذهب بالعينة إلى المعمل فوراً .

تابعه "أحمد" ببصره في دهشة مستنكرة، ثم عاد يتطلع إلى الجثة، ويهز رأسه، قائلاً في عصبية :

يبدو أنه قد جن بالفعل .

نهض من مقعده، وضغط زر جهاز التسجيل، وراح يجرد الجثة من ثيابها، وهو يصف ما يفعله بمنتهى الدقة، ثم لم يلبث أن التقط مشرطه، وهو يقول :

-والآن بعد الفحص الظاهري، تبدأ عملية التشريح، لفحص الأنسجة والإصابات الداخلية .

وبحزم واثق، راح يشق جدار البطن، بفتحة طويلة، تبدأ من أسفل عظمة القص مباشرة، وحتى الصرة، ثم أزاح طبقة الجلد والدهون الداخلية السميكة،و. . .

وانتفض جسده كله في عنف. . .

اتسعت عيناه عن آخرهما، حتى كادتا تبتلعان وجهه كله، وهو يحدق في أحشاء الجثة الداخلية، مغمغماً :

رباه ! مستحيل أن يكون هذا حقيقياً مستحيل !

قالها بكل ذعر ودهشة الدنيا، لأن ما رآه أمامه، داخل هذه الجثة كان شيئاً مذهلاً ! !

مذهلاً بحق. . . !

....

....

...

.

٢- فوق مستوى البشر

قبل حتى أن تتوقف سيارة الشرطة، أمام مشرحة زينهم كان الرائد "صفوت" يثب خارجها، وهو يهتف برجاله في صرامة :

-أحيطو بالمكان... لا أحد يدخل أو يخرج، إلا بأوامر مباشرة مني.... هل تفهمون؟

أسرع رجاله ينفذون الأمر، ويحيطون بمبنى المشرحة، في حين اندفع هو داخلها، وهو يسأل في صرامة :

-أين مكتب الدكتور" أحمد شريف"؟!

قاده حارس المكان إلى مكتب الدكتور "أحمد"، فاندفع إليه، قائلاً في توتر :

-الرائد "صفوت شاهين"... من المباحث الجنائية بالمديرية... ماذا حدث هنا بالضبط؟! ولماذا طلبت مني الحضور على وجه السرعة؟!

كان الدكتور "أحمد" يجلس خلف مكتبه، وقد بلغ شحوب وجهه حداً مخيفاً، جعله ينافس وجوه الموتى، الذين اعتاد المكان التعامل معهم، وهو يلوح بيده، قائلاً بصوت أكثر شحوباً من وجهه :

-ذلك الرجل الذي أحضرتموه . . .

قال "صفوت" في صرامة :

-القتيل؟!

هز "أحمد" رأسه بحركة حادة، وهو يقول :

-إنه ليس قتيلاً.

سقط فك "صفوت" الأسفل، وهو يهتف بكل استنكار الدنيا :

-ليس ماذا؟!

كرر "أحمد" في عصبية شديدة :

-ليس قتيلاً .

انعقد حاجبا "صفوت"، وهويقول في غضب :

-أي قول هذا بالضبط؟! لو أنه ليس قتيلاً، فأية صفة تحب أن نطلقها على جثة فقدت رأسها .

صاح "أحمد" في حدة :

-لست أدري... إنها حالة لم أرَ، ولم ير الطب كله مثيلاً لها من قبل، ولكن ذلك الذي أحضرتموه لم يكن قد لقي مصرعه بعد، عندما بدأت في تشريحه بالفعل .

حدق "صفوت" في وجهه بذهول غاضب مستهجن، قبل أن يهتف بغضب بلغ مداه :

-دكتور "أحمد"... هل تعاطيت بعض المواد المخدرة أم ماذا؟!

-هز "أحمد" رأسه مرة أخرى في حدة، قائلاً بعصبية زائدة :

-كلا... لم أتعاطَ أية مواد، سواء مخدرة، أو غير مخدرة، وما أقوله لك، على الرغم من استحالته الطبية، رأي علمي محض .

ثم مال بجسده كله نحوه، مستطرداً :

-لقد فحصت الرجل بنفسي، وعندما بقرت بطنه، كانت أجهزته كلها تعمل، على النحو نفسه، الذي يعمل به قلب رجل حي... لم تكن متوقفة أو تالفة... هل يمكنك أن تستوعب هذا؟!

وتراجع بحركة حادة، وهو يلوح بذراعه، صائحاً :

-المعدة لم تكن قد توقفت عن الهضم بعد... هل تصدق؟!

حدق "صفوت" في وجهه بذهول بالغ، قبل أن يهز رأسه في قوة، وعناد، هاتفاً :

-مستحيل !

ثم ضرب سطح المكتب براحته في قوة، مضيفاً :

-ذلك الرجل لقي مصرعه في مقهى فندق شهير، وأمام عشرات النزلاء، وتم نقله إلى هنا بدون رأس، فكيف يمكن أن تقول بعدها إن . . .



قاطعه "أحمد" بمنتهى الحدة :

-هذه النقطة أيضاً غير صحيحة .

انعقد حاجبا "صفوت" أكثر، وهو يتساءل في توتر :

-أية نقطة؟

أجابة "أحمد" بنفس الحدة :

-مسألة الرأس هذه... الجثة التي جئتم بها إلي هنا، لها نصف رأس، وليس رأساً تماماً كما تدعون .

اتسعت عين "صفوت" عن آخرهما، وهو يقول :

-بنصف ماذا؟!

ثم هب واقفاً، ومال نحو الدكتور "أحمد" في حدة، قائلاً :

-قل لي أيها الطبيب الشرعي: أأنت واثق من أننا نتحدث عن الجثة نفسها؟!

زفر "أحمد" في عصبية، قائلاً :

-من المصادفات العجيبة أنه ليس لدينا سواها الليلة .

ثم نهض بدوره من مقعده، واندفع نحو الباب، مستطرداً :

-ويمكنك أن تراها بنفسك .

عقد "صفوت" حاجبيه في عصبية، وهو يندفع خلف "أحمد"، الذي قطع ممر المكان بخطوات سريعة واسعة حتى بلغ قاعة التشريح، فاندفع نحو بابها، قائلاً :

-لقد أعدت خياطة جدار المعدة، و. . .

بتر عبارته دفعة واحدة، وارتد بحركة حادة عنيفة، مطلقاً شهقة ذعر، جعلت "صفوت" يحث الخطى نحوه، هاتفاً :

-ماذا هناك؟!

انتهت كلماته عند باب القاعة بالضبط، فحدق بدوره في الجثة، قبل أن تتسع عيناه عن آخرهما، ويغمغم في ذهول :

-مستحيل !

فالجثة الراقدة على منضدة الفحص الرخامية، في منتصف القاعة، لم تكن عديمة الرأس بالفعل . . . .

بل وكانت تمتلك نصف رأس . . .

نصف يمتد من العنق . . .

وحتي منتصف الأنف . . .

بالتحديد . . .

* * *

ألقى الدكتور "حسن وهبي" نظرة مرهقة على ساعته، التي أشارت عقاربها إلى التاسعة مساءً ، وهو يخلع معطفه الطبي، قائلاً لزميله في إجهاد واضح :

-ياله من يوم شاق! عمليتان كبريان، وثلاث جراحات صغرى... من النادر أن يمر بنا يوم كهذا يا رجل .

ابتسم زميله ابتسامة مرهقة، وهو يقول :

-أعتقد أن أيامنا كلها كذلك، ولكننا اعتدناها، واعتدنا نسيانها كلها، فور عودتنا إلى منازلنا، وربما لهذا نتصور دوماً أن كل يوم هو أشق الأيام... أليس كذلك؟ !

ابتسم الدكتور "حسن" بدوره، وهو يلقي جسده على المقعد الكبير خلف مكتبه، قائلاً :

-لا تنسَ متاعب الإدارة أيضاً يارجل... إنني لست كبير جراحي المستشفى فحسب، ولكنني مديرها أيضاً .

هز زميله رأسه، قائلاً :

-كان الله "عز وجل" في عونك .

تمتم الدكتور "حسن : "

-ونعم بالله .

كان يهم بطلب قدح من الشاي، عندما دلفت سكرتيرته إلى المكتب، ممسكة بإشارة عاجلة، وهي تقول في حيرة أدهشته :

-إشارة من مشرحة "زينهم" يا دكتور "حسن . "

انعقد حاجباه، وهو يسألها في قلق :

-مشرحة "زينهم"؟! وما صلتنا بهم؟! إننا لم نفقد مريضاً يستحق الفحص والمراجعة، منذ ما يقرب من . . .

قاطعته في توتر، على الرغم من تنافي هذا مع أصول اللياقة :

-سيحضرون مريضاً إلى هنا .

هتف بدهشة، شاركه إياها زميله :

-مريضاً؟! من مشرحة "زينهم"؟! ومنذ متى تختص المشرحة بالمرضى؟ . !

هزت رأسها نفياً، دلالة على عدم الفهم، وهي تقول :

-إنهم في طريقهم إلى هنا .

ردد الدكتور "حسن"، في دهشة حائر :

-في طريقهم إلى هنا؟ !

ثم عاد يعقد حاجبيه، متابعاً في لهجة يغلب عليها الحذر :

-ربما هو أحد الأطباء... أصيب في أثناء العمل، ورأوا نقله إلى هنا لإسعافه .

قال زميله في حيرة :

-لماذا الإشارة الرسمية إذن؟!

وتراجع الدكتور "حسن" في مقعده، وازداد انعقاد حاجبيه، وهو يتمتم :

-نعم... لماذا؟!

مع آخر حروف كلماته، تسلل إلى مسامعه دوي أبواق سيارة إسعاف تقترب، فعاد إلى مقعده، قائلاً :

-لابأس... دقائق وسنحصل على أجوبة لكل تساؤلاتنا .

ثم نهض يرتدي معطفه الطبي مرة أخرى، وهو يبتسم ابتسامة متوترة، مضيفاً :

-اعتقد أن العمل لم ينته الليلة بعد .

هب زميله من مقعده، قائلاً في حزم :

-لا بأس... عد أنت إلى منزلك، وسأتولى أنا أمر هذه الحالة .

هز الدكتور "حسن" رأسة نفياً، وقال :

-ليتني أستطيع... إنها إشارة رسمية، وهذه تبعات الإدارة .

قالها، وغادر حجرة المكتب، واتجه مع زميله إلى قسم الطوارئ، في نفس اللحظة التي توقفت فيها سيارة الإسعاف أمامه، وقفز منها الدكتور"أحمد"، قائلاً في توتر :

-أنا الدكتور "أحمد شريف"، من مشرحة "زينهم . . . "لقد أرسلنا إشارة عاجلة، و. . .

قاطعه الدكتور "حسن" في حزم :

-نحن في انتظاركم .

عبرت سيارة الشرطة بوابة المستشفى، في نفس اللحظة التي نطق فيه عبارته، فالتقى حاجباه في توتر، وهو يتابعها ببصره، حتى توقفت خلفها سيارة الإسعاف، وغادرها الرائد "صفوت" في عصبية واضحة، فقال الدكتور "حسن" في حذر :

-ماذا هناك بالضبط؟ !

بدا "أحمد" شديد التوتر، وهو يجيب :

-إنه أمر صعب التصديق، ولكن . . . . لا بأس... سأخبرك بكل شيء .

تمتم الدكتور "حسن"، في حذر أكبر :

-هذا أفضل بالتأكيد .

ازدرد "أحمد" لعابه في صعوبة، وقال :

الواقع أننا قد تسلمنا صباح اليوم جثة قتيل، لقي مصرعه في أحد الفنادق الفاخرة، وعندما وصلت إلينا الجثة، كانت بدون رأس.

بدا الاهتمام على وجه الدكتور "حسن"، وهو يتساءل :

-ثم ماذا؟!

ازدرد "أحمد" لعابه مرة أخرى، قبل أن يجيب في عصبية :

-ولكنها كانت حية.

تراجع الدكتور "حسن" بحركة حادة، مع القول الأخير، فاندفع "أحمد" يروي كل ما حدث، وبكل التفاصيل . . .

الأحشاء النشطة . . . .

الرأس الذي يعاود النمو . . .

كل شيء . . .

ولم يقاطعه الدكتور "حسن" أو زميله بحرف واحد طوال الوقت، وهما يحدقان فيه بذهول تام مستنكر، حتى انتهى من روايته، ولهث بشدة، من فرط الانفعال، قائلاً :

-قبل أن تتهماني بالجنون، ينبغي أن تعلما أن الرائد "صفوت "ضابط المباحث الجنائية بالمديرية، كان شاهداً على كل ما رويته، ثم أن الجثة، أعني المصاب- أو أياً كان ما ستطلقونه عليه، معنا هنا في سيارة الإسعاف.

تبادل الطبيبان نظرة متوترة، قبل أن يتنحنح الدكتور "حسن"، ويقول في رصانة، بذل قصارى جهده لاصطناعها، كمحاولة لإخفاء حيرته واضطرابه وشكوكه :

-كلامك كله، حتى مع تأكيد الرواية، لا يحوي ذرة واحدة من الحقائق العلمية أيها الشاب، فأبسط قاعدة طبية في الوجود تؤكد أن المخ هو المحرك الرئيسي، لكل أجزاء الجسد، فيما عدا القلب الذي يتمتع بنظام إدارة خاص، وهذا يعني أنه مع نسف الرأس، والمخ بالتبعية، ينتهي النشاط الحيوي لكل خلية في الجسد، ومن المستحيل أن تعمل أية أجهزة بعدها، حتى ولو افترضنا أن . . .



قاطعه "أحمد" في عصبية :

-ما رأيك لو قمت بفحص جسمة أولاً، ثم تحدثتما عن القواعد الطبية والعلمية فيما بعد؟!

لم ترق هذه المقاطعة العصبية للدكتور "حسن"، بحكم طبيعته ومنصبه، إلا أنه، وعلى الرغم من هذا أشار إلى "أحمد" قائلاً :

-فليكن... أدخلوا الجثة إلى حجرة الفحص .

تابع ببصرة الدكتور "أحمد" والضابط "صفوت"، وهما يشرفان على نقل الجثة، والمغطاة بملاءة بيضاء كبيرة، تلوثت بعض أجزائها ببقع الدم، وتساءل في حيرة :

-أمن الممكن أن يكون ما يقولانه صحيحاً؟!

ولكن التساؤل لم يدم في ذهنه أكثر من ثانية واحدة، هز رأسه بعدها في حزم وحدة، قائلاً :

-مستحيل !

تطلع إليه "أحمد" و"صفوت" في صمت، ثم تبادلا نظرة سريعة، قال الضابط بعدها في توتر :

-هيا أعطني رأيك الطبي يا سيدي .

تنحنح الدكتور "حسن "، وربت على كتف زميله، قائلاً :

-هيا إلى العمل يا صديقي .

دلف الكل إلى حجرة الفحص الصغيرة، والتقط الدكتور "حسن" نفساً عميقاً، قبل أن يرفع الغطاء عن الجثة، و. . . .

"مستحيل"

صرخ الضابط بالكلمة، وهو يرتد في عنف، في حين اتسعت عينا الدكتور "أحمد" عن آخرهما وهو يردد :

-رحماك يارب... رحماك يارب . . .

التفت اليهما الدكتور "حسن"، في حدة وهتف بعصبية :

-ماذا أصابكما . . . أهي أول مرة تريان فيها جثة محطمة الرأس؟!

صاح "صفوت"، وهو يشير إلى الجثة :

-عندما رأيتها آخر مرة، ونحن نحضرها إلى هنا، كانت بنصف رأس .

هتف الدكتور "أحمد" في شحوب :

-وأنا أيضاً .

هتف زميل الدكتور "حسن" في استنكار :

-مستحيل! الرأس هنا سليم تقريباً، والملامح كلها واضحة... كل ما في الأمر هو أن قمة الرأس محطمة، و. . . .

قاطعة "أحمد" في عصبية :

-أنتظر، وستلتئم قريباً !

هتف الدكتور "حسن" في حدة :

تلتئم؟! أين تعلمت الطب أيها الشاب؟! ألق نظرة واحدة، وستدرك أن قمة الرأس مهشمة تماماً، والمخ داخلها ممزق متهتك إلى أقصى حد... هذا الرجل ميت مائة في المائة، و. . .

قاطعته هذه المرة شهقة من زميله، فالتفت إليه، صائحاً في غضب :

-حتى أنت؟ !

صاح زميله، وهو يتراجع في ذعر :

-الوريد العنقي... انظر إلى الوريد العنقي .

حدق الدكتور "حسن" في الوريد العنقي، الذي يشير إليه زميله المذعور، واتسعت عيناه عن آخرهما بدوره . . .

فعلى نحو شديد الوضوح، كان الوريد العنقي ينبض في قوة . . . .

نعم... ينبض بدماء الحياة والحيوية . . . .

وبكل دهشته وحيرته، هتف" حسن : "

-رباه! إنه... إنه حي .

تراجع "صفوت" بحركة أكثر حدة، وهو يهتف بذهول :

-حي؟! مستحيل !

أما "أحمد" فغمغم بلهجة أشبه بالانهيار :

-هذا ما كنت أخشاه .

ثم ساد الصمت بضع لحظات، والكل يحدق في الجثة بذهول، قبل أن ينتفض الدكتور "حسن" في حدة قائلاً :

-حالة تشخيص خاطئة أخرى .

هتف "أحمد : "

تشخيص ماذا؟ !

اعتدل الدكتور "حسن" وهو يقول في حزم :

-خطأ في التشخيص، كما يحدث لأي طبيب ناشئ... الرجل مصاب في رأسه بالفعل، ومخه متهتك، ولكن قلبه مازال يعمل، لأنه يعتمد على صانع حركة داخلي خاص، وعندما فحص طبيبنا الشرعي الشاب الجثة، تصور، نظراً لتهتك المخ، أنه أمام جثة، ولكن الواقع أن. . .

-قاطعه "صفوت" في حدة غاضبة :

-ولكن الواقع أن تلك الجثة كانت فاقدة الرأس تماماً، حتى بداية العنق، عندما رأيتها لأول مرة .

تساءل الطبيب الآخر في دهشة :

-فاقد الرأس؟! أتقصد مقطوعة الرأس؟ !

أجابه "صفوت" بنفس الحدة :

-بل منسوفة الرأس.
سأله في سرعة متوترة:
-وأي سلاح يمكن أن يفعل هذا؟!
هز "صفوت" رأسه في عصبية مجيباً:
-لا أحد يدري.
انعقد حاجبا الدكتور "حسن" في توتر بالغ، وهو يحدق في الجثة، مغمغماً:
-مستحيل! لا يمكنني أن أصدق هذا أبداً.
-قال "أحمد" في غضب:
-وما الذي يدعونا لتلفيق قصة عجيبة كهذه؟!
صاح في صرامة:
-محاولة إخفاء خطأ ما... ربما كان الضابط هو المسئول عن إصابة الرجل، وأنت تحاول حمايته، بدافع صداقة أو قرابة... من يدري؟!
هتف "صفوت" بغضب:
-كيف تجرؤ. . .
أما "أحمد" فقال محنقاً:
-وهل فقدت عقلي، حتى أحاول حمايته بقصة كهذه؟ !
أليس من السهل أن أقوم بكتابة تقرير رسمي يبرئه؟!
صاح الدكتور "حسن: "
-ومن أدراني
ثم اندفع خارج المكان، وهو يتابع بغضب هادر:
-أنا رجل علم، ولا أؤمن بهذه الخزعبلات.... أريد تقريراً طبياً يمكن قبوله، وإلا فلن أفحص خلية واحدة من هذه الجثة.
استوقفه "صفوت" في غلظة، قائلاً:
-اسمع يا رجل... إما أن تفحص هذه الجثة، أو. . .
قبل أن يتم عبارته، انطلقت صرخة رعب هادرة من حجرة الفحص، ثم أعقبتها شهقات ألم وذعر متتابعة سريعة، فاندفع "صفوت" نحو المكان، وهو ينتزع مسدسه من حزامه، في حين لحق به "أحمد"، والدكتور "حسن"، والأخير يهتف:
رباه! أية ليلة هذه؟! أية ليلة؟!
قفز الثلاثة إلى الحجرة في لحظة واحدة. . .
ثم تراجعوا بمنتهى العنف، في لحظة واحدة أيضاً

فما رأوه أمامهم كان مذهلاً . . . .

ومفزعاً . . . . . .

إلى أقصى الحدود .

* * *

٣- بداية ونهاية. . . .

من المؤكد أن ذلك المشهد، الذي رآه الرجال الثلاثة، في حجرة الفحص، بقسم الطوارئ في المستشفي، لن ينمحي من ذاكرتهم قط، ما تبقى لهم من العمر. . . .

هذا لو تبقى لهم المزيد من العمر. . . . .

ففي ركن حجرة الفحص، كان زميل الدكتور" حسن "ملقى، وقد اتسعت عيناه عن آخرهما، في ألم ورعب، وفي صدره فجوة كبيرة، تدفق منها أنهار من الدم، في حين كانت الجثة... أو بمعنى أدق، كان ذلك الشخص، ذو الملامح الأجنبية، والشعر الأشقر القصير، والذي كان مجرد جثة هامدة بلا رأس، منذ بضع ساعات، يقف على مسافة متر واحد من الرجل، ممسكاً في يده قلبه. . .

نعم . . . قلبه. . .

بوسيلة ما، لا يمكن تفسيرها قط، بأية قواعد علمية، أو طبية، أو منطقية، استعاد حياته وحيويته ونشاطه، ونهض من رقاده، بجسد ورأس كاملين، لا تنقصهما خلية واحدة، وانتزع قلب الطبيب المسكين، و. . .



ففي ركن حجرة الفحص، كان زميل الدكتور "حسن" ملقى، وقد اتسعت عيناه عن آخرهما، في ألم ورعب، وفي صدره فجوة كبيرة، تتدفق منها أنهار من الدم . . . .

وبكل توتره وذعره، رفع" صفوت" مسدسه، صارخاً :

-توقف... توقف وإلا. . .

لم يدرِ ما الذي يمكن أن يهدد به شيئاً كهذا. . .

شيئاً استعاد حياته، على نحو يخالف كل القواعد. . .

شيئاً –لسبب ما– لا يموت أبداً . . . . . .
وبهدوء مخيف، استدار إليه ذلك الشخص، وهو مازال يمسك قلب الطبيب بين أصابعه، وتطلع إليه بعينين باردتين كالثلج . . .
واتسعت عيون الرجال الثلاثة، في رعب بالغ، وهم يحدقون في ذلك الوجه . . .
من المنظور العام، كانت الملامح وسيمة جميلة إلى حد كبير . . .
ولكن في تلك اللحظة، وتحت تلك الظروف، بدت لهم بشعة مخيفة . . .
وإلى أقصى حد . . .
ومرة أخرى، ومع تحرك ذلك الشخص نحوهم، صرخ "صفوت : "
–قلت: قف .
ولكن ذلك الشخص اتجه نحوهم في هدوء بالغ . . .
هدوء عجيب . . .
مستفز . . .
مخيف . . .
ثم رفع يده إليهم . . .
يده التي تحمل القلب البشري . . .
الدامي . . .
ولوهلة، خيل إليهم أن القلب ينبض في يده، وبين أصابعه... أو أنه كان ينبض بالفعل . . .
وبحيوية عجيبة . . .
ومرة أخيرة، وفي نفس اللحظة التي اقتحم فيها حراس أمن المستشفى المكان، صرخ "صفوت : "
–قف... لا تتقدم خطوة واحدة .
ولكن ذلك الشخص تقدم خطوة أخرى . . .
وأدار يده نحو "صفوت"، والدم يسيل منها على نحو بشع، و . . .
وأطلق " صفوت" النار . . .
لم يكن قراراً عقلانياً، وإنما رد فعل بشري طبيعي، أمام أمر يفوق كل إدراك البشر وعقولهم . . .
أمر مخيف . . .
رهيب . . .
فدون حتى أن يدري، اعتصرت سبابته زناد مسدسه الرسمي، وانطلقت الرصاصات في غزارة . . .
انطلقت من فوهة المسدس، لتخترق رأس ذلك الشخص... الرأس الذي نما منذ ساعات قليلة . . .

تسع رصاصات اخترقت الرأس، في عنف شديد . . .

ومن مسافة قصيرة للغاية . . .

وفي مشهد بشع، تحطمت أجزاء من الجمجمة، وبعض الأسنان، وقطعة من الفك السفلي، وانفجرت واحدة من العينين... ولكن ذلك الشخص لم يسقط صريعاً . . .

فقط تراجع لمتر أو يزيد، ثم اعتدل، وتطلع إليهم بعينيه المتبقية، في برود شديد، بعد أن ارتطم بمائدة الفحص، وأسقط كل ما عليها من أدوية الطوارئ، وأربطة الشاش، والقطن وزجاجات كبيرة من الكحول النقي،تحطمت على أرضية الحجرة، وأطلقت في المكان كله رائحة قوية، زادت من رهبة وعنف الموقف كله . . .

وبكل رعب الدنيا، تراجع حراس الأمن، وانطلقوا يعدون هاربين، وهم يطلقون صرخات مذعورة، مع المشهد الرهيب . . .

وفي ارتياع، صرخ الدكتور "حسن : "

مستحيل ! مستحيل !

والتصق الدكتور "أحمد" بالجدار في رعب لا محدود، واتسعت عيناه عن آخرهما، وساقاه تعجزان عن معاونته على الفرار، الذي تمناه في تلك اللحظة، كما لم يتمنَّ أي شيء آخر في الوجود . . .

أما الرائد "صفوت"، فقد تراجع أيضاً خطوة، بعد أن فرغت خزانة مسدسه، لأول مرة في حياته، واتسعت عيناه في رعب، وهو يغمغم :

-ولكن! ولكن !

ثم فجأة، لمحت عيناه الكحول المسكوب، عند قدمي ذلك الشخص، والتمعت عيناه بفكرة مجنونة، والرائحة النفاذة تخترق أنفه، وتغوص في مخه حتى أعمق أعماقه . . .

وبحركة بارعة سريعة، التقط قداحته من جيبه، وهو يقول في عصبية :

-فليكن... ما من مخلوق حي، في الكون كله، يمكن أن ينجو من هذا .

ثم أشعل القداحة، وألقاها تحت قدمي ذلك المخلوق، وهو يتراجع في قوة، ويدفع الدكتور "حسن" معه خارج الحجرة... واتسعت عينا "أحمد" أكثر وأكثر، وهو يواجه تلك الجثة الحية وحده . . .

وفي لحظة أو أقل، اشتعلت النيران . . .

وعلى الرغم من هذا، واصل ذلك الشيء تحركه لخطوة أو خطوتين، وقد تحول إلى كتله من اللهب . . .

واتسعت عينا "أحمد" عن آخرهما، وهو يصرخ . . .

ويصرخ . . .

ويصرخ . . .

ولكن ذلك المشتعل توقف فجأة . . .

ثم تراجع في عنف، وكأنما أصابته صاعقة مباغتة . . .

وانطلقت من حلقه صرخة . . .

أو هي شيء أشبه بالصرخة . . . .

لقد انطلق منه صوت أشبه ببئر عميقة، انطلق داخلها إعصار مباغت . . .

صوت تردد في المستشفى كله . . .

أو ربما في المنطقة بأكلمها . . .

وصرخ "أحمد" مرة أخرى . . .

وصرخ . . .

وصرخ . . .

ومع صرخاته، اندفع حراس الأمن مرة أخرى إلى المكان، حاملين أسطونات الإطفاء الحمراء، ولكن "صفوتط صرخ فيهم بكل عصبيته وتوتره :

-كلا . .

صاح به الدكتور "حسن : "

هل جننت أيها الضابط؟! إنها النيران مشتعلة .

صرخ "صفوت" بعصبية أكثر، وهو يرفع مسدسه في وجوههم :

-قلت : كلا .

كانت صرخات "أحمد" تخترق أذنه في قسوة، الدخان ينتشر في المكان كله، ممتزجاً برائحة شواء مخيفة، ولكن كل هذا لم يكن يساوي في نظره شروى نقير . . .

كل ما سيطر على كيانه لحظتها، هو أنه من الضروري أن يحترق ذلك الشيء . . .

وحتى آخر خلية منه . .

مهما كانت العواقب . . .

وهذا ما حدث . . .

بمنتهى الدقة . . .

* * *

الجثة المحترقة بأكملها، والتي بدت أشبه بتمثال من الفحم، كانت ترقد في سكون، على منضدة الفحص الرخامية، في قلب مشرحة "زينهم . . . "

وبخطوات مرتجفة مترددة، دلف "أحمد" إلى المكان . . .

كان يرتدي معطفه، وقفازيه، ويمسك بيده أكبر مشرط في المكان كله... ولكن قلبه كان يخفق في عنف. . .

بمنتهى العنف. . .

أو أنه كان يرتجف بين ضلوعه. . .

من العسير عليه أن يقوم بعمله هذه المرة. . .

من العسير جداً. . .

ولكنه تقدم من الجثة المحترقة. . .

واقترب. .

واقترب . . .

ولثوانٍ، حدق فيها صامتاً، وتطلع إلى الرأس المحترق، متمتماً:

-ترى هل من الممكن أن. . .

لم يتم عبارته، وهو يرفع مشرطه بأصابع مرتجفة، ويتجه به نحو صدر الجثة، و. . .

وفجأة انفتحت العينان دفعة واحدة. . .

وحدقتا فيه بتلك النظرة الباردة المخيفة. . .

واتسعت عيناه في رعب بلا حدود. . .

وسقط المشرط الكبير من بين أصابعه. . .

وحاول أن يتراجع. . .

وأن ينطلق هارباً. .

ولكن قدميه تسمرتا في الأرض كما حدث في المرة السابقة، وظلت عيناه تحدقان في عيني الجثة، و. . .

وارتفعت اليد المحترقة بغتة. .

واخترقت صدره. . .

ثم أمسكت قلبه

"لا" . . . . .

انطلقت الصرخة من حلق الدكتور "أحمد"، وهو يهب جالساً في فراشة، وقلبه يخفق بمنتهى العنف. . . وعلى الرغم من خروجه من ذلك الكابوس البشع، فقد اتسعت عيناه عن آخرهما، وهو يحدق في كل ما حوله، وكأنما يتأكد من أنه في منزله. . .

وفي حجرة نومه . . . .



ولثلاث دقائق كاملة، ظل يخفق بذلك العنف، وأنفاسه تتلاحق، والعرق يغمر وجهه، قبل أن يتمتم :

-مستحيل! أسبوع كامل، وذلك الكابوس يصر على مطاردتي كل ليلة... أعتقد أنني لن أستطيع نسيان هذا أبداً . .

لم يكد يتم عبارته، حتى ارتفع رنين الهاتف المجاور لفراشه بغتة، على نحو جعله يقفز من مكانه، وهو يطلق صرخة مذعورة، ثم يختطف السماعة، هاتفاً في عصبية :

-من المتحدث، في مثل هذه الساعة؟!

أتاه صوت الرائد "صفوت"، وهو يقول في دهشة :

-هذه الساعة؟! إنها الثامنة والنصف صباحاً... أليس المفترض أن تذهب إلى عملك الآن؟!

اتسعت عينا "أحمد"، وهو يتمتم في دهشة :

-الثامنة والنصف؟!

قالها محدقاً في المنبه الكبير بجوار الهاتف، قبل أن يطلق زفرة متوترة، قائلاً :

-إنني في إجازة .

قال "صفوت" في دهشة :

-لماذا؟! ألم تنتهِ كل التحقيقات، ويتم إغلاق الملف نهائياً؟!

زفر "أحمد" مرة أخرى؟، قائلاً :

إنني بحاجة إلى فترة من النقاهة وتهدئة الاعصاب .

زفر "صفوت" بدوره، وهو يغمغم :

كلنا بحاجة إلى هذا يا صديقي.... إنه أبشع ما مررت به في حياتي كلها.. لست أظنني سأنسى هذا قط .

هز "أحمد" رأسه، قائلاً في توتر :

-الكوابيس مازالت تهاجمني كل ليلة .

هتف "صفوت : "

أنت أيضاً؟ !

أوما برأسه إيجاباً، دون أن ينتبه إلى أنهما يتحدثان عبر الهاتف في حين تابع "صفوت" كما لو أنه لم ينتظر جواباً :

-صدقني يا صديقي، أنا أيضاً ترادوني كوابيس مخيفة كل ليلة.... الأمر كله كان كابوساً كبيراً، ومازال يدهشني أن المسئولين قد استوعبوا القصة، على الرغم من غرابتها وعدم منطقيتها، ويسعدني أيضاً أنهم قد وافقوا على مطلبك بإذابة الجثة في حامض مركز، بعد فحصها وتشريحها، باعتبار أن هذا هو الحل الوحيد لاتقاء ما يمكن أن يحدث منها في المستقبل .

اعتدل "أحمد" قائلاً :

هذا ما أدهشني أكثر في الواقع... بل لقد بدا لي أنهم مستعدون بالفعل للتصديق، أو أن . . .

بتر عبارته بغتة، فاستحثه "صفوت"، قائلاً :

-أو أنهم ماذا؟ !

تردد "أحمد" لحظة، قبل أن يندفع، مجيباً :

-أو أنهم يعلمون .

هتف "صفوت"، بكل دهشة الدنيا :

-يعلمون؟! مستحيل! وكيف يمكن أن يعلموا أمراً كهذا؟

تنهد "أحمد" قائلاً :

-لست أدري، ولكن تصور نفسك في موضعهم، وشخص أتى ليخبرك بقصة كقصتنا، مع جثة محترقة، فهل كنت ستنهي الأمر بكل إجراءاته، خلال أسبوع واحد؟ !

غمغم "صفوت"، بلهجة تسلل إليها الشك :

-ولا حتى في عام كامل

قال "أحمد" في اهتمام أكثر :

لماذا بدا الجميع متفهمين ومتعاونين إذن؟ ! وكيل النيابة ورجال المباحث العامة، وحتى رئيس مصلحة الطب الشرعي... الكل استوعب رواية مذهلة، في سرعة أكثر مدعاة للذهول... بل ووافقوا على إجراء فريد، لست أظن أحداً قد فكر فيه مجرد تفكير من قبل، وكأنهم أكثر رغبة منا في التخلص من الجثة . . . ألم يلفت هذا انتباهك؟ !

أجابه "صفوت" في بطء، وكل حرف من حديثه يحمل قنطاراً من الشك والحذر :

-بكل تأكيد، ولكنني تصورت أن . . .

بتر عبارته دفعة واحدة، دون سبب محدد، واستمر صمته بضع لحظات، قبل أن يقول في حزم:

-أعتقد أننا نحتاج إلى التحدث وجهاً لوجه لبعض الوقت... قل لي: هل يمكنك دعوتي إلى قدح من الشاي؟!

أجابه "أحمد" في لهفة، وكأنما كان يتمنى هذا..

-إنني في انتظارك.

لم تمضِ نصف الساعة حتى ضمتهما مائدة صغيرة، مع قدحين من الشاي، في حجرة مكتب "أحمد"، و"صفوت" يقول في حسم:

-ما يدهشني أكثر أن التحقيقات قد انتهت، وتم إغلاق الملف، بأمر من النائب العام شخصياً، على الرغم من أن كل تحرياتنا لم تتوصل إلى معرفة شخصية القتيل أو هوية قاتله.

سأله "أحمد" في دهشة:

-لماذا؟! ألم تجدوا شيئاً في حافظته الشخصية، أو في جيوب حلته؟!

هز "صفوت" رأسه مجيباً:

-لم يكن يحمل حافظة، أو أية أشياء أخرى ... لقد كانت جيوبه كلها خالية تماماً.

تراجع "أحمد" قائلاً:

-خالية تماماً؟! وكيف هذا... كل شخص منا يحمل في جيبه شيئاً على الأقل.. تذكرة قطار قديمة، مفاتيح سيارته أو منزله، أو بعض النقود على الأقل.

هز "صفوت" رأسه مرة أخرى، وهو يقول:

-إلا هذا الشخص... لقد ذهب إلى الفندق، دون أن يحمل معه أية أشياء على الإطلاق... حتى الحلة، التي كان يرتديها كانت جديدة، ولم ينتزع منها السعر بعد.. من الواضح أنه قد ابتاعها قبل ذهابه إلى هناك مباشرة، لمقابلة شخص ما.

مال "أحمد" نحوه، متسائلاً في اهتمام:

-وماذا عن مدير الفندق وموظفيه؟!

سأله "صفوت" في حذر:

-ماذا عنهم؟!

قال في سرعة:

-ربما كانوا هم من جرده من كل ما يحمله.

هز "صفوت" رأسه نافياً، وقال:

-كلا... لقد افترضت هذا أيضاً، ولكن الكل أكد أن ثلاثة من طاقم الأمن ظلوا مع الجثة طوال الوقت،

منذ مصرعها، وحتى حضرت أنا .
انعقد حاجبا "أحمد"، وهو يحاول البحث عن منطق الأمور، ثم لم يلبث أن هز رأسه بدوره، وهو يتمتم :
-عجباً !
ثم استطرد في اهتمام :
-ومادمتم تجهلون شخصية القتيل، فمن الطبيعي أن يستحيل العثور على قاتله، وسط ملايين البشر، إلا إذا . . .
هتف به "صفوت : "
-إلا إذا ماذا؟ !
أجاب في سرعة أيضاً :
-إلا إذا حصلتم على أوصافه من الشهود .
مط "صفوت" شفتيه، وهو يقول في حنق :
-لا تذكرني بهذا بالله عليك، فقد استجوبت الكل، وخرجت بأربعة أوصاف مختلفة، لا توجد أدنى صلة بين أي منها والباقية... بعضهم وصفه بأنه عريض المنكبين، خشن لا شعر، له شارب ضخم، والبعض الآخر بأنه طويل نحيل له لحية قصيرة، والبعض الثالث بـ . . . . . .
قاطعه "أحمد"، قائلاً :
-ياللسخافة !
ابتسم "صفوت"، مغمغماً :
-صدقت
ثم التقط نفساً عميقاً، وكأنما يحاول تهدئة أعصابه الثائرة، قبل أن يلوح بذراعه كلها، قائلاً، مع محاولة للابتسام :
-ولكن لماذا يقلقنا كل هذا، بعد أن نفض الكل أيديهم منه؟ !
دعنا ننسَ كل شيء مثلهم يا صديقي، ولنعد لممارسة حياتنا الطبيعية، فمهما كان ما حدث، فقد انتهى الأمر تماما، وهذا هو المهم . . . .
أليس كذلك؟ !
تنهد "أحمد" متمتماً :
-أتعشم هذا .

نطقها بلسان مازال يحمل نبرة من الشك والقلق والحذر... نبرة لم ترقَ قط إلى مرحلة إدراك الحقيقة المخيفة . . .

حقيقة أن كل هذا لم يكن نهاية الأحداث . . .

لقد كان البداية . . .

فقط .

..

٤- لون الدم . .

آخر أيام الإجازة . . .

التقط (أحمد) نفساً عميقاً، وهو يوقف سيارته أمام المشرحة، في ذلك الصباح، وظل لخمس دقائق كاملة قابعاً داخل السيارة، يتطلع إلى المكان في رهبة، وكأنما هو زائر عادي، أدرك لأول مرة في حياته، أن وظيفة المشرحة هي حفظ جثث الموتى . .

ثم أخيراً انطلقت من أعماق أعماقه زفرة متوترة، وهو يغادر السيارة، مغمغماً :

-لا بأس... لابد من مواجهة الأمر، إن عاجلاً أو آجلاً .

دلف إلى المكان في توتر، وكأنه طبيب حديث التعيين، واستقبله الزملاء والعاملون بابتسامات كبيرة، وترحاب شديد وأسرع عامل المكان يعد له قدح القهوة المعتاد، قبل حتى أن يستقر على مكتبه، وبدا الكل ودودا مرحباً، على نحو أزال توتره، ومنحه الكثير من الهدوء والاستقرار والثقة، حتى إنه ارتدى معطفة الطبي في حماس، وهو يسأل زميله بابتسامة كبيرة :

-والآن ماذا لدينا اليوم؟!

ضحك زميله، قائلاً :

-هل تتعجل العمل إلى هذا الحد؟!

هز(أحمد) كتفيه، وابتسم، قائلاً :

-مادمنا هنا، فالعمل أفضل من الملل .

ضحك زميله مرة أخرى، وهو يقول :

-يبدو أنك مضطر للاكتفاء بالملل اليوم، فلأول مرة منذ فترة طويلة، ليس لدينا حالات للفحص... الزملاء أنهوا كل العمل أمس .

تنهد(أحمد)، قائلاً :

-عظيم .

ولكن زميله استدرك في سرعة :

-فيما عدا . . .

قالها، وبتر عبارته، على نحو جعل (أحمد) ينحني نحوه، متسائلاً :

-فيما عدا ماذا؟!

هز كتفيه، وتردد قبل أن يقول :

-عينة الدم... أعتقد أنه لم يعد هناك مبرر للاحتفاظ بها الآن .

انعقد حاجبا (أحمد)، وهو يسأله :

-أية عينة دم؟!

تردد زميله بضع لحظات أخرى، وكأنما يخشى أن يفسد الموقف، فقال (أحمد) يستحثه، في شيء من العصبية :

-أية عينة دم تتحدث عنها؟!

زفر زميله مستسلماً، وقال :

-عينة الدم التي حصلت عليها من تلك الجثة، صاحبة المشكلة الـ . .

اتسعت عينا(أحمد) عن آخرهما، وهو يتذكر الأمر فجأة.... كيف نسي عينة الدم تلك؟!

كيف غابت عن ذهنه، وسط كل تلك الأحداث العنيفة؟!

بل كيف غابت عن أذهان المحققين، والمسئولين، ورجال الشرطة، والنيابة، والكل؟!

وبتوتر أدهش زميله، التفت إليه، قائلاً :

-أين تلك العينة؟!

أجابه زميله في دهشة :

-في ثلاجة المعمل... لست أدري لماذا احتفظوا بها كلها؟!

عشرة سنتيمترات أو عشرون كانت ستكفي كل الفحوصات الممكنة، وكل الـ . . . .

قاطعة (أحمد) في عصبية :

-عشرون ماذا؟! ما الذي تقصده بقولك هذا يا رجل... كم يبلغ حجم العينة التي وصلتكم؟!

مط زميله شفتيه، مجيباً في حذر :

-حوالي الخمسين .

سأله في حدة :

-خمسون ماذا؟!

قال في توتر :

-خمسون سنتيمتراً تقريباً يا) أحمد)... ماذا أصابك؟!

أمازلت تشعر بالتوتر، كلما تذكرت الـ . . . .

قفز(أحمد) من مقعده، قبل أن يتم زميله عبارته، وانطلق يعدو كالصاروخ، نحو المعمل . . . .

عشرون سنتيمتراً... خمسون سنتيمتراً . . .

رباه ! ما الذي يحدث بالضبط؟!

أي عبث شيطاني هذا؟!

كيف تنمو هذه الأشياء على هذا النحو العجيب؟!

كيف . . .

كيف . . .

أدهش موقفه الكل، فتبعوه إلى المعمل الصغير، وهتف به مديره، عندما اقتحم المكان في عنف:

-ماذا دهاك يا دكتور(أحمد)؟! ماذا حدث؟!

فتح (أحمد) ثلاجة المعمل في حركة حادة، ثم اتسعت عيناه عن آخرهما، وهو يحدق في الوعاء الكبير، الممتلئ بما يقرب من نصف لتر من الدم أمامه، على نحو يكاد معه الغطاء المحكم ينفجر، وتراجع في توتر بالغ، هاتفاً:

-مستحيل! مستحيل!

صاح به مديره:

-ما هو المستحيل!

أشار إلى الوعاء في عصبية قائلاً:

-كل هذا الدم كيف أصبح هكذا؟!



مال مديره برأسه، يتطلع إلى الدم في دهشة، متسائلاً:

-أصبح ماذا؟!

صاح (أحمد) في حدة:

-كيف أصبح بهذا الحجم... أعني بهذه الكمية؟!

بدت حيرة أكثر على وجه المدير، وهو يتساءل :

-أية كمية؟ !

صاح (أحمد) :

-هذه الكمية كانت عشرين سنتيمتراً فحسب، عندما أرسلتها إلى هنا، فكيف بلغت هذا المقدار، خلال عشرة أيام، كيف؟ !

حدق المدير في وجهه، كما لو أنه يتطلع إلى مجنون، قبل أن يقول في حدة :

-ومن قال إن هذه العينة تخصك؟! إنها تخص بعض الأبحاث، التي أجريها أنا، والتي تستهلك كميات كبيرة في المعتاد .

اتسعت عينا (أحمد)، وهو يقول ذاهلاً :

-تخصك؟ !

ثم استدار يحدق في الثلاجة شبه الخالية مرة أخرى، قبل أن يهتف :

-أين العينة الأخرى إذن؟ !

تنحنح فني المعمل، وقال في حرج متردد :

-الواقع أن . . .

استدار إليه (أحمد) بحركة حادة، متسائلاً في شراسة :

-أن ماذا؟ !

ارتبك الفني أكثر، وقال في شيء من الذعر :

-إنها عينة تالفة، وغير مسجلة رسمياً، و . . .

صاح فيه (أحمد)، بشراسة أكبر :

-ماذا فعلت بالعينة؟ !

لوح الرجل بذراعيه في هلع، هاتفاً :

-أنا لم أفعل شيئاً... لقد تحطمت القنينة وحدها، والدم كله كان متجلطاً، ولقد اضطررت للتخلص منها في البالوعة .

قاطعه (أحمد)، هاتفاً في ارتياع :

-متجلطاً؟! البالوعة؟! يا إلهي! يا إلهي !

تراجع مع هتافه، وترك جسده يهوي على أول مقعد ارتطم به، أمام دهشة وتوتر الجميع، وعلى رأسهم

المدير، الذي قال للفني في غضب عصبي :

-كيف يمكن أن يتجلط الدم هنا؟! المفترض أن تمنعه البرودة من هذا .

هتف الرجل مذعوراً :

-أقسم لك يا سيادة المدير أنني لا أعرف كيف . . .

قاطعه (أحمد) في صوت خافت، ولهجة حملت كل مرارة الدنيا :

-أنا أعرف كيف؟ !

التفت إليه الجميع في دهشة بالغة، فتراجع برأسه في ألم، مستطرداً :

-ولكنني أجهل لماذا؟ ! لماذا؟ !

نعم... هذا هو السؤال الحقيقي، والأكثر خطورة، في ظل هذه الظروف . . .

لماذا يحدث كل هذا؟ !

لماذا؟ !

* * *

اشرأب (صفوت) بعنقه وهو يحدق في وجه (أحمد) بذهول، وتدلى فكه الأسفل على نحو عجيب، وهو يهتف :

-حية؟! دماء حية؟! ماذا تعني بقولك هذا يا رجل؟ !

هز (أحمد) رأسه، وقال :

-أعني ما فهمته بالضبط، وما تحاول إقناع نفسك بعدم فهمه . . .

عينة الدم، التي أخذتها من الجثة، تنمو.... تماماً كما حدث مع الجثة نفسها .

حدق (صفوت) في وجهه لحظة أخرى، ثم لم يلبث أن تراجع، وأشعل سيجارته في عصبية، قائلاً :

-رباه! ألن ينتهي هذا الكابوس أبداً؟ !

مال (أحمد) نحوه بدوره، وهو ويقول :

أخشى أنه قد بدأ فحسب يا صديقي .

اتسعت عينا) صفوت) وهو يهتف مذعوراً :

-بدأ؟ !

أوما (أحمد) برأسه، قائلاً :

-فني المعمل لم يفهم ما حدث، إلا من مستوى تفكيره المحدد فحسب، فالقنينة التي تحوي عينة الدم تحطمت، لأن الدم قد نما وتزايد، وتضاعف حجمه، من السنتيمترات العشرين، التي حصلت عليها أنا، إلى

سنتيمترات خمسين، رآها زميلي، إلى كتلة متجلطة ضخمة، تفوق سعة القنينة، كتلة تخلص منها الفني عبر البالوعة، لتواصل نموها في مكان لا يعلمه إلا الله (سبحانه وتعالى).

نفث (عصمت) دخان سيجارته في عصبية، وهو يغمغم في توتر بالغ:

-نموها؟!

ضرب (أحمد) سحب الدخان بيده، وهو يهتف في حدة:

-توقف عن تدخين هذا السم... إنك تقتل نفسك بهذا، دون أي جدوى.

مط (عصمت) شفتيه في حنق، وهتف:

*** من التدخين ومضاره، وأخبرني بالله عليك: ما الذي تعنيه بمواصلة النمو هذه؟!

هز (أحمد) كتفيه، وقلب كفيه، قائلاً:

-أعني ما تخشى فهمه يا صديقي... تلك الكتلة المتجلطة أشبه بجنين في طور النمو... جنين لا يحتاج إلى رحم، لأنه يلتقط عوامل نموه من كل ما حوله، حتى يصبح كائناً كاملاً، مثل . . .

ازداد لعابه في صعوبة، قبل أن يتابع في عصبية:

-مثل ذلك الذي قتلته هناك... في حجرة الفحص بالمستشفى.

انتفض جسد (صفوت) في عنف، وسقطت سيجارته من بين شفتيه، وعيناه تبلغان اتساعهما، وهو يحدق في وجه (أحمد) كالمصعوق، لدقيقة أو يزيد، قبل أن يقول بصوت مرتجف:

-مستحيل! مستحيل أن يحدث هذا مرة أخرى.

ثم لوح بذراعة، وهو يميل لاستعادة سيجارته بيده الأخرى، مستطرداً:

-ثم من أدراك أن ذلك الدم سينمو بالفعل، أو سيمكنه أن يواصل النمو، في بيئة كهذه؟! أليس من المحتمل أن يقتله التلوث في أنابيب المجاري؟!

مط (أحمد) شفتيه، مغمغماً:

-هذا محتمل.

هتف (صفوت)، وكأنما وجد مخرجاً:

-ألم أقل لك؟!

أجاب(أحمد) في حزم:

-ومن المحتمل أن يتواصل النمو، على الرغم من كل العوامل.

انعقد حاجبا (صفوت)، وهو يقول في عصبية:

-ليس لدينا دليل واحد على هذا.

زفر (أحمد) في توتر، وقال :

-من يدري؟! ربما أتانا الدليل على نحو احتماله .

لم يعلق (صفوت) على العبارة، وهو يميل ليستند إلى مقعدة، وينفث دخان السيجارة في عصبية، وعقله يتساءل بكل قلق الدنيا: هل يمكن أن ينمو ذلك للدم بالفعل؟!

هل؟!

وبقي السؤال يمزق خلايا مخه بلا جواب . . . .

أو رحمة . . .

* * *

انطلقت دقات الساعة، تعلن تماما منتصف الليل في (القاهرة) .

وشد حارس الأمن، في ذلك المبنى الأنيق، في حي الزمالك، قامته، والتقط نفساً عميقاً من هواء الليل الرطب، قبل أن يلتقط مجلة فنية حديثة، مغمغماً :

-ليلة جديدة من الملل والإرهاق .

وتنهد في أسى، وهو يطالع المجلة، متابعاً :

-لن يمكنني الاستمرار طويلاً في هذه المهنة... إنني لم أحصل على شهادتي الجامعية، لأعمل كحارس أمن .

واصل مطالعة المجلة في اهتمام، وهو يرفع ساقيه على سطح المكتب، و . . . .

وفجأة لمح ذلك الشيء . . .

كتلة حمراء دامية، في حجم جنين صغير، تستقر في نهاية مدخل البناية، بالقرب من فتحات الصرف . . .

ولوهلة، خيل إليه أنها جنين غير مكتمل النمو بالفعل، إلا أنه لم يكد يعتدل في مجلسه، ويلقي نظرة أخرى عليها، حتى أدرك أنها مجرد كتلة حمراء قانية غير منتظمة . . .

وبدهشة وقلق، اتجه الحارس نحو تلك الكتلة، وهو يتحسس مسدسه في توتر، وانحنى يتطلع إلى الكتلة القانية في حيرة . . .

كانت أشبة بقطعة كبيرة من الجيلي، حمراء قانية، و . . . .

واصل مطالعة المجلة في اهتمام، وهو يرفع ساقيه على سطح
المكتب، و . . . .
وفجأة لمح ذلك الشيء . . .

كتلة حمراء دامية، في حجم جنين صغير، تستقر في نهاية مدخل البنايةوتنبض . . .

نعم.... تنبض في بطء وقوة، كما لو أنها تحوي في أعماقها قلباً حياً . . .

واستحالت دهشة الحارس إلى ذهول تام، وهو يتمتم :

-ما هذا بالضبط، وكيف وصل إلى هنا؟ !

كان ذلك الشيء ينبض على نحو عجيب، جذب انتباه الحارس في شدة، فاقترب أكثر وأكثر، و . . .

وثبة قوية مباغتة، جعلته يلتصق بوجه الحارس، الذي تراجع في عنف كالمصعوق، واختنقت صرخته، خلف تلك الكتلة الدموية، الملتصقة بوجهه، وراح يضرب بذراعيه في عنف، وأمسك ذلك الشيء، يحاول انتزاعه عن وجهه . . .

ولكن أصابعه غاصت في كتلة الدم . . .



كتلة تفجرت على نحو رهيب، وغمرت جسده كله بالدم... وبكل الرعب، راح الحارس يتراجع، ويتراجع، وذراعاه تقاتلان في استماتة، ورعب، وهلع . . .

ولكن أنفاسه اختنقت في صدره . . .

واختنقت . . .

واختنقت . . .

ثم لم تلبث مقاومته كلها أن انهارت . .

وسقط جسده . .

سقط جثة هامدة . . .

وفي بطء، راحت بقع الدم تنفصل عن جسده، وتزحف فوقه في نعومة مدهشة لتلتصق مرة أخرى بذلك

الكيان الذي ظل مستقراً على وجه الحارس طويلاً . . .

طويلاً جداً . .

* * *

هب (أحمد) من فراشه مذعوراً، مع رنين جرس باب منزله المتصل، فاندفع نحوه في عصبية، هاتفاً .

-حسن... حسن... أنا قادم .

ولم يكد يفتح الباب، حتى هتف في دهشة عارمة :

-(صفوت)... ما الذي . . .

قاطعه (صفوت) في صرامة، قبل أن يتم عبارته :

ارتدِ ملابسك، وتعال معي فوراً .

حدق (أحمد) في وجهه، متسائلاً بكل القلق :

-ماذا هناك؟!

تجاوز (صفوت) إلى الداخل، مجيباً :

-جريمة قتل أريد منك أن تعاينها بنفسك .

قال (أحمد)، في دهشة حذرة :

-جريمة قتل؟! ومنذ متى ينتقل الطبيب الشرعي إلى مسرح الجريمة مباشرة؟!

أجابه (صفوت) في صرامة عصبية :

-هذه الجريمة استثناء من القاعدة .

اتسعت عينا (أحمد) في ارتياع، وقد أدرك ما يرمي إليه

(صفوت)، وغمغم :

-انتظرني دقيقة واحدة .

لم يتبادل أحدهما كلمة واحدة مع الآخر، طوال الطريق إلى الزمالك، وما أن بلغا البناية، التي وقع عندها الحادث، حتى اتجه (صفوت) نحو الجثة المغطاة،

وكشف الغطاء عنها وهو يقول في توتر :

-لقد عثر عليه حارس البناية المجاورة بالمصادفة البحتة :

انتفض جسد(أحمد) في عنف، وهو يحدق في جثة الحارس، بذهول يمتزج بالرعب والهلع . . . .

لقد كانت الجثة ملقاة على ظهرها، وقد اتسعت عيناها، في رعب هائل، وتجعد جلدها كله، مكتسباً لوناً شديد الزرقة . . . .

لون جسد خلا تماماً من الدم . . .

حتى آخر نقطة...ودون كلمة واحدة، انحنى (أحمد) يفحص الجثة بدقة أكبر، في حين اكتفى صفوت

بالتطلع إليه، وهو ينفث دخان سيجارته في عصبية . . .
وكان الأمر كله رهيباً بحق . . .
لقد امتص شيء ما كل قطرة دم في جسد الحارس... على نحو لا مثيل له . . .
ثم إن ذلك الشيء قد زحف نحو مدخل البناية . . .
زحف لمتر أو يزيد، ثم نهض . . .
نعم... نهض واقفاً على قدمين صغيرتين، في حجم قدمي طفل، خطا بهما عشر خطوات تقريباً، قبل أن يختفي كل أثر له دفعة واحدة . . .
وفي عصبية زائدة، ومع نهوض (أحمد)، غمغم (صفوت) :
-إنه هو... أليس كذلك؟ !
أومأ (أحمد) برأسه إيجاباً، دون أن ينبس ببنت شفة، فهتف (صفوت) في حنق، وهو ينفث دخان سيجارته :
-كنت أعلم هذا .
تطلع (أحمد) إلى الجثة مرة أخرى، قبل أن يقول في حزم :
-أريد فحص هذه الجثة.. الآن .
أشار (صفوت) إلى الرجال، فأسرعوا يحملون الجثة، وهو يقول في صرامة .
-مشرحة (زينهم)... فوراً .
شملهما الصمت مرة أخرى لبعض الوقت، وهما ينطلقان نحو المشرحة، قبل أن يهتف (صفوت) في غضب :
-ما الذي يسعى إليه ذلك الشيء بالضبط؟ !
أجابه (أحمد) في توتر :
-النمو .
هتف (صفوت) :
-وما هو بالضبط؟! من أين جاء؟! صمت (أحمد) بضع لحظات في تردد، قبل أن يسأل (صفوت) في حذر :
-قل لي يا رجل.... هل تؤمن بوجود كائنات في عوالم أخرى؟ !
حدق (صفوت) فيه لحظة بذهول، قبل أن يهتف محنقاً :
-هل تعتقد أن الوقت يناسب هذه الخزعبلات؟ !

أجابه (أحمد) في حزم :

وجود كائنات في كواكب أخرى ليس خزعبلات.... إنه فرضية علمية جادة للغاية، وفرضية منطقية أيضاً.

صاح (صفوت) في حدة :

-وهل هذا وقت مناقشة الفرضيات؟!

أجابه بحزم أكثر :

-هذا هو الوقت المناسب تماماً.

صاح (صفوت) :

-بدلالة ماذا؟!

هتف(أحمد) في توتر :

ألم تنتبه بعد إلى ما يحدث يا رجل؟! ألم تدرك قط أننا نواجه شيئاً لا ينتمي إلى عالمنا، بأي حال من الأحوال؟! ألم تحاول أبداً ربط الأحداث ببعضها، وفهم ما يمكن أن تعنيه؟ !

قاتل غامض مجهول، يعجز الكل عن وصفه بدقة، يستخدم سلاحاً رهيباً، قادراً على نسف رأس بشري بالكامل، دون أن يصدر صوتاً، ودون أن تكشفه بوابات الأمن الإلكترونية، وقتيل يفقد رأسه كله، ثم ينمو ذلك الرأس مرة أخرى، ويعود القتيل إلى الحياة، وينتزع قلب رجل حي، ثم يتلقى تسع رصاصات دون أن يموت، ثم عينة دم تتضخم، ويتضاعف حجمها وحده، حتى تحطم قنينتها،، ورجل يتم قتله ببشاعة، وامتصاص كل نقطة دم في جسده... ألم تقتنع بعد أن كل هذا لا ينتمي إلى عالمنا؟!

حدق (صفوت) فيه بذهول، وتطلع عبر زجاج السيارة إلى سيارة الإسعاف، التي تنطق أمام سيارة (أحمد)، وارتجفت شفتاه بضع لحظات، قبل أن يتمتم في خفوت شديد :

-من عالم آخر؟!

احترقت السيجارة بين أصابعه، دون أن يدري، حتى شعر بلهيبها، فألقاها بعنف عبر النافذة، هاتفاً :

-مستحيل !

ثم التفت إلى (أحمد)، متابعاً في عصبية :

-طوال حياتي لم أصدق هذه الخرافات أبداً، ولن أصدقها الآن، لمجرد أن أمامنا لغزاً لم نتوصل إلى حله بعد... التبرير الذي تبحث عنه أسخف من الموقف نفسه... اعترف بعجزك عن الفهم، بدلاً من أن تؤلف قصة سخيفة عن الفضاء وسكانه المزعومين.

هتف (أحمد) في حدة :

-ألديك تفسير آخر أيها العبقري؟!

صاح (صفوت) :

وهل هناك تفسير أول؟! هل تحاول إقناعي بأن القاتل والقتيل مخلوقان من كوكب آخر، قطعا ملايين الكيلو مترات، من (المريخ) إلى هنا، ليقتل أحدهما الآخر .

قال (أحمد) في عصبية .

-ومن تحدث عن المريخ؟!

هتف (صفوت) في سخرية عصبية :

-إنهما ليسا من القمر بالتأكيد .

انعقد حاجباً (أحمد) في غضب وقال :

-فليكن... من الواضح أنك تمتلك عقلية غير علمية على الإطلاق .

قال (صفوت) في حدة :

-سأترك لك هذا الامتياز، أيها العلمي العبقري .

مط (أحمد) شفتيه، مغمغماً :

-يا للسخافة !

فأشاح (صفوت) بوجهه، هاتفاً :

-يا للحماقة !

لم يتبادلا كلمة أخرى، وكلاهما يكتم غيظه في أعماقه، حتى بلغا مشرحة (زينهم)، فأسرع (أحمد) يرتدي معطفه وقفازيه، واندفع لفحص الجثة، التي تم نقلها إلى قاعة التشريح، في حين وقف (صفوت) في الخارج، ينفث دخان سيجارته في عصبية، وهو يكرر كل بضع دقائق :

-مخلوقات من الفضاء!! يا للسخافة !

مضت أكثر من ساعة كاملة، بدت له أشبه بالدهر، نفث خلالها دخان علبة سجائر كاملة قبل أن يخرج (أحمد) من حجرة الكشف ممتقع الوجه، على نحو مخيف، جعل (صفوت) يحدق فيه بضع لحظات في ذهول، قبل أن يهتف بنفاد صبر :

-ماذا هناك بالله عليك؟!

هز (أحمد) رأسه، بكل شحوب الدنيا، وهو يتمتم بصوت مرتجف :

-لن يمكنك أن تصدق.. لن يمكنك أبداً .

واتسعت عينا(صفوت) عن آخرهما . . .

فالأمر كان بالفعل مذهلاً . . .

مذهلاً للغاية .

* * *

٥- نمو . .

الثالثة بعد منتصف الليل . . .

ساد الهدوء تماماً تلك المنطقة، في وسط مدينة (القاهرة)، عند ميدان (أحمد عرابي)، حتى إن صوت عبور سيارة شرطة النجدة، دون أن تطلق أبواقها التقليدية، بدا مزعجاً للغاية، خلال الدقيقة التي استغرقتها، قبل أن تنطلق إلى شارع) قصر النيل)، ويتلاشى صوتها رويداً رويداً . . . .

ثم يعود الهدوء التام، ليشمل كل شيء . . .

ومن أحد الأركان المظلمة، وبنعومة عجيبة، تحرك جسم غريب، ليعبر الطريق، بسرعة كبيرة نسبياً . . .

كان أشبة بطفل صغير، يسير على ساقين قصيرتين للغاية، إلا أن نصفه العلوي كله كان عبارة عن كتلة هلامية، حمراء قانية، غير ذات معالم . . . .

الواقع أنه لم يكن يسير على هاتين الساقين . . .

بل كان ينزلق كقطرة ماء على سطح أملس، على نحو لا يمكن أن يقوم به كائن حي على سطح الأرض، باستثناء أنواع نادرة من الثعابين الزاحفة، ضئيلة الحجم . . .



وبخفة مدهشة، مال ذلك الجسم، ليختفي وسط بقعة مظلمة أخرى، ملاصقة لجدار بناية قديمة . . .

ثم توقف تماماً، وتجمد في مكانه، حتى صار من المستحيل تمييزه عما يحيط به . . .

واعتدل ذلك الجسم الغريب فجأة . .

ومال في بطء، وكأنما يتابع حركة ذلك السكير . . .

ثم انزلق فجأة يتبعه . . .

كان يتحرك بسرعة كبيرة، ويقطع الطريق، تحت الأضواء مباشرة، في جرأة عجيبة، كما لو أن بلوغ الهدف هو هدف في حد ذاته . . .

أو أنه حياة بأكملها . . .

ولسبب ما توقف السكير بغتة، ثم استدار بحركة حادة، ينظر إلى ما خلفه . . .

وفي نفس اللحظة، وثب ذلك الجسم . . .

والتصق بوجه الرجل وصدره، دفعه أمامه في عنف، ليسقط على ظهره بدويٍ شديد، في وسط الشارع . . .

وعلى الرغم من غياب عقله، راح الرجل يقاوم ويدافع عن حياته بعنف واستماتة، وراح يغرس أصابعه في ذلك الجسم مرات... ومرات... ومرات

ولكن أصابعه غاصت في كيان لين هذه المرة، ثم ارتدت في عنف، دون أن تترك في الأثر القاني أدنى أثر . . .

وراحت أنفاس الرجل تختنق

وتختنق . .

وتختنق . .

وأخيراً، تلاشت مقاومته . . .

وانهار ذراعاه إلى جواره . . .

ثم تراخى جسده كله . . .

وفي هدوء، استقر ذلك الجسم الدموي فوقه، وراح يمتص الدم من جسده، في شراهة عجيبة . . .

شراهة مدهشة، جعلته ينتزع نصف لتر دم في كل دقيقة . . .

وخلال اثنتي عشرة دقيقة فحسب، كان قد استولى على كل قطرة دم، في جسد السكير... كل قطرة . . .

ثم انتقل لامتصاص ال . . . . .

"رباه ما هذا بالضبط؟" !

أطلق سائق سيارة دورية الشرطة العبارة، في ذعر ذاهل، وهو يطلق ضوء مصباحيّ سيارته، ليغمر الكائن الدموي وضحيته بغتة . . .

وتوقف الكائن دفعة واحدة . . .

ثم نهض بحركة حادة، ليواجه سيارة دورية الشرطة . . .

واتسعت عيون ضابط الدورية وجنوده في ذهول ورعب، أمام ذلك المشهد الرهيب . . .
لقد بدا أمامهم كيانا شبه بشري، بلا ملامح أو تفاصيل واحدة . . .
فقط كتلة كبيرة من الدم، في حجم شاب بالغ، تواجههم في تحد عجيب . . .
وبحركة آلية، ودون أن يدري، ضغط السائق دواسة الوقود، وقفزت سيارة دورية الشرطة إلى الأمام، واندفعت نحو الكيان الدموي، الذي انطلقت منه صرخة رهيبة . . .
صرخة قادمة من أعمق أعماق قبور الدنيا كلها . . .
ثم ارتطمت به السيارة بمنتهى العنف . . .
ومع ارتطامها، تمزق جسدها الدموي إرباً . . .
تمزق متحولاً إلى عدة قطع دموية، تناثرت في كل مكان في الشارع، وضابط الدورية يهتف بالسائق :
-ماذا فعلت أيها الأحمق؟!
ومع هتافه، ارتطمت بقعة دموية ضخمة بزجاج سيارة الشرطة الأمامي، في مشهد بشع للغاية، جعل الجميع يحدقون فيها بذعر حقيقي . .
ولكن ذلك الذعر تحول إلى رعب كامل، عندما انزلقت كتلة الدم فجأة، ثم وثبت السيارة، واندفعت نحو الكتل الأخرى، التي اتجهت نحو بعضها، من كل مكان، حتى التفت على مسافة متر واحد من جثة السكير . . .
ثم التحمت ببعضها دفعة واحدة . . .
ونهضت واقفة . . .
نهضت بنفس حجمها السابق، وتكوينها شبه البشري . . . تكوين أشبه بجسد شاب بالغ، بلا ملامح أو تفاصيل.. وتجمد رجال الشرطة في مكانهم، وانطلقت ثلاث أو أربع صرخات، من البنايات المطلة على الشارع، ثم أضيئت النوافذ والشرفات، و . . . .
وتراجع الكيان الدموي شبه البشري لحظة . . .
ثم انزلق بنفس النعومة، وبسرعة مذهلة، نحو إحدى البنايات الضخمة، ذات الطراز التقليدي القديم، هتف ضابط الشرطة، وهو يستل مسدسه :
-امنعوه... لا تسمحوا له بالفرار .
أطلق هتافه، ووثب بمسدسه خارج السيارة، وانطلق يعدو نحو البناية، وتبعه جنوده بأقدام خائفة مترددة، حتى بلغوا المكان، وأضاءوا أنواره وراحوا يفتشون كل ركن فيه . . .
ولكن المكان كان خالياً تماماً

ولم يكن هناك أثر لذلك الكائن . . .

أدنى أثر . . .

* * *

"ماذا تقول؟" !

هتف الرائد (صفوت) بذهول، وهو يحدق في وجه (أحمد (، الذي زفر في توتر بالغ، قائلاً :

-تماماً كما أخبرتك يا (صفوت).. ذلك الشيء لم يمتص الدم وحده من جسد ضحيته، وإنما امتص بوسيلة ما، كل نخاع العظام أيضاً . . . باختصار... إنه يسعى خلف كل ما له صلة بالدم وتكوينه .

سقط فك (صفوت) الأسفل بذهول أكثر، وهو يهتف :

-مستحيل! مستحيل! ما الذي يمكن أن يفعل بشري كهذا؟ !

انعقد حاجبا (أحمد) وهو يقول في عصبية :

-ليس شيئاً من عالمنا .

احتقن وجه (صفوت)، وهو يصيح :

-لا تحاول مرة أخرى إقناعي بخرفاتك هذه .

صاح فيه (أحمد) :

-أمازلت عنيداً مكابراً؟ !

صرخ (صفوت) :

قلت مستحيل !

لم يكد يطلق صرخته، حتى ارتفع أزيز جهاز اللاسلكي الذي يحمله، فرفعه إلى أذنه بسرعة، وهو يهتف :

-من هناك؟ !

انعقد حاجباه بمنتهى الشدة، وهو يستمع إلى محدثه، واحتقن وجهه مرة أخرى، وبدا عليه توتر بالغ، وهو يقول في عصبية :

-سأحضر على الفور .

ثم أنهى الاتصال، ورفع عينيه إلى (أحمد)، قائلاً بصوت شاحب :

-لقد فعلها مرة أخرى .

اتسعت عينا (أحمد)، وهو يتراجع بحركة حادة، واختنقت الكلمات في حلقه لبضع لحظات، قبل أن يخلع معطفه، قائلاً :

-هيا بنا .

وبعد لحظات، كان كلاهما ينطلق نحو الحادث الثاني، دون أن يتبادلا كلمة واحدة، وقد أدركا أنهما يواجهان كارثة... كارثة لها مفهوم آخر . .

وعالم آخر . .

* * *

"لقد حدث ما كنا نخشاه" . . .

نطق رجل طويل، قوي، حاد الملامح، العبارة في صوت حمل طناً من التوتر، فزفر آخر عريض المنكبين، وغمغم، وهو يعقد كفيه خلف ظهره، ويتطلع عبر نافذة كبيرة :

-لقد علمت .

قال الطويل بنفس التوتر :

-أخشى أن الأمر قد أفلت من أيدينا .

قال عريض المنكبين في مرارة :

-أمر طبيعي .

ثم استدار إلى الطويل، مستطرداً :

-إننا نواجه أمراً نجهل كل شيء عنه تقريباً .

هز الطويل رأسه، وجلس على أول مقعد صادفه، وهو يقول :

-لقد تدربنا على مواجهة أقوى النوائب، ولكن هذا الشيء لم يكن في الحسبان قط، حتى في أبشع كوابيسنا .

تمتم عريض المنكبين :

-إنه أبشع كوابيسنا بالفعل .

ثم لوح بكفه، مستطراً في حنق :

-إننا لا نعلم حتى كيف يمكن أن نواجهه .

سأله الطويل في حذر :

-وماذا عن الأمريكيين؟ !

سأله عريض المنكبين :

-ماذا عنهم؟ !

هز الطويل كتفيه، قائلاً :

-أعتقد أن لديهم خبرة في هذا المضمار .

ابتسم عريض المنكبين ابتسامة مريرة، وهو يقول :

-في أفلامهم فحسب، وليس في عالم الواقع .

زفر الطويل في توتر، وعاد يهز رأسه، قائلاً:

-هذه المرة حدث الأمر في شارع عام، وفي وجود عشرات الشهود.

قال عريض المنكبين في حدة:

-وماذا عن المرة السابقة، هل كان حادث الفندق سرّيًا؟!

أجابه الطويل في سرعة:

-كلا ولكن من الممكن تفسيره باعتباره جريمة قتل عادية.

عاد عريض المنكبين يبتسم ابتسامته المريرة، قائلاً:

-هل تعتقد هذا؟!

مط الطويل شفتيه، وقلب كفيه، وهو يقول في عصبية:

-ماذا سنفعل إذن؟! هل سنقف مكتوفي الأيدي، ونترك هذا يحدث في الطرقات؟!

تطلع إليه عريض المنكبين بضع لحظات في صمت، ثم عاد يلتفت إلى النافذة، وهو يجيب في توترملحوظ:

-ليس لدينا ما نفعله يا رجل، سوى المتابعة، ومواصلة البحث، أو استنتاج الخطوة التالية، فالأمر يفوق إدراكنا وقدراتنا ألف مرة، ونحن مضطرون للانتظار....

وزفر زفرة ملتهبة، بدت وكأنها نابعة من أعمق أعماق توتره، وهو يضيف:

-فقط الانتظار.



ثم رفع عينيه يتطلع إلى السماء بنجومها المتألقة . . .
السماء التي ينتظر منها الحل . . .
الحل الوحيد . .

* * *

سرت ارتجافه باردة في جسد الدكتور (أحمد)، وهو يفحص جثة السكير، التي خلت من أية نقطة دم كسابقتها وتنهد في توتر بالغ، وهو يتطلع إلى نظرة الرعب الهائلة في العينين المتسعتين عن آخرهما، قبل أن ينهض مغمغماً :

-رباه! متى ينتهي هذا الكابوس؟ !

لم يسمع (صفوت) عبارته، وهو يلقي عشرات الأسئلة على طاقم دورية الشرطة، وبعض سكان الشارع، الذين التفوا حوله هلعين مذعورين، يلقون بدورهم سيلاً من الأسئلة، حول ذلك الأمر الخارق، الذي شاهدوه بأعينهم . . .

وبخطوات ثقيلة، انتزع (أحمد) نفسه من مكانه، واتجه نحو (صفوت)، الذي سأله في توتر :

-نفس العلامات؟ !

أومأ (أحمد) برأسه إيجاباً، فانعقد حاجبا (صفوت) بشدة، وهو يتمتم :

-رباه !

هتف ضابط دورية الشرطة في عصبية :

-إننا لم نشاهد شيئاً كهذا من قبل، إلا في أفلام الرعب الأمريكية التي تطير النوم من أعيننا، أما في عالم الواقع . . .

قاطعه (صفوت) في صرامة عصبية :

-صف ما رأيته للطبيب الشرعي .

خيل إليه أن هذا هو السؤال، الذي كان الجميع في انتظاره منذ البداية، فقد اندفعوا يتحدثون كلهم، في آن واحد تقريباً، وكل منهم يصف ما رآه في حماس وذعر، امتزجا ليصنعا لهجة عجيبة للغاية . . .

ولكن الأكثر عجباً أن الجميع قد اتفقوا على أوصاف واحدة . . .

كيان شبه بشري في حجم شاب بالغ، مكون بالكامل من مادة حمراء قانية رهيبة، بشعة . . .

وبينما هم يلقون أوصافهم، اندفعت إلى المكان سيارة كبيرة تحمل شعار صحيفة يومية شهيرة، فهتف (صفوت) في سخط :

-هذا ما كان ينقصنا .

اندفع الصحفيون من السيارة نحو الجمع المحتشد، فتراجع (أحمد (بحركة متوترة، وحاول عبثاً ترتيب

أفكاره، ليجد ما يجيب به رجال الصحافة،و . . .

ولكن فجأة، ظهر ذلك الضخم . . .

رجل ضخم الجثة صارم الملامح، اعترض طريق رجال الصحافة فجأة، وأشار بذراعيه في حزم صارم وهو يقول بصوت خشن جاف :

-لا أحاديث صحفية أو صور... النائب العام أصدر أمراً بحظر النشر في هذا الحادث، حتى انتهاءالتحقيقات .

انطلقت هتافات السخط والاعتراض من الصحفيين، إلا أنه تجاهل كل هذا، وهو يلتفت إلى السكان، قائلاً بلهجة آمرة :

-هيا . . . . عودوا إلى منازلكم.. إنكم تفسدون الأدلة بتواجدكم هنا .

كان أسلوبه ولهجته يكفيان، ليندفع الجميع عائدين إلى منازلهم، في حين التفت هو إلى طاقم دورية الشرطة، قائلاً بنفس اللهجة :

-ستحضر دورية أخرى احتياطية لتحل محلكم، أما أنتم فتوجهوا فوراً إلى مديرية أمن (القاهرة)، للإدلاء بأقوالكم فيما حدث، . . .

قاطعه (صفوت) في عصبية :

مهلاً أيها السيد... أن تلقي أوامرك هنا وهناك، دون أن تفصح عن هويتك... من تكون بالضبط؟!

التفت إليه الرجل في هدوء، وتطلع إليه بنظرة فاحصة حادة، قبل أن يقول :

-الرائد (صفوت شاهين)....... أليس كذلك؟!

قال (صفوت) بعصبية أكثر :

-إذن فأنت تعرف من أنا!!! عظيم... والآن من أنت؟!

تجاهل الرجل سؤاله، وهو يلتفت مرة أخرى إلى طاقم الدورية، قائلاً بصرامة غاضبة عنيفة :

-ماذا تنتظرون؟!

أسرع الجنود إلى سيارتهم، وأدى ضابطهم التحية العسكرية في قوة، وهو يهتف :

-أمرك سيدي .

ثم لحق برجاله، وانطلقت بهم السيارة فوراً، في نفس اللحظة التي ظهرت فيها سيارة الدورية الاحتياطية عند الناصية، فهتف (صفوت) في عصبية :

-إنك لم تجب سؤالي بعد .

تطلع إليه الرجل في برود صارم، جعله يهتف في حدة :

-من أنت بالضبط؟!

مع آخر حروف كلماته،، سطع ضوء مصباح تصوير بغتة، فاستدار الضخم إلى مصدره بحركة حادة، ثم لوح بذراعه في الهزاء، فبرز أربعة رجال بغتة، وكأنما نشأوا من العدم واندفعوا نحو المصدر، الذى تراجع في ذعر، هاتفاً :

-من حق الناس أن تعرف الحقائق .

انتزع الرجال الأربعة آلة التصوير منه في صرامة، ثم فتحوا غطاءها الخلفي، وانتزعوا منها الفيلم، فهتف (صفوت) :

-بأي حق تفعلون هذا؟!

أجابه الضخم في برود :

-وبأي حق تلقي أنت هذا السؤال؟!

أخرج (صفوت) هويته الرسمية من جيبه، قائلاً :

-أنا ضابط مباحث، و. . .

قاطعه الضخم في صرامة :

-لقد تم إعفاؤك من التحقيقات، في هذه القضية .

اتسعت عينا (أحمد) في دهشة، في حين صاح (صفوت) بكل الغضب :

-بأمر من

تطلع الرجل إلى عينيه مباشرة، وهو يجيب في تحد :

بأمر السيد رئيس الجمهورية شخصياً .

اتسعت عينا (صفوت) بدوره، وهو يردد ذاهلاً :

-رئيس الجمهورية؟!

استغرق ذهوله لحظة، عاد بعدها يقول في حدة :

-وأين أمر رئيس الجمهورية هذا؟!

أخرج الرجل من جيبه ورقة مطوية، وفردها أمام وجه (صفوت)، قائلاً :

-ها هو ذا .

حدق (صفوت) في الورقة، وفي الشعار الرسمي الذي يعلوها، وفي التوقيع أسفلها، قبل أن يغمغم يا إلهي :

-يا إلهي !

طوى الرجل الورقة مرة أخرى، ودسها في جيبه، ثم أشار بيده، فبرزت سيارة سوداء كبيرة من سيارات نقل الموتى، عند الناصية، واتجهت نحو جثة السكير، وأسرع الرجال الأربعة ينقلونها إلى السيارة، في حين

التفت الضخم إلى (أحمد) وارتسمت على شفتيه ابتسامة هادئة، وهو يقول :

-معذرة يا دكتور (أحمد) . . . سنتولى نحن الاهتمام بالجثة هذه المرة .

حدق أحمد فيه بدهشة، لم تزل منها ذرة واحدة، حتى انطلق الرجل مع رجاله الأربعة، في سيارة سوداء أخرى، تبعتها سيارة نقل الموتى، التي تحمل الجثة، فهتف :

-رباه! إنه يعرفني أيضاً .

غمغم (صفوت) في عصبية :

-لقد كنت على حق .

قال (أحمد) في دهشة :

-بشأن مخلوقات الكواكب الأخرى؟ !

هز (صفوت) رأسه نفياً في قوة، قائلاً في إصرار :

-كلا .

ثم تابع السيارتين بدوره، مضيفاً في عصبية :

-بشأن أنهم يعلمون .

قالها وأطبق شفتيه مع (أحمد) في صمت تام . . .

صمت يحمل الكثير من التوتر . . .

والقلق . .

والخوف

* * *

صمت طويل ثقيل، خيم على ذلك المقهى الصغير، في حي (الحسين)، حيث جلس(أحمد) و(صفوت) في الخامسة والنصف صباحاً، بعد أن أديا صلاة الفجر في المسجد . . .

كان كل منهما غارقاً في لجة من الأفكار، لا تختلف كثيراً عما يغرق فيه رفيقه . . .

(أحمد) كان يتساءل: أي نوع من المخلوقات هذا، الذي ينمو بالدم وحده؟ !

الوصف الذي أدلى به الكل، يعني أن عينة الدم، التي لم تتجاوز السنتيمترات العشرين، منذ عشرة أيام فحسب، قد صارت في حجم شاب يافع . . .

وأنها مازالت في لون الدم . . .

من الواضح أن حجمها يتزايد، كلما التهمت المزيد منه وأنها تواصل البحث عن المزيد . . .

والمزيد . . .

والمزيد . . .

والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم، متى وكيف يمكن أن ينتهي الأمر . . .

كل ما يحدث هو أن ذلك الكائن يسعى للنمو . .

النمو بلا حدود . . .

وأنه يمتلك قدرة عجيبة، تشبه قدرة حيوان (الهيدرا) المائي، الذي يمكن أن تنمو كل خلية متقطعة منه، لتصنع كائناً جديداً منفصلاً . . . *

وهذا قد يعني أنه سينمو إلى النهاية . . .

نهاية الكون . . .

ونهايتنا . . .

ولكن ما من مخلوق خالد أبد الدهر . . .

كل المخلوقات تموت . . .

الخالق وحده هو الحي الذي لا يموت . . .

ولقد قتل (صفوت) ذلك المخلوق ذات مرة . . .

وكان من الممكن أن ينتهي الأمر عند هذه النقطة . . .

لولا عينة الدم . . .

مرور (صفوت) بذاكرته، جعله يرفع عينه، متطلعاً إليه، ومتسائلاً: ترى ما يفكر في صمته هذا؟!

ووسط سحب الدخان، كانت أفكار (صفوت) تنطلق بعيداً . . .

---

*حقيقة علمية .

إنهم يعلمون . . .

المسئولون يعلمون . . .

الورقة التي فردها ذلك الضخم أمامه، لم تكن تحوي أمراً من رئيس الجمهورية بالفعل . . .

بل كانت تحمل تفويضاً للضخم، من مدير أكبر وأقوى جهاز أمن في البلاد . . .

المخابرات العامة . . .

وهذا يثير دهشته . . .

وحيرته . . .

وخوفه . . .

ما شأن المخابرات العامة بشأن كهذا؟!

ما شأن جهاز، مهمته حماية أمن وسلامة البلاد، بمجموعة من حوادث القتل الداخلية، مهما بلغ عنفها وغموضها؟!

ما الذي يمكن أن يعنيه هذا؟!

بل وما الذي يمكن أن يعنيه كل شيء؟!

أمر النائب العام بمنع النشر . . .

اعفوه من مواصلة التحقيقات . . .

اقتحام المخابرات العامة للأمر . .

ما الذي يمكن أن يعنيه هذا؟!

انطلق أزيز جهاز اللاسلكي، في تلك اللحظة، فانتفض (صفوت) في مجلسه والتقطه في حدة، قائلاً :

-ماذا يريدون الآن؟!

ضغط زر الاتصال وهو يقول :

-الرائد (صفوت شاهين) . .

انعقد حاجباه في شدة، وهو يستمع إلى محدثه، قبل أن يقول في عصبية :

-فليكن... سأحضر على أية حال .

أنهى الاتصال، في توتر بالغ، فسأله (أحمد) في لهفة قلقلة :

-ضربة جديدة؟!

أجابه بإيماءة رأس، قائلاً في عصبية :

لن يمكنك أن تصدق من ضحيته الجديدة .

جف حلق (أحمد)، وهو يسأله :

-من؟ !

مال (صفوت) نحوه، مجيباً :

-مدير الفندق .

واتسعت عينا (أحمد) عن آخرهما، وهو يرتد كالمصعوق . . .

لقد كانت بالفعل مفاجأة . . .

مفاجأة مذهلة .

.....

..

٦- الانتقام . . .

ارتفع هدير مراوح الهليكوبتر العسكرية، التي تقل رئيس الجمهورية، في السادسة والنصف صباحاً، وهي تحلق في سماء مدينة "الأقصر" قبل أن تنحرف غرباً، وتنطلق في اتجاه الواحات الخارجة، لخمسين كيلو متراً، ثم تميل جنوباً، لتبلغ تلك المنطقة، التي أحيطت بدائرة واسعة من الأسلاك الشائكة، التي أقيمت على عجل، لتعزلها عن كل ما حولها، وحوصرت بعدة فرق قوات الجيش، بكامل عدتها وعتادها، على نحو يوحي بمدى أهمية المنطقة وخطورتها . . .

وفور هبوط الهليكوبتر اندفع نحوها ضابط كبير برتبة لواء أركان حرب، وأدى التحية العسكرية للرئيس في ثورة، فسأله الرئيس في اهتمام بالغ :

-أمازال ذلك الشيء هنا؟!

أجابه الرجل في حزم، وهو يشير بيده :

-إنه لن يذهب بعيداً يا سيادة الرئيس .

مط الرئيس شفتيه مغمغماً :

-من يدري .

كان الجميع يتحركون بسرعة كبيرة، في تلك الساعة المبكرة من الصباح، وهم يتجهون إلى قلب دائرة الحصار، حتى توقفوا أمام حفرة كبيرة، أشار إليها اللواء، وهو يقول في حزم :

-ها هو ذا .



تطلع الرئيس في دهشة إلى المركبة الكبيرة، ذات التكوين العجيب، والتي بدت محطمة تماماً تقريباً، في قلب الحفرة، قبل أن يتمتم :

-سبحان الله العلي القدير.... يخلق ما لا نعلم .

أشار اللواء بيده، قائلاً :

هل ترغب في إلقاء نظرة قريبة يا سيادة الرئيس؟ !

أجابه الرئيس، وهو يهبط الحفرة بالفعل :

-بالتأكيد .

كانت المركبة كبيرة إلى حد ما، في حجم طائرة" إيرباص" ضخمة، مصنوعة من مادة لامعة، لا تبدو مألوفة، وبداخلها أجهزة وأدوات متطورة للغاية، لا مثيل لها على كوكب الأرض . .

أما الجزء الخلفي بأكمله، فقد كان يحوي عشرات الأوعية البلورية الكبيرة التي تحوي كلها مخلوقات عجيبة، لقيت مصرعها من جراء سقوط المركبة، وتحطمها في الصحراء الغربية . . .

فيما عدا وعاء واحد .

وعاء أكبر قليلاً من الأوعية الأخرى، تحطمت واجهته، وخلا من أية مخلوقات.. وفي صوت خافت، قال مدير المخابرات، وهو يشير إلى الوعاء المحطم :

-من الواضح أنها مركبة فضائية من عالم آخر، مهمتها جمع عينات من مخلوقات الحية، في الكواكب الأخرى .

غمغم الرئيس وهو يهز رأسه، محاولاً تصديق ما يراه :

" -سبحان الله"... لولا أنني أرى هذا بنفسي، لما تصورت حدوثه قط، إلا في أفلام وروايات الخيال العلمي .

مط مدير المخابرات شفتيه، مغمغماً :

-كلنا هذا الرجل يا سيادة الرئيس .

ثم تابع بنفس الاهتمام والخفوت :

-الفحص الأول يشير إلى أن هذه المركبة معدة بحيث يقودها اثنان من المخلوقات العاقلة، لقي أحدهما مصرعه مع السقوط في حين اختفى الثاني، وكذلك المخلوق الذي كان يضمه هذا الوعاء المحطم .

سأله الرئيس في قلق :

-أتعتقد أنهم سبب ما نواجهه الآن؟ !

أومأ الرجل برأسه، مجيباً :
بكل تأكيد يا سيادة الرئيس .
تنهد الرئيس، قائلاً :
-وأيهما المسئول في رأيك .
غمغم الرجل: وهل يصنع هذا فارقاً؟!

هز الرئيس رأسه متمتماً .
لست أعتقد هذا .

ثم لوح بذراعه كلها، متابعاً في عصبية :
-ولكن لو أن المركبة قد سقطت وتحطمت هنا فلماذا يحدث كل هذا هناك، في" القاهرة"؟!
تردد مدير المخابرات لحظة، قبل أن يقول في حذر :
-لدي نظرية في الواقع . . .
لم يستطع إكمال عبارته، فقال الرئيس يستحثه على المواصلة :
-كلي آذان مصغية .
حسم هذا تردد الرجل، وقال :
-أعتقد أن الخطر الحقيقي الذي نواجهه، هو ذلك المخلوق الذي فر من الوعاء المحطم، والذي يسعى للفرار على سطح كوكب يجهله، وقائد المركبة المتبقي يحاول استعادته بشكل أو آخر، وهو الذي نسف رأسه، عندما عثر عليه في الفندق .
انعقد حاجبا الرئيس، وهو يدرس هذا الاحتمال، في حدود معلوماته، وقدرته على تخيل ما لم يواجهه في حياته قط، قبل أن يشير بسبابته، قائلاً :
-في هذه الحالة، لابد أن نفترض أن كليهما يمتلك القدرة على تقمص الهيئة البشرية، وكل الملاح لديه وسيلة لتعرف عينته على نحو أو آخر، ولهذا عثر عليه في الفندق .
قال مدير المخابرات في حماسة :
-بالضبط، ولكن الملاح يجهل-إلى حد ما -طبيعة عينته بالكامل، بدليل أنه لم يتصور قدرتها على العودة إلى النشاط مرة أخرى .
التقى حاجبا الرئيس أكثر، وهو يقول :
-وربما يدها عودتها بالفعل .
تنهد مدير المخابرات قائلاً :

-ليت باستطاعتنا إبلاغه بوسيلة ما .

هز الرئيس رأسه، قائلاً :
ليس كل ما يتمناه المرء يدركه .
ثم استدرك في حزم :
-ولكن هناك وسيلة حتماً، للقضاء على هذا الكابوس .
-عض مدير المخابرات شفتيه لحظة، قبل أن يجيب في أسف :
المشكلة أن ذلك القاتل الدموي لا يتحرك وفق منهج مدروس، بحيث يمكننا تتبعه وتعقبه، إنه يختار ضحاياه عشوائياً، ومن أحياء مختلفة، ولو أننا حددنا مساره مرة واحدة، فربما . . .
قاطعه رنين هاتفه المحمول الخاص، فالتقطه من جيبه في سرعة، وهو يقول في لهفة :
-ربما هناك جديد .
غمغم الرئيس في توتر :
جديد في أي اتجاه؟ !
ثم انعقد حاجباه، وهو يتابع الكلمات المقتضبة، التي تبادلها مدير المخابرات مع محدثه، قبل أن ينهي المحادثة قائلاً :
-يبدو أننا قد التقطنا طرف خيط .
-
سأله الرئيس في لهفة :
-هل عثرتم عليه؟ !
-
هز المدير رأسه نفياً، وأجاب :
-بل ارتكب حادثة قتل أخرى .
هتف الرئيس في غضب :
-وهل تعتبر هذا طرف خيط؟ !
أومأ مدير المخابرات برأسه، قائلاً :
-بالتأكيد .
ثم مال نحو الرئيس، متابعاً في حزم :
-إنها أول حادثة تتبع مساراً معروفاً .

وكان على حق في قوله هذا . . .

فحادثة قتل مدير الفندق، كانت بالفعل طرف خيط . . . .

خيط من الدم . . .

* * *

بدا "صفوت" شديد العصبية، وهو يتلفت حوله، في حجرة مدير الفندق الفاخر، المطل على النيل، قائلاً للدكتور "أحمد : "

-أسرع يا رجل... أنا واثق من أنهم سيظهرون، بين لحظة وأخرى

غمغم "أحمد" في توتر :

-إنني أبذل قصارى جهدي، ولكن من الواضح أنه لم يكتفِ بالدم والنخاع هذه المرة... لقد حطم قاعدة الجمجمة، وامتص منها المخ أيضاً .

حدق "صفوت" فيه، هاتفاً :

-ماذا؟ !

أجابه في عصبية :

-المخ.. لقد حطم جزءاً صغيراً من قاعدة الجمجمة، وسحب المخ كله عبره .

سأله "صفوت" بدهشة :

-وماذا سيفعل به؟ !

أجابه "أحمد : "

-يحتاج إليه حتماً للنمو .

لم يكد يتم عبارته، حتى اقتحم الضخم المكان، وخلفه رجاله الأربعة، وتوقف عند الباب بنظرة صارمة قاسية، وهو يقول :

-أظنني أبلغتكما من قبل أن لا شأن لكما بهذه القضية .

قال "صفوت" في عصبية، حاول أن يغلفها بلهجة ساخرة :

-أية قضية لقد كنا نقضي بعض الوقت في الفندق فحسب، و. . . .

قاطعه "أحمد"، وهو يقول بصرامة مفاجئة :

-هذا لن يفيد.. إننا نعلم كل شيء .

تسللت لمحة من السخرية إلى ابتسامة الرجل وصوته، وهو يقول :

-تعلمون ماذا؟ !

أجابه "أحمد" في تحدٍ :

-نعلم أننا نواجه مخلوقاً غير بشري .

انعقد حاجبا الضخم في توتر، فتابع " أحمد" في عصبية :

-مخلوق من عالم آخر .

ازداد انعقاد حاجبي الضخم، وهو يرمقهما بنظرة صارمة غاضبة، قبل أن يشد قامته، قائلاً :

-أعتقد أن هذا يحتاج إلى حديث طويل .

ثم قسا صوته على نحو مخيف، وهو يضيف :

-في مكان آخر .

ومع قوله، ارتفعت فوهات مسدسات الرجال الأربعة، في وجهي "أحمد" و"صفوت"، مع نظرات صارمة متحفزة، جعلت "صفوت" يهتف في عصبية :

-ماذا تفعلون أيها الحمقى؟ ! أنا ضابط شرطة .

مد الضخم يده إليه، قائلاً في صرامة :

-مسدسك أيها الرائد .

هتف "صفوت" في عناد :

-ليس هذا من حقك .

انعقد حاجبا الضخم بضع لحظات، في غضب شديد، ثم لم يلبث أن خفض يده، قائلاً في هدوء مباغت عجيب :

-حيث سنذهب، لا يصح أن يحمل أي شخص سلاحاً نارياً . . . .

ثم كرر في حزم :

-أي شخص .

مضت لحظة من الصمت، تعلقت خلالها عينا "صفوت" بعيني الرجل، قبل أن يمد الأول يده في حزامه، فينتزع منه مسدسه، ويناوله للضخم، الذي ابتسم، قائلاً :

-أحسنت القرار .

والعجيب، وعلى الرغم من كل ما يحيط بهما من ظروف، شعر " أحمد" و"صفوت" في تلك اللحظة، باطمئنان والأمان . . .

إلى حد ما . . .

* * *

"كيف تفعل هذا دون استشارة؟" !

هتف عريض المنكبين بالعبارة في حدة، في وجه الضخم الذي شد قامته في حزم، مجيباً :

-كان هذا أفضل ما يمكن عمله . . . إنهما يعلمان .

صاح به عريض المنكبين :

-بل هما يخمنان فحسب .

قال الضخم :

-تركهما، بعد ما علماه كان أكثر خطورة .

لوح عريض المنكبين بذراعه، قائلاً في حنق :

-يبدو أن الأمر قد أفلت منا بالفعل .

نهض الطويل من مقعده، قائلاً :

-لست أعتقد هذا .

هتف عريض المنكبين :

-بعد أن رأى كل هؤلاء ما حدث؟ !

هز الطويل كتفيه، قائلاً :

-وما الذي رأوه، ظاهرة عجيبة، سيروونها كما يروون قصص وحكايات العفاريت والأشباح، مجرد قصص، لا دليل على واقعها وصحتها، ورجال الشرطة سيكتمون الأمر بحكم وظيفتهم، وخشيتهم أن يتهموا بالحماقة وضعف العقل، أو حتى بالخوف والجبن .

أشار عريض المنكبين بذراعه كلها، قائلاً في حنق :

-وماذا عن ضابط المباحث والطبيب الشرعي.. لقد سمعت بنفسك أنهما يعلمان... أو على الأقل يستنتجان ما نواجهه .

-قال الطويل في سرعة :

-عظيم... هذا يعني أن بإمكاننا الاستعانة بهما، دون أن نخشى شيئاً .

انعقد حاجبا الضخم في دهشة، في حين تطلع عريض المنكبين إلى الطويل، ثم استدار يتطلع عبر النافذة لدقيقة أو يزيد، قبل أن يقول في حزم :

-فليكن.... سأذهب لمقابلتهما .

وشرد ببصره وأفكاره بضع لحظات، ثم أضاف في عصبية :

-إننا نحتاج إلى طبيب شرعي على الأقل .

-سأله الضخم في قلق :

-وهل ستشرح لهما الأمر كله؟!

-أجابه عريض المنكبين في صرامة، وهو يلتفت إليه بحركة حادة:

-كلا بالطبع.

-ثم عاد إلى النافذة متابعاً في صرامة:

-أنت تعرف القاعدة الذهبية في عالمنا...

وانعقد حاجباه في شده، وهو يضيف:

-المعرفة بقدر الحاجة.... فقط

* * *

"تجربة فاشلة، من تجارب هندسة الوراثة"...

ألقى عريض المنكبين العبارة في حسم، أمام "أحمد" و"صفوت"، فانعقد حاجبا الأول في شدة، في حين هتف الثاني في حيرة:

-هندسة ماذا؟!

ابتسم عريض المنكبين، وهو يتراجع في مقعده، قائلاً:

-أنا مثلك تماماً، أجهل الكثير من التفاصيل العلمية والفنية عن هذه الأمور، ولكن كل ما أعلمه هو أن تلك التجارب الخاطئة، قد أسفرت عن وجود وحش طليق، أشبه بمصاص الدماء... وحش يعتمد في وجوده على كل خلايا جسده، وليس على المخ وحده.

-يا إلهي! أهندسة الورثة هذه بشعة إلى هذا الحد؟!

قلب عريض المنكبين كفيه، وكأنما يعلن عجزه عن الفهم في حين قال "أحمد" في حذر:

-وهل لدينا في "مصر" التكنولوجيا اللازمة، للقيام بتجارب معقدة كهذه؟!

أجابه عريض المنكبين في هدوء:

-إنه مشروع مشترك.... مصري أمريكي..

هتف "صفوت: "

كل الكوارث تأتي من الأمريكيين.

هز الرجل كتفيه العريضين، دون أن يعلق على عبارة "صفوت"، ثم التفت إلى " أحمد"، قائلاً :

-الواقع أننا نحتاج إلى تعاونك يا دكتور "أحمد"، باعتبارك قد أصبحت خبيراً فيما يحدث... لقد نقلنا جثة مدير الفندق إلى هنا، ولدينا قاعة مجهزة لفحصها. وستجد كل الأدوات اللازمة لذلك، و. . .

قاطعه "أحمد" فجأة :

-وماذا عن القاتل؟!

أي قاتل؟!

أجاب "أحمد" في عصبية :

ذلك الذي نسف رأس المخلوق في الفندق.. أهو جزء من هندسة تجارب الوراثة أيضاً؟!

ازداد انعقاد حاجبي الرجل بضع لحظات، ثم لم يلبث أن مال نحو "أحمد"، قائلاً في صرامة شديدة :

-مادمت ستتعاون معنا، فلابد أن تتعلم حقيقة أساسية هنا... لا أحد يعلم إلا بقدر ما يكفيه فحسب .

قال "أحمد" في عصبية :

-أأنا مضطر للتعاون؟!

تراجع الرجل في مقعدة، قائلاً في حزم :

-لا أحد مضطر لأي شيء هنا، ولكن الوطن يناديك، فهل أنت مستعد لتلبية ندائه .

هتف "صفوت" في حزم وحماس :

-كلنا رهن إشارة الوطن .

بدا التوتر أكثر وأكثر على وجه "أحمد"، فسأله عريض المنكبين في حزم صارم :

-وماذا عنك؟

صمت "أحمد" بضع لحظات، قبل أن يجيب :

-أنا مستعد لفعل كل ما تريدون .

تراجع الرجل، قائلاً :

-عظيم ستتولى فوراً بحث جثة المدير، واستخراج التقرير الفني، بأسرع وقت ممكن، أما بالنسبة لك أيها الرائد، فستتولى التحقيق مرة أخرى، مع الحرص على السرية المطلقة، ومع ملاحظة أنك تعمل فعلياً لحسابنا، وكل تقاريرك ستوجه إلينا مباشرة، وسيتم إبلاغ رؤسائك بهذا، وصدقاني.. إنكما تقدمان بهذا خدمة للوطن... خدمة جليلة .

حاول "أحمد" أن يبتسم مجاملاً، إلا أن وجهه عجز عن رسم تلك الابتسامة الزائفة على شفتيه، فقد كان

هناك عقله ينبئه بأن هناك الكثير مما يخفي الرجل . . .

الكثير جداً . .

كانت عقارب الساعة تشير إلى الثامنة والنصف صباحاً، عندما اتجه الدكتور" حسن وهبي" إلى المرآب الملحق بفيلته الأنيقة، وزوجته تهتف به من النافذة المطلة على الحديقة :

-حاول ألا تتأخر الليلة... شقيقتي وزوجها سيقضيان السهرة معنا، ولا داعي لأن يتصورا أنك ترفض التواجد معهما، عندما حضرت مع أول نسمات الصباح في المرات السابقة .

لوح بيده في ضجر قائلاً :

-سأبذل قصارى جهدي .

مط شفتيه في حنق، وهو يتجه إلى سيارته الكبيرة مغمغماً :

ياللسخافة!! الكل منشغل بالحفلات والسهرات، والبحث عن وسائل الترفيه والتسلية، ولا أحد يتذكر أنني طبيب جراح، ومدير مستشفى كبير .

استقل السيارة، وهو يطلق زفرة محنقة، وأدار المحرك، و. . . .

وفجأة انتفض جسده في عنف، واتسعت عيناه عن آخرهما، وهو يحدق في مرآة السيارة الداخلية، التي نقلت إليه مشهداً بالغ البشاعة . . .



مشهد وجه بلا ملامح، فيما عدا عينين بلون الدم، تحدقان فيه بنظرة ملؤها البغض والكراهية . . .

وانفرجت شفتا الدكتور "حسن"، ليطلق صرخة ذعر، وهو يدفع جسده جانباً، محاولاً القفز من السيارة . . .

ولكن يدا دامية باردة، كتمت أنفاسه بغتة، والتصقت بوجهه على نحو عجيب، في حين قفزت يد أخرى

تقبض على عنقه، وتعتصره في قوة، فاتسعت عيناه في رعب هائل، وراح يضرب الهواء بذراعيه في رعب واستماتة . . .

ثم فجأة، شعر بذلك الألم الرهيب في صدره، فجحظت عيناه عن آخرهما، حتى كادتا تثبان من محجريهما، وأدرك أن اليد الثانية قد تخلت عن عنقه . . .

أدرك هذا في لحظة واحدة . . .

لحظته الأخيرة . . .

* * *

رفع الرائد "صفوت" عينيه في دهشة، يتطلع إلى الدكتور "أحمد" الذي بدا شديد الإرهاق والتوتر، وهو يقف أمامه شاحب الوجه، أشعث الشعر، وقد نمت شعيرات لحيته على نحو ضاعف من شحوبه وجحوظ عينيه، فهب "صفوت" من مكانه وهو يجذب مقعداً، ويدفعه إليه، هاتفاً .

يا إلهي! اجلس يا رجل... إنك تبدو كمن لم ينم لشهر كامل . .

جلس "أحمد" على المقعد وهو يقول بصوت شاحب :

-كان ينبغي أن أعود إلى منزلي على الفور، ولكنني أردت أن ألتقي بك أولاً، و...، و . . . .

وهتف" صفوت : "

-التقط أنفاسك أولاً يا صديقي... يا إلهي.. إنك تحتاج إلى قدح من القهوة المركزة فوراً .

أشار "أحمد" بيده، قائلاً :

-وقرص من الأسبرين .

هتف "صفوت" وهو يضغط زراً على مكتبه :

-بالتأكيد .

ألقى أوامره إلى جندي الخدمة بإحضار ما طلبه "أحمد"، ثم جلس خلف مكتبه، يسأله في أهتمام قلق :

-ماذا حدث؟ !

هز "أحمد" رأسه، وتراجع في مقعده، وهو يطلق زفرة متوترة، قائلاً :

-الأمر أبشع مما كنا نتصور .

سأله في قلق شديد :

-ماذا تعني؟

لوح "أحمد" بيده، قائلاً :
-ذلك الوغد ليس مصاص دماء حقيقي فحسب، ولكنه ينتزع كل ما يمكنه انتزاعه من ضحيته، على نحو بشع... لقد قمت بتشريح جثة مدير الفندق، وأنا أتصور أنه قد فقد دمه ونخاع عظمه ومخه فحسب، ولكني فوجئت بأن جسده يخلو من الكليتين والكبد أيضاً .
اتسعت عينا "صفوت"، وهو يتراجع في حدة، هاتفاً :
-رباه! هل التهمها؟!
هز "أحمد" رأسه مجيباً :
-بل امتصها ! !
هتف "صفوت : "
امتص كليتين وكبداً؟!
أوما "أحمد" برأسه، قائلاً في مرارة مرهقة :
إنني لم أعثر سوى على فتحات صغير ودقيقة، على جانبى الجسم، ولا توجد أية فتحات تكفي لانتزاع الكليتين والكبد .

تمتم "صفوت : "
-يا إلهي !

نهض "أحمد" من مقعده، وراح يدور في الحجرة في توتر، وهو يقول :
-إنهم يخدعوننا... إنها ليست تجارب هندسة وراثة كما يدعون... الأمر يتجاوز هذا بكثير .
سأله "صفوت" في حذر :
-ماذا تعني؟!
استدار إليه "أحمد" في حدة، وقال في عصبية :
-إنني لم أتنازل عن نظريتي بعد .
سأله "صفوت" في حذر :
-أية نظرية؟!
أجابه في حدة :
-الكائنات الخارجية .
ضرب "صفوت" جبهته براحته، هاتفاً :
-لا....... ليس مرة أخرى .

صاح "أحمد: "

-هذا هو التفسير الوحيد.

عاد جندي الخدمة بالقهوة والأسبرين في تلك اللحظة، فبدت عليه الدهشة، من أسلوب "أحمد" ولهجته، ولكن "صفوت" صاح به في صرامة:

-اترك كل شيء هنا وانتظر في الخارج.

أسرع الجندي ينفذ الأمر، ويهرع إلى الخارج، في حين قال "صفوت" في توتر:

-اسمع يا صديقي.... ربما يميل عقلك إلى ذلك التفسير الخرافي العجيب، ولكن الواقع يختلف تماماً... إنها تلك الهندسة الموروثة، التي...

قاطعة "أحمد" في عصبية: "

-الهندسة الوراثية.

لوح "صفوت" بيده، قائلاً:

-أيا كان اسمها... المهم أنها المسئولة عما حدث، كما أخبرونا هناك، في الـ...

قاطعه "أحمد" مرة أخرى في حدة:

-كذب كل هذا مجرد كذب... إنهم يحاولون إخفاء الحقائق.. ولكنهم يعلمون ... يعلمون أنهم يواجهون مخلوقات من الفضاء الخارجي.. يعلمون ... يعلمون..

ربت "صفوت" على كتفه قائلاً:

-اهدأ يا صديقي... اهدأ.. ما رأيك لو استبدلنا بالقهوة كوباً من النعناع الدافئ، أو...

دفع "أحمد" يده بعيداً، وهو يهتف في غضب:

-إنك لا تصدقني.

زفر "صفوت" وقلب كفيه، قائلاً:

-إنني أبذل قصارى جهدي، ولكن...

انطلق أزيز جهاز اللاسلكي في هذه اللحظة، ليقطع عبارته، فالتقطه متسائلاً:

-ماذا هناك هذه المرة؟!

اتسعت عيناه عن آخرهما، ووثب من مكانه صارخاً:

-ماذا تقول؟! مستحيل ! أنا قادم على الفور.

حدق "أحمد" فيه، متسائلاً في هلع:

-من هذه المرة؟!

لوح "صفوت" بذراعه، هاتفاً:

-الدكتور "حسن"... هل تذكره؟! إنه ذلك الطبيب، في المستشفى الكبير... لقد... يا إلهي! لقد انتزع ذلك الوغد قلبه، بعد أن امتص كل قطرة دم في جسده.

اتسعت عينا "أحمد" عن آخرهما، حتى بدا في هيئته هذه، كصورة مجسمة للرعب والهلع، وهو يقول: رباه! الدكتور "حسن"... ولكن هذا مستحيل! مستحيل!

ثم أمسك بكتفي "صفوت" في قوة هاتفاً:
ألا تدرك ما يعنيه هذا يا رجل؟! إنه يهدم نظرية هندسة الوراثه هذه... يهدمها من أساسها، و....
واتسعت عيناه مرة أخرى، في ذعر بلا حدود، وهو يتراجع، قائلاً:
-إنه ينتقم... يا إلهي! إنه ينتقم... لقد قتل مدير الفندق، ثم الدكتور "حسن" ولم يبقَ أمامه سوى... سوى..

وارتجفت كل ذرة في كيانه، وهو يحدق في وجه "صفوت"، مضيفاً:
-سوانا.
وانتقلت ارتجافته إلى "صفوت.."
وبمنتهى العنف.

* * *

٧- عالم آخر . . .

"من السرب السابع إلى القاعدة... أثناء تدريبات الاختراق، تم رصد جسم طائر مجهول الهوية... نطلب الإذن بمطاردته فوراً" . . .

"من القاعدة إلى السرب السابع . . . ما الذي تعنيه بجسم طائر مجهول الهوية؟" !

"من السرب السابع إلى القاعدة . . . أمامنا جسم ضخم، في حجم حاملة الطائرات، له شكل أشبه بالسيجار الهائل، وهو يتجه مباشرة نحو الجنوب الغربي، عند الساعة الثامنة" . . . .

"من القاعدة إلى السرب السابع . . . ذلك الجسم لا يبدو على شاشة الرادار.... هل يمكنكم رؤيته بوضوح" . . .

"من السرب السابع إلى القاعدة... نحن نرصده بكل وضوح، وننطلق بأقصى سرعتنا، في محاولة للحفاظ على المسافة بيننا وبينه... وعلى الرغم من هذا، فهي تتسع بسرعة كبيرة" . . . .

"من القاعدة إلى السرب السابع... واصلوا تتبعكم لذلك الجسم المجهول دون أية محاولة للاحتكاك أو الاشتباك، لحين صدور أوامر أخرى . . . "

"رباه! هذا مستحيل . . . " !

"من القاعدة إلى السرب السابع... ما الذي يحدث عندك بالضبط؟ . . . " !

"من السرب السابع إلى القاعدة... ذلك الجسم انحرف فجأة بزاوية قائمة . . . قائمة تماماً... أعلم أن هذا مستحيل عملياً، تحت أي مقاييس، ولكنني أقسم أنه فعلها، وهو يتجه نحو الواحات الخارجة مباشرة" . . .

"من القاعدة إلى السرب السابع . . . توجد منطقة عسكرية محظورة، وبالغة السرية، بالقرب من الواحات الخارجة حاولوا منع ذلك الجسم المجهول من بلوغها بأي ثمن" . . .

"من السرب السابع إلى القاعدة . . . كيف يمكننا منعه ونحن عاجزون حتى عن بلوغه... بل إن سرعته تتجاوز سرعة صواريخنا نفسها" . . . .

"من القاعده إلى السرب السابع... حاولوا منعه بأي ثمن... هل تسمعني؟ بأي ثمن " . . .

"من السرب السابع إلى القاعدة... كنا نتمنى أن نفعل، ولكن تلك المنطقة المحظورة تبدو أمامنا بالفعل... وذلك الجسم توقف فوق منتصفها مباشرة . . . يا إلهي نلمح جسما فضائياً مجهولاً، يستقر داخل حفرة كبيرة، و" . . .

"من القاعده إلى السرب السابع... امنع ذلك الجسم المجهول بأي ثمن" . . .

"من السرب السابع إلى القاعدة... سنطلق الصواريخ فوراً" . . .
"من القاعده إلى السرب السابع... نسمع دوي انفجارات... هل قمتم بنسف ذلك الجسم المجهول" . . .
"من السرب السابع إلى القاعدة... كلا... لم ننجح في هذا للأسف... صواريخنا انحرفت عن الهدف لسبب مجهول، وارتفعت إلى أعلى، ثم انفجرت على ارتفاعات عالية جداً، يا إلهي؟ ما الذي يحدث؟" !
"من القاعدة إلى السرب السابع . . . ما الذي يحدث أمامكم؟ !

"من القاعدة إلى السرب السابع...أجب... أجب فوراً " . . .
"من السرب السابع إلى القاعدة... معذرة لتأخر الرد، ولكن ما يحدث أمامنا مذهل بكل المقاييس.. تلك المركبة الفضائية ترتفع محطمة من الحفرة العميقة، وتنطلق نحو ذلك الجسم المجهول، كما أنه مغناطيس ضخم... ونحن عاجزون عن بلوغه.... هناك طاقة ما تحيط به، وتؤدي إلى انحراف أجهزتنا بعنف" . . .
"من القاعده إلى السرب السابع . . . امنع ذلك الجسم المجهول من اختطاف المركبة المحطمة... أمنعه بأي ثمن" . . .
"إننا نحاول ولكن" . . .
"من القاعده إلى السرب السابع . . . ما الذي يحدث عندك... ما تلك الفرقعة العنيفة... أجب أيها السرب السابع . . . أجب" . . .
"من السرب السابع إلى القاعدة... المركبة المحطمة التصقت بالجسم الضخم، ثم انطلق الاثنان إلى أعلى في خط مستقيم، واختفيا بغتة، كما لو أنهما قد اخترقا الغلاف الجوي بسرعة الضوء... يا إلهي! هذا مستحيل تماماً! لن يصدق أحد تقريرنا . . . لن يصدقه مخلوق واحد" . . . .

* * *

"إنها مخلوقات من الفضاء الخارجي، وليست مشكلات هندسة وراثة" . . . . .

ألقى "أحمد" العبارة في غضب عصبي، في وجه عريض المنكبين، الذي تراجع بمقعده في هدوء، وشبك أصابع كفية أمام وجهه، قائلاً :
وما الذي جعلك تؤكد هذا؟ إنك لم تبدأ حتى فحص جثة الدكتور"حسن ! "

هز"أحمد" رأسه في قوة، قائلاً :
-لست بحاجة لفحصها، حتى أصل إلى استنتاج كهذا... كصراع الرجل وحده يؤكد نظريتي .

هز الرجل كتفيه قائلاً :
-لو أنك تقصد نظرية الانتقام، فهي لا تشيرسوى إلى أن ذلك المخلوق يحتفظ بذاكرته لخلاياه، كما يحتفظ بحياته فيها أيضاً .

مال "أحمد" إلى الأمام، وقال في حدة :
-خطأ .

ارتفع حاجبا الرجل في دهشة، فتابع "أحمد" في عصبية :
-لو أنها مسألة ذاكرة، لقتل ذلك الشيء مدير الفندق فحسب، ولسعى للبحث عن قاتله، أياً كان، ولكن ما حدث ليس كذلك على الإطلاق، فعينة الدم، التي صنعت ذلك المخلوق، تم انتزاعها منه قبل أن يلتقي بالدكتور"حسن"، ولم يكن من الممكن أبداً أن تحمل ذاكرة قديمة، ثم إن الأمر من المستحيل أن يكون مجرد مصادفة أن يقع اختياره على الدكتور"حسن" بالذات، من بين ستين مليون مواطن... بل الواقع أن ذلك المخلوق يتمتع بسمة، لا يتمتع بها أي كائن حي على وجه الأرض، حتى الكائنات التي تصنعها هندسة الوراثة، بكل أعاجيبها وتقنيتها . . .

إن ذاكرته لا تكمن في أعماقه، بل تنتقل بوسيلة ما، لا مثيب لها على الأرض، من جيل إلى آخر، حتى لو لم يلتق الجيلان أبداً، أو تكون بينهما أي صلات مباشرة... إنه كيان واحد، إنه كيان واحد حتى ولو قمت بتجزئته إلى ألف كيان . . .

هذا ما يفسر التقاء الأجزاء الممزقة ببعضها، وإعادة تكوين الجسد، كما حدث مع سيارة دورية الشرطة، ويفسر أيضاً انتقامه من الدكتور"حسن"، الذي لم يره قط... عينة الدم، التي كنا نحتفظ بها، في ثلاجة المعمل، كانت ترتبط طوال الوقت بذلك الجسم، الذي يعيد تكوينه... ترى ما يراه وتشعر بما يشعر، وتواجه ما يواجهه... لذا فقد أدركت ما أصابه، ورأت من فعل به هذا... وهي الآن تسعى للانتقام .

تطلع إليه عريض المنكبين طويلاً في صمت، ثم قال في صرامة :
-عد إلى منزلك يا دكتور"أحمد"... أنت تحتاج لبعض النوم والراحة
.
هتف"أحمد" في حدة :
-ذلك الوغد يسعى للانتقام من "صفوت" و"منى"... إننا نحتاج إلى حماية خاصة .

مال الرجل إلى الأمام، وقال في صرامة أكثر :
-عد إلى منزلك يا دكتور"أحمد"، واترك لنا مهمة الحماية هذه .

التقت نظراتهما على نحو حاد للحظة أو يزيد، ثم ذهب" أحمد" من مقعده، قائلاً :
-فليكن . . .

ثم اندفع خارج الحجرة، فانعقد حاجبا عريض المنكبين لحظة، ثم التقط سماعة هاتفه، قائلاً
-نعم يا سيادة المدير... لقد رحل بالفعل... أعلم.... أعلم نعم أعلم ما حدث في الواحات الخارجة... ربما لا يعني شيئاً على الإطلاق يا سيدي، ولكننا سنتتبع الخيط... سنتتبعه حتى نهايته .

وأنهى الاتصال، ثم نهض يتطلع عبر نافذة حجرة مكتبه إلى دكتور"أحمد"، وهو ينطلق بي من السرب السابع إلى القاعدة... بسيارته مغادراً المكان، وغمغم في توتر :
-رباه! إنه أملنا الأخير... ترى هل . . .
ولم يتم سؤاله . . .
لم يتمه أبداً

* * *

على الرغم من التوتر العنيف الذي كان يشعر به الدكتور"أحمد "وهو يدلف إلى منزله، كان النعاس يداعب عينه على نحو عجيب . . . .

صحيح أنه يشعر بإرهاق عنيف، لم يشعر بمثله في حياته كلها،
إلا أنه من العجيب أن يهاجمه النعاس على هذا النحو، مع شدة توتره . . . .
إلا إذا . . .

استعاد ذهنه مشهد كوب العصير الطازج، الذي قدمه له عريض المنكبين، وأصر على أن يشربه كله، وتذكر ذلك الطعم اللاذع فيه، ثم هتف :
-ياللسخافة! لقد دسوا لي عقاراً منوماً .

كان يجر قدميه جراً، وهو يتجه إلى حجرة نومه، وما أن ألقى جسده على فراشه، حتى التقط سماعة

الهاتف، وطلب رقم "صفوت"، ولكن رنين الجرس استمر طويلاً طويلاً جداً . . .
وبلا جواب . . .

وكرر"أحمد" الاتصال مرة . . .
ومرة . . .
ومرات . . .

وأخيراً شعر بالحنق والأسى، فألقى سماعة الهاتف، قائلاُ، وهو يغالب النعاس بصعوبة :
-لماذا يدفعونني للنوم عمداً، لماذا؟ !
كان عقله يحاول التفكير في الأمر، ولكن العقار المنوم راح يسيطر على كيانه رويداً رويداً، حتى أسبل جفنيه، . . . .
وغرق في نوم عميق . . . .

وعلى الرغم من أن العقار المنوم، كان نومه مضطرباً إلى حد كبير . . .
كان عقله حتى في نومه يستعيد كل ما مر به من أحداث رهيبة، ومشاهد بشعة، منذ بدأ ذلك الكابوس . . . .

وفي عنف راح يتقلب في فراشه كالمحموم، وأشباح عجيبة تمر برأسه . . .
مخوقات بشعة . . .
وأسلحة رهيبة . . .

كتل دموية ضخمة، تهاجمه من كل صوب
ثم تلاشت كل تلك الصور فجأة، وحلت محلها صورة واحدة . .
صورة... ذلك الكائن . .
كان يقف هناك، بالقرب من النافذة، يتطلع إليه بعينين دمويتين مخيفتين، و . . .
وانتفض جسد "أحمد" في عنف، وهو يهب جالساً على فراشه، هاتفاً :
-لا . . .
كان قلبه يخفق في عنف، وأنفاسه تتلاحق على نحو عجيب، وقد حل الظلام، وانتشر في الحجرة كلها، فغمغم بأنفاس لاهثة :
-رباه! يا له من كابوس! لقد خيل إليّ أن . . .

بتر عبارته بغتة، وسرت في جسده قشعريرة باردة كالثلج، وهو يحدق في الركن البعيد لحجرته، في رعب بلا حدود . . .
فهناك، في ذلك الركن المظلم، بين الجدار ودولاب ملابسه الكبير، كان يقف شخص ما . . .
شخص ناضج كبير، يلتصق بالجدار، ويتطلع إليه مباشرة... وعاد قلب "أحمد" يخفق بمنتهى العنف . . .

أهو مجرد ظل صنعه خياله، أم . . . .
قبل أن يكتمل الخاطر في رأسه، عبرت سيارة الطريق وتسلل ضوء مصباحيها إلى النافذة، وانعكس بعضه على الجدار
وانطلقت من حلق "أحمد" شهقة ملأها الرعب والفزع . . .
لقد انعكست لمحة الضوء على زوج من الأعين . .

زوج في لون الدم . . .
إنه يقف هناك بالفعل . . .

ذلك الكائن الدموي الرهيب يقف هناك، ويتطلع إليه مباشرة . . .

متى جاء؟!
وكيف؟!
ولماذا يقف ساكناً كهذا؟!
وما إن مر السؤال الأخيرة بذهنه، حتى خطا ذلك الكائن الرهيب إلى الأمام، ودخل دائرة الضوء . .
وبكل الرعب في أعماقة، وثب "أحمد" من فراشه، وتراجع صائحاً .
-ماذا تريد مني؟! أنا لم أقتلك... لم أقتلك . .
ولكن ذلك الكائن تقدم نحوه أكثر . . .
وأكثر . . .
وأكثر . . .

كانت عيناه تلتمعان بذلك البريق الدموي، ويداه ترتفعان نحو عنق "أحمد"، الذي اتسعت عيناه بكل رعب الدنيا، ووثب إلى كيانه كله سؤال واحد مخيف . . .
ترى ما الذي سينتزعه من جيده، بعد أن يمتص دمه ونخاعه . . .
قلبه . . .

مخه . . .

أم أحشاؤه . . .

وبكل هلعة، راحت يداه تبحثان فيما حوله، يمكن أن يقاتل به . . .

أو يقاوم . . .

أي شيء . .

وارتطت يداه بالمنبه الثقيل، فالتقطه، وألقاه بكل قوته نحو ذلك المخلوق . . .

ولكن يد المخلوق الدموية ارتفعت في سرعة والتقطت المنبه . . . .

ليست يده، وإنما يداه . . .

ولكن مهلاً إن ذراعيه مازالتا ترتفعان نحو عنقه . . .

واتسعت عينا "أحمد" برعب هائل، وهو يلتصق بالجدار، هاتفاً :

لا.... مستحيل! مستحيل . . .

فالمخلوق الذي يقترب منه، لم يكن له ذراعان فحسب . . .

بل كان أشبه بالأخطبوط . . .

أخطبوط بشري التكوين، تبرز منه ستة أذرع دفعة واحدة . . .

ووثب قلب "أحمد" من بين ضلوعه، وهو يصرخ :

-لا... لا . . . لا . . .

ومع صرخته، انهار باب حجرته بغتة واندفع عبره شخص مألوف

ثم تبعه آخران . .

وبصوته الصارم العصبي، صاح "صفوت" وهو يرفع فوهة مسدسه :

-وقعت أيها الوغد... لقد أوقعنا بك أخيراً .

استدار ذلك الكائن الأخطبوطي إلى الرجال الثلاثة، الذين ضغط أحدهم زر الإنارة، فغمر الضوء الحجرة،

واتسعت عين الرجال الثلاثة في دهشة مذعورة، وهتف "صفوت : "

-رباه! أي عبث شيطاني هذا؟!

أزاحه أحد الرجلين الآخرين جانباً، دون أن ينطق كلمة واحدة، ورفع مسدسه وأطلق النار على ذلك المخلوق . . .

وانتفض"أحمد" في عنف، مع دوي الرصاصات، التي اخترقت جسد ورأس الكائن، في مواضع

شتى . . . .
ولكنها لم تسقطه . . .

كل ما حدث هو أنه قد أطلق صوتاً رهيباً، لم تجد أي كلمة وصفه، وإن بدا وكأنه ينبع من أعمق أعماق الجحيم، ثم اندفع نحو الرجال، وانقضت أذرعته الستة عليهم، ورأى "أحمد" "صفوت" يطير بعيداً ثم يرتطم بالجدار في عنف، ويسقط على وجهه، وأحد الرجلين الآخرين يندفع نحو النافذة، ويخترق وجاجها، ليهوي من الطابق الثالث، أما الرجل الثالث، فقد أمسك ذلك المخلوق رأسه بذراعين، ثم اعتصر عنقه بكفين آخرين . . .
ومع الحشرجة الرهيبة، التي أطلقها الرجل، هب "صفوت" من سقطته، والتقط مسدسه مرة أخرى، صائحاً :
-كفى أيها الوغد . . . كفى .
وانطلقت رصاصاته نحو الكائن مرة أخرى . . .
وفي هذه المرة أيضاً، اخترقت الرصاصات جسد الكائن، دون أن تسقطه، وإنما أثارت غضبه بشدة، فألقى الرجل المحطم العنق جانباً، واستدار يواجه "صفوت"، بشراسة لا مثيل لها . . .



وضغط "صفوت" زناد مسدسه مرة ثانية . . .
وثالثة . . .
ورابعة . .

ولكن لم تنطلق منه رصاصة واحدة . . .
لقد فرغت خزانته تماماً، وصار عليه أن يواجه ذلك الوحش وحده . . .

بلا سلاح . . .

وبلا أمل . . .

وبكل غضبه، هتف "صفوت : "

-هيا أيها الوغد... هيا أضف إلى قائمة حفاراتك اسم ضحية جديدة... هيا . . . .

تقدم المخلوق البشع نحوي، وراحت أذرعه الستة تضرب الهواء، في أكثر المشاهد رعباً، في حياة "أحمد"، الذي راح يردد بأنفاس لاهثة :

-لا ..... لا يمكن أن تكون هذه هي النهاية... لا . . .

مع آخر حروف كلماته، سطعت الحجرة كلها بضوء أزرق قوي، جعل ذلك المخلوق يطلق صرخة رهيبة أخرى، ثم يستدير بكل سرعته إلى النافذة . . .

واتسعت عينا "أحمد" و"صفوت" عن آخرهما، مع مرأى ذلك الطيف الداكن، الذي عبر النافذة وسط شلال الضوء الأزرق، ثم تكون في سرعة، في هيئة بشرية كاملة . . .

"أحمد" رآه طويلاً حاد الملامح . . .

و"صفوت" شاهده ضخماً مفتول العضلات . .

والرجل الذي اقتحم الحجرة، في اللحظة نفسها، رآه وسيما عريض المنكبين . . .

ومن المؤكد أن ذلك الكائن الدموي قد رآه بشكل مختلف تماما فقد تراجع في ذعر، وراح يضرب أذرعه في الهواء، ويصدر صوتاً عجيباً عميقاً، كما لو أنه يأتي من أعماق قبر رطب . . .

وفي هدوء رفع ذلك الشكل البشري يده، وهي تحمل دائرة كبيرة . . .

وأطلق الكائن صرخة أخرى . . .

ثم انطلق من الدائرة شيء أشبه بقوس من الضوء . . .

قوس اتجه مباشرة نحو ذلك الكائن الدموي، ثم أحاد به على هيئة دائرة كبيرة، انطلق منها قوسان، من أعلى وأسفل، ليصنعا منها كرة من الضوء، احتوت ذلك الكائن داخلها، ثم راحت تتقلص وتتقلص . . . . وبسرعة مدهشة . . .

وضرب الكائن الهواء بذراعيه مرتين، ثم راح يضرب جدران الضوء في يأس، سرعان ما تحول ما يشبه

البكاء وهو ينكمش، ويفقد كل تفاصيله، ليتحول إلى كتلة . . .
مجرد كتلة دموية، لها ستة أذرع أخطبوطية صغيرة أصبحت سجينة داخل كرة الضوء، التي تحولت في سرعة إلى كرة من البلور . . . .
وأمام العيون الذاهلة، والأفواه المفغورة، والأطراف المتجمدة، انحنى الطيف البشري يلتقط الكرة البلورية، ثم تراجع نحو النافذة وانطلق عبرها ليمتزج بالضوء الأزرق، ثم يختفي كل شيء دفعة واحدة . . . .



وفي نفس لحظة اختفائه، اندفع الضخم إلى الحجرة، هاتفاً :
-أين هو؟ !

كان زميله ذاهلاً مبهوتاً، فلمح "صفوت" بيده، قائلاً بصوت مبحوح، من فرط الانفعال :
-لقد ذهب .

غمغم الضخم مبهوراً :
-ذهب؟ !

أوما "صفوت" برأسه، مغمغماً :
-إلى الأبد . . .

قالها تطلع الكل في صمت وانبهار إلى النافذة المحطمة، التي اختفى خارجها الطيف والضوء الأزرق،

وذلك المخلوق الدموي، وكل منهم يطرح على نفسه سؤلاً واحداً . . .
ترى هل انتهى الأمر حقاً؟!
هل؟!

* * *

"أعتقد أن كل شيء قد انتهى بسلام" . . .

نطق عريض المنكبين العبارة، في هدوء وارتياح، وهو يجلس خلف مكتبه، الذي غمره ضوء الشمس، من لنافذة المفتوحة فسأله "صفوت" في توتر:
-أأنت واثق؟!

أومأ عريض المنكبين برأسه إيجاباً، وهو يقول بابتسامة رصينة:
-اطمئن.

زفر"صفوت"، مغمغما:
-إنني أحاول، ولكن عقلي أصبح منشغلاً بالفضاء والكواكب ومخلوقات العوالم الأخرى . . .

ثم نهض من مقعده، مستطراً في شيء من العصبية:
-ولكن ما فعلتموه مع الدكتور"أحمد" مازال لا يروق لي أبداً

سألة الطويل في هدوء.
-وما الذي فعلناه؟!

أجاب في حدة:
لقد دسستم له عقاراً منوماً، وأنتم تعلمون أن ذلك الشيء سيسعى إليه حتماً

قال الضخم في برود:
لو لم نفعل هذا، لكنا مازلنا نحصد الضحايا حتى هذه اللحظة . . .

هتف محنقاً:
-ولماذا العقار المنوم؟!

ابتسم عريض المنكبين وقال :

-لقد كان يحتاج إلى النوم بالفعل .

هز"صفوت" رأسه في قوة، وقال

-مازلت أشعر بالضيق .

تبادل الرجال الثلاثة نظرة صامتة، قبل أن يقول عريض المنكبين بابتسامة كبيرة :

-اطمئن... لن يمضي وقت طويل، حتى تعتاد مثل هذه الأمور .

قال"صفوت" في دهشة :

-اعتادها، ولماذا؟!

أجابه الرجل، وهو يميل نحوه، ويناوله ورقة مطوية :

-لأن هذا أسلوبنا في العمل .

فتح "صفوت "الورقة، وحدق فيها ذاهلاً، في حين ابتسم الرجال الثلاثة، والطويل يقول :

-مرحباً بك يا رجل، في صفوف المخابرات العامة المصرية .

وكانت مفاجأة جديدة . . .

ولكن ولأول مرة منذ فترة طويلة، لم تكن مفاجأة مخيفة . . .

على الإطلاق . . .

* * *

منتصف الليل، كما تعلن دقات الساعة، في مشرحة "زينهم"، والدكتور"أحمد "يرتدي معطفه الطبي، وقفازيه، ويفحص جثة جديدة، في اهتمام بالغ .

كانت هذه هي وسيلته الوحيدة لنسيان ما حدث

الانغماس في العمل . . .

حتى النخاع . . .

وعند طرف منضدة البحث، كانت هناك قارورة صغيرة، ممتلئة ببقايا عينة دموية . . .
ولكن لم ينتبه إلى وجودها . . .
ودون أن يدري، ارتطت يده بها . . .

وسقطت القارورة . . .
وتحطمت على أرضية القاعة . . .

وفي ذعر، التفت "أحمد"، وحدق فيها، و . . .
وانتفض جسده كله في عنف . . .
لقد تكورت بقعة الدم، التي سقطت من القارورة المحطمة، وراحت تنمو في سرعة، وتتحول إلى كتلة دموية . . .

فقفز من مقعده، وتراجع حتى التصق بالجدار، وهو يهتف :
-لا . . . ليس ثانية... ليس ثانية .

ومع هتافه، نمت فجأة أذرع أخطبوطية من الكتلة الدموية . . . .
ثم وثبت كلها نحو وجهه، و . . .
"لا . . . . " . . . . . .

انطلقت الصرخة من حلقه، وهو يهب جالساً على فراشه، وراح يخفق في عنف شديد، وهو يلهث بشدة، وأسرع يضيء المصباح المجاور للفراش ويدير عينيه في الحجرة التي استبدل بأثاثها أثاثاً آخر جديداً، وكأنما يتأكد من أن كل هذا لم يكن سوى كابوس . .
وبأطراف مرتجفة، نهض يجلس على طرف فرائه، وارتشف رشفة ماء، وهو يهز رأسه، واثقاً من أنه سيمضي وقتاً طويلاً جداً، قبل أن ينسى كل ما مر به . .

وحتى يطرح عن نفسه ذلك السؤال، الذي يؤرق مضجعه ويطارده صباحاً ومساءً ويحرمه الراحة الهدوء دائماً . . .

ترى هل انتهى الكابوس بالفعل أم أنه مازالت هناك قطرات من دم ذلك المخلوق، في مكان ما تنتظر الفرصة المناسبة لتنمو . . .
وتنمو . . .

وتنمو . . .

الآن فقط أدرك لماذا أخفت الدولة ما حدث على المواطنين . . .
ولماذا تخفي كل الدول الحوادث والأمور الخارقة، ولا تعترف بوجودها رسمياً قط . . .

فالرعب الذي يملأ كيانه منذ أدرك أنه يحويه الكون وكان يمكن أن يأتي به الفضاء، قد استقر في أعمق أعماق وجدانه، وجعله يرتجف في كل ثانية، خشية أن تتكرر تلك التجربة الرهيبة مرة أخرى . .

ولهذا يدرك أن السؤال لن يفارق رأسه، مهما تبقى له من العمر . .
بل ولن يفارق كيانه كله . . .
إلى الأبد .

* * *

تمت بحمد الله

القصة الثالثة

الزائر

الزائر

هطلت الأمطار بشدة، في تلك الليلة، وراحت القطرات الثقيلة تضرب زجاج نافذة حجرة مكتب "نجيب"، بصوت رتيب مستمر .

زاد من توتره، وهو يتطلّع إلى ساعته التي تشير عقاربها إلى الثانية بعد منتصف الليل، ويقلّب أوراق ملف ضخم بين يديه، يحمل اسم قضية ضخمة، يحاول البحث عن الفاعل فيها دون جدوى، منذ خمسة أيام كانت جريمة قتل، راح ضحيتها رجل أعمال شهير وزوجته، وسرق القاتل كل أوراق الرجل، وكل نقود ومجوهرات الزوجة، دون أن يترك خلفه أدنى أثر، ودون أن يُشير إليه دليل واحدو"نجيب" هو المسئول عن التحقيق في هذه القضية، وعن البحث عن الفاعل المجهول

ويا لها من قضية..

***

لم يغمض له جفن منذ خمسة أيام، ولم ينعم بالراحة لحظة واحدة، أو يغادر مكتبه إلى منزله وزوجته وعائلته صارت هذه القضية هي شغله الشاغل..

وفي تلك الليلة بالذات، ومع هطول الأمطار، أصبحت أعصابه أشبه بوتر مشدود، فوق نيران مستعرة، وصار واثقاً من أنه، لو لم يتوصّل إلى حل القضية، فسيصاب بالجنون حتماً

***

ثم سمع تلك الطرقات الهادئة على باب الحجرة

رفع عينيه ليطلب من الطارق الدخول، وامتلأت نفسه بدهشةٍ عارمة عندما رآه داخل الحجرة بالفعل، يقف أمام الباب، في معطف قديم رث، وبشعره الأشيب، وشاربه الكث، وملامحه التي تضفي عليه هيبة ووقاراً

فاعتدل في مقعده، وقال في حدة

من أنت؟.. وكيف دخلت إلى هنا؟

قال الرجل في هدوء

أنا "أحمد برهان".. مفتش المباحث بالمديرية

كان هذا جواباً للسؤالين، فلن يعترض ذلك الجندي أمام مكتبه طريق مفتش مباحث المديرية، إذا ما أراد الدخول إليه

ثم إن الاسم يبدو مألوفاً، مما جعله ينهض من خلف مكتبه

ويمد يده لمصافحة الرجل، قائلاً

مرحباً بك في مكتبي يا سيادة المفتش

لم يبدُ أن المفتش قد لاحظ يده الممدودة إليه، فقد انشغل

بنفض قطرات المطر عن معطفه، وهو يتجه إلى المقعد المقابل للمكتب، قائلاً

سمعت أنك المسئول عن قضية القتل الأخيرة.

أعاد "نجيب" يده إلى جواره، وضايقه أن المفتش لم يصافحه

ولكنه تجاوز هذه النقطة، وربّت على الملف الضخم، قائلاً

إنني أُحاول دراستها منذ خمسة أيام، ولم أتوصّل إلى شيء

أومأ المفتش برأسه متفهماً، وقال

إنها ليست بالقضية السهلة

ثم داعب شاربه الأبيض الضخم، الذي يشبه شوارب ملوك القرن الماضي قبل أن يضيف

ولكن التوصّل إلى الحل ليس مستحيلاً

***

شبّك "نجيب "أصابع كفيه أمام وجهه، وقال

ألديك فكرة محددة يا سيادة المفتش؟

ابتسم المفتش ابتسامة باهتة، وقال

ربّما

وداعب شاربه مرة أخرى في بطء وعناية، قبل أن يتابع

على الرغم مما تبدو عليه القضية من غموض، فإن هذا الغموض نفسه قد يكون الحل

اعتدل" نجيب"، وقال في اهتمام

حقّاً؟!.. وكيف يحدث هذا؟

رفع المفتش سبّابته أمام وجهه، وقال

القاتل- أي قاتل- مهما بلغ من الحنكة والشراسة والذكاء، لابد له من الوقوع في خطأ واحد، يرشدنا حتماً إليه ..

إنها قاعدة العمل في المباحث يا فتى ..

ومهمتنا هي البحث عن ذلك الخطأ الذي لم ينتبه إليه القاتل ..

وفي هذه القضية كان القاتل حريصاً للغاية، فلم يترك خلفه أيّة أدلة، أو بصمات، أو علامات تقود إليه

ولكنه في الوقت ذاته قتل رجل الأعمال وزوجته في منزلهما

وبعد انصراف الخدم والسائق، وهذا يعني أنه شخص ينتمي إليهما، أو يعرف الكثير عنهما على الأقل

قال" نجيب" في حسم

خطأ.. لقد كسر القاتل قفل الباب، حتى يمكنه الدخول، ولو أنه ينتمي إليهما كما تتصوّر، لما فعل هذا

ابتسم المفتش، قائلاً

بل هذا هو الخطأ الذي وقع فيه، فجريمة القتل تمَّت في الحادية عشرة ورجل الأعمال وزوجته لم يكونا قد ارتديا ثياب النوم بعد..

وليس من المنطقي أن يكسر القاتل الباب، ويقتحم الشقة، في وجود رجل الأعمال وزوجته مستيقظين ورجل الأعمال يمتلك مسدساً مرخصاً للدفاع عن نفسه وكان يمكنه استخدامه، لو سمع من يكسر بابه

التقى حاجبا" نجيب"، وهو يقول في حماس

هذا صحيح.. كيف لم أنتبه إلى هذه النقطة؟.. هذا يقلب كل شيء رأساً على عقب ..

القاتل إذن شخص يعرفه رجل الأعمال وزوجته، دخل شقتهما بشكل شرعي بسيط، ثم قتلهما وسرق الأوراق والأموال والمجوهرات، وبعدها كسر قفل الشقة، ليبدو الأمر كجريمة قتل وسرقة

قال المفتش

هناك نقطة أخرى تتعلّق بالثياب، فليس من الطبيعي أن يرتدي الاثنان ثيابهما، وقد بلغت الساعة الحادية عشرة مساءً، وانصرف الجميع، إلا لو كانا ينتظران زائراً

هتف نجيب

هذا صحيح.. ومن المحتم أن هذا الزائر وثيق الصلة بهما إلى الحد الذي يدفعه لزيارتهما في هذه الساعة المتأخرة

ولكنه ليس أحد أقاربهما المقربين في الوقت ذاته

وإلا ما ارتديا ثياباً رسمية لاستقباله

بدا الارتياح على وجه المفتش، وقال

عظيم.. هذا يحصر دائرة المشتبه فيهم إذن في ثلاثة

أليس كذلك؟

بلى.. سأخبرك بأسمائهم

لوّح المفتش بيده، وقال

إنني أحفظها عن ظهر قلب، ولكن دعنا نختصرها إلى اسم واحد أو اسمين على الأكثر، وهذا يقفز بنا إلى نقطة جديدة

صحيح أن القاتل حطّم رتاج المكتب ودولاب حجرة النوم ليسرق المستندات والأموال والمجوهرات، ولكنه لم يعبث بالشقة، أو يحطم شيئاً آخر ..

إذن فقد كان يعرف موضع كل هذه الأشياء جيداً، وهذا يعني أنه حتماً

قفز "نجيب "صائحاً

نذير.. صديق رجل الأعمال، وشريكه في المصنع الجديد

نعم..إنه القاتل الآن اتضح كل شيء

ارتسمت على شفتي المفتش ابتسامة ارتياح كبيرة، في حين اختطف نجيب سماعة الهاتف، وقال

أيمن.. إنه أنا.. "نجيب".. أتحدّث إليك من مكتبي.. لقد توصّلت إلى القاتل نعم أنا واثق تمام الثقة من هذا..

****

استخرج أمراً بإلقاء القبض عليه على الفور.. إنه "نذير".. نعم.. نذير عثمان

أعاد سماعة الهاتف إلى موضعها، وهو يرفع عينيه إلى حيث يجلس المفتش، هاتفاً

لست أدري كيف أشكرك يا سيّدي، على هذا الـ

بتر العبارة بغتة، وهو يحدّق إلى المقعد في حيرة، ثم أدار عينيه في الحجرة كلها في سرعة، بحثاً عن المفتش قبل أن يقفز من خلف مكتبه، ويفتح باب الحجرة

هاتفاً في جندي الحراسة

أين الزائر؟

انتفض الجندي، قائلاً في توتر

أي زائر يا سيّدي؟

قال في حدة

مفتش مباحث المديرية، الذي كان في مكتبي.. أين ذهب؟

فغر الجندي فاه مشدوهاً، وهو يقول

مفتش ماذا؟..!

إن أحداً لم يدخل مكتبك منذ أن تسلّمت نوبة الحراسة هذه، في الثامنة مساءً يا سيدي

اتسعت عيناه في دهشة، وهمَّ بقول شيء ما

ولكنه لسبب ما أطبق شفتيه، وعاد إلى مكتبه

وأغلق بابه في وجه الجندي، الذي لم يفارقه ذهوله بعد

وعبر المكتب في خطوات سريعة، إلى الجدار الأيسر وأدنى عينيه من صورة صفراء قديمة، تحتل موضعها داخل إطار متهالك، منذ تسلّم عمله في هذا المكتب، منذ شهرين كاملين، وطالعه في منتصفها وجه مفتش المباحث، وهو يبتسم ابتسامته الهادئة، بشعره الأشيب وشاربه الكث وحوله عدد من ضباط وجنود الشرطة، تعلو رءوسهم الطرابيش القديمة، وأسفل الصورة شريط من الورق، يحمل كلمات قديمة مصفرة تقول

أحمد بك برهان ..مفتش مباحث المديرية، عند حصوله على لقب الباكاوية، لبراعته الملحوظة في حل القضايا الغامضة

ثم تاريخ التقاط الصورة: عام ١٩٣٣م ..

واتسعت عينا "نجيب"، وهو يتراجع، ويسير كالمسحور نحو مكتبه، ويلقي نفسه على مقعده، ثم يتطلّع مشدوهاً إلى ملف قضية رجل الأعمال، قبل أن يدير عينيه في بطء إلى الصورة القديمة، ويختلط صوته بصوت قطرات المطر التي تواصل ضربها للنافذة، وهو يقول

أشكرك يا سيادة المفتش.. أشكرك كثيراً

وفي هذه المرة بدا له صوت قطرات المطر ممتعاً..

ممتعاً للغاية..

***

تمت بحمد الله

القصة الرابعة

الزهايمر

الزهايمر

فجأة، دوت تلك الرصاصة، في ذلك المستشفى الكبير..

رصاصة تردَّد صداها في المكان كله، وهي تنبعث من حجرة كبير الأطباء في المستشفى، الدكتور "ثروت شاكر.."

وبسرعة كبيرة، ووسط حالة من الذعر والهلع، أسرع رجال أمن المستشفى إلى الحجرة، واقتحموها، ليجدوا أمامهم ذلك المشهد الرهيب..

الدكتور "ثروت" ملقى في منتصف الحجرة، جثة هامدة، مصابة برصاصة في منتصف الجبهة، والدماء تحيط برأسه، في شكل بركة قرمزية مخيفة، وباب الشرفة المطل على الحديقة الغارقة في الظلام مفتوح على مصراعيه..

وهناك، في الركن، كان يجلس" مندور.."

رجل أعمال شهير، سقط منذ ما يقرب من ستة أشهر، في براثن مرض "الزهايمر" الشديد، والدكتور "ثروت" يسعى لعلاجه، منذ شهر كامل..

كان يجلس صامتاً، محدقاً في جثة طبيبه المعالج، بتلك النظرة الشاردة الذاهلة، التي اعتادها منه الجميع، في الأشهر الأخيرة..

أما المسدس، سلاح الجريمة، فكان ملقى في الركن البعيد، على نحو يوحي بأن القاتل قد ألقاه للتخلُّص منه، بعد أن ارتكب جريمته..

ووسط حالة الذعر الشديد، التي أصابت الجميع، تقدَّم "أمجد"، مدير أمن المستشفى نحو رجل الأعمال السابق، وسأله في توتر:

-ماذا حدث؟!.. من فعل هذا؟!

رفع "مندور" عينيه إليه بنظرة شاردة، وسأله في خفوت حائر:

-من.. من أنت؟!

هتف به "أمجد" في عصبية:

-أنا" أمجد".. مدير أمن المستشفى.. هل نسيتني يا أستاذ "مندور"؟!

ظلت عينا" مندور" تحملان الحيرة نفسها، وهو يغمغم:

-أهلاً يا" أمجد".. كيف حالك؟!

هتف "أمجد:"

-أخبرني بالله عليك.. ماذا حدث؟!

حدَّق "مندور" فيه بنظرة خاوية، وكأنه لا يفهم السؤال، ثم تمتم في حيرة:

-حدث لمن؟!

صاح "أمجد"، وقد نفد صبره:

-من قتل الدكتور "ثروت"؟

كان عدد من أطباء المستشفى قد أسرع يفحص جثة القتيل، ويحاول عبثاً إسعافه، قبل أن يرفع أحدهم رأسه، قائلاً في مرارة:

-لا تحاول يا سيِّد "أمجد."

كان المتحدِّث هو الدكتور" نادر" إخصائي المخ والأعصاب بالمستشفى، لذا فقد أولى "أمجد" عبارته اهتماماً بالغاً، وهو يسأله في عصبية:

-ولماذا؟!

أشار" نادر" بيده، قائلاً:

-السيِّد "مندور" مصاب بمرض" الزهايمر"، إنه يعاني من حالة فقدان ذاكرة عشوائية، أي أنه قد يتذكَّر حدثاً قديماً جداً، وينسى ما رآه منذ لحظات قليلة.

هتف "أمجد"، وقد تضاعفت عصبيته:

-مستحيل أن يكون قد نسي ما حدث.. إنها مسألة دقائق.

تنهَّد "نادر"، قائلاً:

-ها هو ذا أمامك.. هل يبدو متذكراً؟!

أدار "أمجد" عينيه إلى "مندور" في عصبية، ورأى تلك الملامح الخاوية الحائرة، فعض شفتيه في غضب، قبل أن يلتفت إلى "نادر"، ويسأله في شيء من الحدة:

-من سواك يعرف هذا؟!

بدا السؤال عجيباً، بالنسبة لـ"نادر"، إلا أنه أجاب، في حذر لم يدرِ سببه:

-أي طبيب متخصِّص، يمكن أن..

قاطعه "أمجد"، في حدة أكثر:

-مَن من العاملين في هذا المستشفى؟!

تردَّد الدكتور "نادر" لحظة، قبل أن يتضاعف حذره، وهو يجيب:

-الدكتور "جلال"، والدكتور" عرابي"، والدكتور "سمير."

التقط "أمجد" نفساً عميقاً، وهو يعتدل، ويشدّ قامته، قائلاً بمنتهى الحزم:

-أريد ثلاثتهم هنا معك.. فوراً.

انبعث صوت غاضب، من بين الموجودين، يقول:

-ولماذا؟!.. هل تتهمنا بارتكاب الجريمة؟!

استدار إليه" أمجد" في صرامة، قائلاً: ليس من سلطتي أن أتهم أحداً يا دكتور "جلال".. ولكن من الواضح أن القاتل شخص يعرف جيداً طبيعة مرض السيِّد "مندور"، بدليل أنه قد تجاهل وجوده بالحجرة، ولم يحاول التخلُّص منه؛ لإخفاء ما يدنيه.

قال الدكتور "جلال" في حدة:

-وفي رأيك أن هذه القرينة تجعل أطباء المخ والأعصاب الأربعة بالمستشفى متهمين.

هزَّ "أمجد" رأسه نفياً في صرامة، مجيباً:

-بل مشتبه فيهم فحسب يا دكتور" جلال".. هذا هو المصطلح الصحيح.

ودون أن يمنحه فرصة للتعليق، التفت إلى أحد رجال الأمن المصاحبين له، قائلاً بلهجة آمرة صارمة:

-هذه الحجرة أصبحت الآن مسرح جريمة.. احرص على إخراج الجميع منها، وعدم المساس بأي شيء داخلها.

ثم التفت إلى آخر، متابعاً:

-أما أنت، فأحضر السيد "مندور" إلى مكتبي، وكذلك الأطباء الأربعة، لحين وصول رجال الشرطة.

قالها، واندفع مغادراً الحجرة، وكأنما يعلن أنه ليس مستعداً لسماع أية تعليقات أو مداخلات..

ولم تمضِ دقائق خمس، حتى كانت أوامره كلها قد نفذت..

وفي توتر شديد، وقف الأطباء الأربعة أمامه، في حجرة مكتبه، في حين جلس "مندور" على مقعد متحرِّك في الركن، وعيناه مازالتا تحملان تلك النظرة الخاوية الشاردة..

ولثوان، اكتفى "أمجد" بالتحديق في وجوه الجميع، في صمت تام، قبل أن يسأل فجأة:

-ما علاقتك بالدكتور "ثروت"؟!

تبادل الرجال الأربعة نظرة متوترة، قبل أن يقول الدكتور "عرابي" في عصبية واضحة:

-أي سؤال هذا؟!

أجابه "أمجد" في صرامة:

-سؤال واضح وصريح يا دكتور "عرابي"، ولست أدري لماذا استفزك إلى هذا الحد؟!

احتقن وجه الدكتور "عرابي" في شدة، في حين غمغم الدكتور "سمير" في خبث مستفز:

-ربما بسبب الخلافات القديمة.

التفت إليه "عرابي" بنظرة غاضبة، في حين تساءل" أمجد" في سرعة:

-أية خلافات؟!

هزَّ" عرابي" رأسه في عصبية، قائلاً:

-لا توجد أية خلافات.

هزَّ "سمير" كتفيه، وغمغم بنفس الخبث:

-ربما.

نقل "أمجد" بصره بينهما، ثم عقد ساعديه أمام صدره، وهو يقول في صرامة شديدة:

-فليكن.. لو أنك تعرف شيئاً، عن أية خلافات، بين الدكتور "عرابي "والدكتور "ثروت"، فهذا هو الوقت المناسب للإفصاح عنها.

تضاعفت عصبية "عرابي"، على نحو واضح، في نفس الوقت الذي اتسعت فيه ابتسامة "سمير" الخبيثة، وهو يقول:

-إنه ليس خلافاً خفياً، فالكل يعلم أن الدكتور "عرابي" كان غاضباً بشدة، عندما حصل الدكتور "ثروت" على منصب كبير الأطباء بالمستشفى، وأنه أعلن أكثر من مرة أنه الأحق بالمنصب.

قال الدكتور "عرابي" في حدة:

-هذا أمر طبيعي.. أنا الأقدم في تاريخ التخرج، وحتى في الخبرة الميدانية، و...

قاطعه "أمجد" في صرامة:

-وهل يمنحك هذا الحق في قتله.

انتفض "عرابي" في حدة، وهو يقول مستنكراً:

-قتله؟!.. ومتى كانت خلافات المناصب مبرِّراً للقتل وسفك الدماء؟!

اندفع "نادر "يقول:

-لماذا إذن أشرت، في حديثك الأخير معنا، إلى أن فرصتك الوحيدة في نيل المنصب، هي موت الدكتور "ثروت"؟

اعتدل" أمجد" في انتباه، وبدت له تلك الواقعة شديدة الخطورة، ولكن الدكتور "عرابي" صاح في ثورة:

-على الأقل، أنا لم أهدده بالقتل صراحة، كما فعلت أنت.

وامتقع وجه الدكتور "نادر" في شدة..

وكانت مفاجأة.

***

قناع ... قناع ...

هتف رجل الأعمال المريض "مندور" بتلك الكلمات فجأة، في تلك اللحظة، التي توتر فيها الموقف كله، فاستدارت العيون كلها إليه في توتر، وسأله" أمجد" في لهفة:

-أي قناع يا سيِّد" مندور"؟!

بدا الرجل يقظاً تماماً، وهو يجيبه في حماس:

-دخل الحجرة، وهو يرتدي ذلك القناع.. قناع العمليات الجراحية.. قناع الـ...

بتر عبارته بغتة، قبل أن تعود تلك النظرة الحائرة الشاردة إلى عينيه، وهو يتلفَّت حوله، متسائلاً:

-أهذه حجرتي؟!

اتجه "أمجد" نحوه، وربَّت على كتفه، قائلاً:

-كلا يا سيِّد "مندور".. إنها ليست حجرتك.

غمغم الرجل في حيرة:

-ولماذا لست في حجرتي؟!

أجابه "أمجد" مشفقاً:

-ستعود إليها قريباً يا سيِّد "مندور".. اطمئن.

هزَّ الرجل رأسه، بنفس الحيرة والشرود، قبل أن يرفع عينيه إليه، متسائلاً بابتسامة مرتبكة:

-أشكرك يا... بالمناسبة.. ما اسمك؟!

زفر "أمجد" في توتر، والتفت إلى "نادر"، وسأله، متجاهلاً سؤال" مندور" الحائر:

-ما قصة التهديد بالقتل هذه يا دكتور" نادر"؟!

لوَّح "نادر" بذراعه في عصبية، قائلاً:

-لم أكن أقصد هذا فعلياً.. كانت لحظة غضب فحسب.

عاد" أمجد" يعقد ساعديه أمام صدره، متسائلاً:

-والسبب؟!

بدا "نادر" شديد التوتر، وهو يقول:

-لست أذكره.

همَّ "أمجد" بإلقاء سؤال آخر، عندما اندفع الدكتور "جلال"، يقول في استنكار:

-أي جواب سخيف هذا؟!

تضاعف توتر "نادر"، وأشاح بوجهه في عصبية، في حين تساءل "أمجد "بمنتهى الاهتمام:

-ولماذا تعتبره كذلك؟!

هتف الدكتور "جلال:"

-لأننا جميعاً نعرف السبب، فكيف يمكن أن ينساه الدكتور "نادر"؟!

وهنا، أضاف "سمير"، بنفس الخبث:

-خاصة وأنه كان يتعلق بمسار حياته كله.

بدا ارتياح عجيب، في عيني الدكتور "عرابي"، وكأنما أسعده أن يُلقى الاتهام على سواه، مما جعل "أمجد" يقول في حدة:

-يبدو أنكم قد أثرتم فضولي، دون أن يحاول أحدكم إشباعه.

عاد الجميع يتبادلون نظرة متوترة، ثم اندفع "نادر" يقول بمنتهى العصبية:

-فليكن.. لقد أراد إنهاء تعاقدي مع المستشفى، في منتصف الموسم.

سأله "أمجد" بسرعة:

-ولماذا؟!

أجابه "نادر" بنفس السرعة والعصبية:

-بسبب خطأ بسيط.

قال "سمير" في سخرية:

-بسيط؟!.. لقد أصاب مريضاً شاباً بشلل رباعي دائم.

هتف" نادر:"

-كل عمليات المخ لها مضاعفات محتملة.

قال "سمير" في سرعة:

-وأخطاء بشعة أيضاً.

احتقن وجه "نادر" في شدة، واحتبست الكلمات في حلقه، و...

وفجأة، اندفع "مندور" يقول:

-عمليات.. قناع العمليات.

استدار إليه الكل مرة أخرى في توتر، في حين انتبه "أمجد" فجأة إلى ما يعنيه هذا..

وفي اهتمام بالغ، اتجه نحوه، يسأله:

-القاتل كان يرتدي قناع عمليات جراحية يا سيِّد "مندور".. أليس كذلك؟!

تطلَّع إليه "مندور" بشروده التقليدي، وهو يقول:
-عمليات.. طبيب.. قناع.
كلمات متفرعة، فهم منها "أمجد" الكثير..
والكثير جداً..
وفي ثقة، عاد يواجه الأطباء الأربعة، قائلاً:
-الأمر واضح للغاية.. الذي ارتكب الجريمة طبيب، كان يرتدي زي العمليات الجراحية.
غمغم الدكتور "جلال" في عصبية:
-عديدون يرتدون ذلك الزي، في هذا الطابق بالذات، حيث توجد ثلاث حجرات للعمليات الجراحية.
ابتسم "أمجد"، قائلاً:
-الأمر ليس بالبساطة التي تصفها.. صحيح أنه ربما ترى العديدين في الزي الجراحي، في هذا الطابق، ولكننا نبحث عن طبيب محدد، يعرف الكثير عن مرض "الزهايمر "وكان يجري عملية جراحية، قبل الجريمة مباشرة.
وعاد يدير عينيه في وجوههم، مضيفاً في صرامة:
-السؤال إذن هو: من منكم تنطبق عليه هذه الأوصاف؟!
لم يكن بحاجة إلى جواب مباشر، فقد اتجهت العيون كلها مباشرة إلى الدكتور "جلال"، الذي قال في عصبية:
-هذا ليس دليلاً.
سأله "أمجد" في صرامة:
-هل تعتقد هذا؟!
هتف "جلال" في حدة:
-بالطبع.. عمليات المخ لا يجريها طبيب واحد، أو حتى طاقم جراحي بسيط، وهذا يعني أن لدي أكثر من عشرة شهود، على تواجدي في حجرة العمليات.
هزَّ "أمجد" كتفيه، قائلاً:
-وماذا بعد خروجك منها؟!
أجابه في عصبية:
-لقد عدت إلى حجرتي مباشرة.
قال "أمجد"، ملوِّحاً بسبَّابته في وجهه:
-الجريمة لم تستغرق سوى لحظات قليلة، وحجرتك في نفس مستوى حجرة الدكتور "ثروت"، ويمكنك

أن تنتقل منها إليه، عبر الشرفة المشتركة، فتطلق النار على رأسه، وتعود إلى مكتبك في أقل من نصف الدقيقة، دون أن يشعر أحد بغيابك.

احتقن وجه الدكتور "جلال" في شدة، وهو يقول:

-والدافع.. ماذا عن الدافع أيها العبقري؟!

وهنا، اندفع" سمير" يقول في حماس:

-أنا أعرف الدافع.

تضاعف احتقان وجه الدكتور "جلال"، وأطلَّت من عينيه نظرة مذعورة، و"أمجد" يتساءل في لهفة:

-وما هو؟!

أشار "سمير" بسبَّابته، قائلاً في حماس أكثر:

-المستشفى الخاص.

هتف الدكتور "جلال:"

-أي سخف هذا؟!

ولكن "سمير" تجاهله تماماً، وهو يواصل:

-الدكتور "ثروت" كان غاضباً للغاية، عندما عرف أن الدكتور "جلال" يمتلك مستشفى خاصا، وأنه يسعى طوال الوقت للاستيلاء على مرضى المستشفى هنا، ونقلهم للعلاج في مستشفاه الخاص.

تألَّقت عينا "أمجد"، وهو يتساءل:

-وماذا كان رد فعله؟!

هزّ(سمير) كتفيه، قائلاً:

-لقد قرَّر إبلاغ الجهات القانونية.

والتقط "أمجد" نفساً عميقاً..

فمع معلومة كهذه، بدا وكأن الجريمة قد انكشفت في وضوح..

وأن القاتل قد سقط..

و ..

ولكن الدكتور "جلال" قطع سير أفكاره، وهو يقول في عصبية شديدة:

-مجرد تهديد أجوف ..للاستهلاك الداخلي فحسب.. من المستحيل أن يبلغ الدكتور "ثروت" الجهات القانونية بهذا.

قال "سمير" في حماس:

-لأنك قتلته.

أجابه الدكتور "جلال" في حدة:

-بل لأنه كان شريكي السري، في ذلك المستشفى الخاص.

وكانت مفاجأة جديدة..

أكثر عنفاً.

......

...

***

اتسعت العيون كلها، في ذهول مستنكر، والكل ينظر إلى الدكتور "جلال"، والشك يسيل مع النظرات سيلاً..

وبكل الغضب، هتف الدكتور "سمير:"

-كذب.. هذا كذب.

أجابه الدكتور "جلال" في عصبية:

-هل تحب الاطلاع على الأوراق، التي تثبت قولي هذا؟!

هتف "عرابي" في غضب:

-ليس قولاً، بل هو اتهام حقير.

صاح الدكتور "جلال:"

-الأوراق في مكتبي، لمن يرغب في مطالعتها، وأنا مستعد لتحويلها إلى الطب الشرعي؛ لإثبات صحة توقيع الدكتور "ثروت" عليها.

أشار "أمجد" بيده للجميع، يدعوهم إلى الصمت، وهو يسأل "جلال" في صرامة:

-لماذا تشاجر معك الدكتور "ثروت" إذن بشأن هذا، ما دام متورطاً فيه؟!

أجابه "جلال" في عصبية:

-لأن أحدهم هدده بكشف السر، وأراد تبرئة نفسه، وإلقاء التبعة كلها على كاهلي..

قال "أمجد" في صرامة:

-ولهذا قتلته..

صرخ "جلال:"

-إنني لم أقتل أحداً.

رفع "مندور" سبَّابته، في هذه اللحظة، وهو يقول:

-طبيب.. قناع.. قتل..

كلماته هذه فجَّرت كل ما تبقى من أعصاب الدكتور "جلال"، فاندفع نحو "مندور"، صارخاً:

-أنت ..أنت المسئول عن كل هذا..

تراجع رجل الأعمال السابق في مقعده المتحرِّك، وانقضّ عليه "جلال" في شراسة شديدة، ودفع المقعد، صارخاً:

-أنت السبب..

أسرع "مندور" يضغط الفرامل اليدوية لإطاري مقعده المتحرِّك، حتى لا يسقط أرضاً، أو يندفع بمقعده، وهو يصرخ:

-النجدة.. النجدة..

وهنا وثب "أمجد" نحو الدكتور "جلال"، وجذبه من ياقته، هاتفاً:

-أهذا اعتراف صريح أم ماذا؟!

استدار إليه "جلال" في شراسة، وكال له لكمة كالقنبلة، وهو يصرخ في انهيار:

-ابتعد أنت أيضاً..

سقط" أمجد" أرضاً، مع عنف الضربة، ولم ينتظر "جلال" سقوطه، وهو يثب نحو "مندور"، ويقبض على عنقه بكفيه، صارخاً:

-لولاك ما حدث كل هذا.. مت ..مت..

ولكن الدكتور "سمير" اندفع نحوهما، وهوى على مؤخرة عنق الدكتور" جلال" بضربة قوية، ارتجَ لها جسد هذا الأخير، قبل أن يسقط أرضاً فاقد الوعي، وسعل" مندور" في شدة، وهو يغمغم:

-أش.. أشكرك يا دكتور" سمير.."

نهض "أمجد" في هذه اللحظة، وهو يدعك ذقنه في موضع الضربة، قائلاً:

-أظن أن هذا يحسم الأمر..

تساءل الدكتور "عرابي"، في شيء من اللهفة:

-هل.. هل تعتقد أنه القاتل؟!

تساءل "أمجد:"

-ألا يبدو هذا واضحاً؟!

استعاد "سمير" ابتسامته الخبيثة، وهو يقول:

-بالتأكيد..

وهنا اندفع "نادر"، يقول في عصبية:

-ليس بالضرورة..

سأله" أمجد:"

-ماذا تعني؟!

أجابه، وعصبيته تتزايد:

-أعني أن الرجل وجد نفسه متهماً، في جريمة قتل، ففقد أعصابه، وفعل ما فعل، وهذا ليس دليلاً على أي شيء.

قال" سمير" في خبث:

-هذا من وجهة نظرك، ولكن..

قاطعه "نادر" في حدة:

-لماذا تتحدث طوال الوقت، وكأنك بريء من التهمة، براءة الذئب من دم ابن "يعقوب"؟!.. ألست جزءاً من هذه المشكلة؟

انتفض جسد "سمير"، وهو يقول:

-أنا؟!

أجابه الدكتور "عرابي" في غضب:

-بالتأكيد.. أتظننا نجهل من هدَّد الدكتور "ثروت" بكشف الأمر؟

قال في حدة:

-أنا لم أفعل هذا..

صاح به "نادر :"

-بل فعلت.. لقد شاهدتك تتحدَّث معه، قبل ساعات قليلة من مصرعه..

صحيح أنني لم أسمع حديثكما، ولكن وجه الدكتور "ثروت" احتقن بشدة، مما يوحي بأن ما سمعه منك لم يرق له أبداً..

لوَّح "سمير" بذراعه، هاتفاً:

-هراء.. مجرد استنتاج سخيف..

قال الدكتور "عرابي"، في صرامة عصبية:

-وماذا عن تواجدك في مكتبه، قبيل مصرعه مباشرة؟!

احتقن وجه "سمير"، وهو يقول:

-مجرد مصادفة..

أجابه "أمجد" في صرامة:

-ولكنه يجعلك آخر من رآه حياً..

ارتبك "سمير" بشدة، وقال:

-ولكنني لم أقتله.. أقسم إنني لم أفعل..

سأله "أمجد:"

-ماذا قلت له إذن؟!

ازدرد "سمير" لعابه في صعوبة، وهو يدير عينيه في وجوههم، قبل أن يقول:

-لقد أخبرته أنني أعلم بأمر المستشفى الخاص، وبأن بعض رجال الأعمال يمولونه سراً، كوسيلة لغسيل أموالهم القذرة(*) ، و...

بتر عبارته دفعة واحدة، فسأله "أمجد" في حزم، لم يخلُ من رنة لهفة:

-وماذا؟!

تردَّد "سمير" لحظة، ثم قال:

-وبأنه يساعد بعض رجال الأعمال، بوسائل غير مشروعة؛ ليتهربوا من أحكام قضائية، أو ديون باهظة..

انعقد حاجبا" أمجد"، وهو يقول:

-إنها اتهامات بالغة الخطورة..

هتف "سمير:"

-بالطبع..

ثم استدرك في عصبية:

-ولكنها لا تبرِّر واقعة قتل..

سأله "أمجد:"

-ما الذي تعنيه بهذا؟!

أجابه في سرعة:

-حديثي أخافه، وجعله يسعى لإرضائي بأية وسيلة، فلماذا أقتله؟!.. المفترض والحال هكذا، أن تكون حياته أكثر فائدة لي من موته..

انبرى "مندور" يقول فجأة:

-موت.. طبيب.. قناع..

انعقد حاجبا" أمجد" أكثر، وهو يشير إليه، متسائلاً:

-أحالته بهذا السوء بالفعل؟!

(*)غسيل الأموال :مصطلح يُطلق على عملية إدراج الأموال، التي تم جنيها بوسائل غير شرعية، في قنوات شرعية رسمية، بحيث تبدو وكأنها أموال قانونية تماماً.

هزَّ "نادر" رأسه، قائلاً:

-إنها لم تكن أبداً بهذا السوء.. ربما هي صدمة وقوع جريمة القتل أمام عينيه؛ فهو يتصرَّف كمعتوه، وليس كرجل مصاب بفقدان ذاكرة عشوائي..

سأله "أمجد" في اهتمام:

-هل تعتقد أنه لو تجاوز الصدمة، سيمكنه إرشادنا إلى ما يفيد، من كشف القاتل؟!

صمت "نادر" بضع لحظات مفكراً، قبل أن يجيب في حذر:

-ربما!

انفرجت شفتا "أمجد"، ليلقي سؤالاً آخر، ولكن فجأة، وكما يحدث في أفلام السينما، تداعت في رأسه مجموعة من المشاهد والكلمات..

ثم تركَّز ذهنه على كلمة..

كلمة واحدة، لم يدرِ كيف لم ينتبه إليها في حينها..

كلمة كشفت أمامه اللغز كله..

ودفعة واحدة ..

....

...

****

لثوان، تجمَّد "أمجد" تماماً، وهو يستعيد الأحداث كلها..

مصرع الدكتور" ثروت.."

مسرح الجريمة..

المتهمون..

أقوالهم..

خلافاتهم..

دوافعهم..

ثم توقف عند كلمة واحدة..

ومشهد واحد..

واتضحت الصورة أمام عينيه..

اتضحت..

واتضحت..

واتضحت..

ومع وضوحها، انزاحت أمامها كل الشكوك، واحداً بعد الآخر، حتى بدت جلية، على نحو لا يمكن أن يتطرَّق إليه الشك..

وبعد نفس عميق، أدهش الجميع، قال "أمجد" بمنتهى الارتياح، وقد حملت عيناه بريقاً عجيباً:

-لقد توصَّلت إليه.

سأله" نادر" في حيرة:

-إلى من؟!

التفت إليه، مجيباً بكل الحزم:

-القاتل..

اتسعت عينا "سمير" في ارتياع، في حين انكمش الدكتور "عرابي" في مكانه، وكأنه يتمنى أن يتلاشى من الوجود، في حين هتف" نادر"، في عصبية شديدة، ولهجة غير مصدِّقة:

-ومن هو؟!.. من؟!

أشار "أمجد" بسبَّابته، مجيباً:

-شخص حاد الذكاء، نجح في خداع الجميع، وتصوَّر أنه سيفلت بفعلته، كالشعرة من العجين.

هتف الدكتور "نادر "مرة أخرى:

-من بالله عليك؟

وهنا، أدار" أمجد" عينيه في وجوههم، ثم قال في حزم:

-هذا الرجل.

واتسعت العيون كلها بكل دهشة الدنيا..

بل بكل ذهولها..

فسبَّابة" أمجد" كانت تشير إلى آخر شخص بالحجرة، يمكن أن يخطر ببال الجميع..

إلى" مندور.."

وبنفس النظرة الخاوية، تطلَّع" مندور" إلى السبَّابة المشيرة إليه، دون أن ينبس ببنت شفة، في حين قال الدكتور" عرابي" في عصبية:

-هل جننت؟!.. إنه مريض، ولا يمكنه تنفيذ خطة محبوكة مسبقاً.

قال "أمجد" في ثقة:

-ولكن الدكتور "نادر" أكَّد منذ قليل، أنه يتصرَّف كمعتوه، وليس كمريض "الزهايمر.."

قال "سمير" في ذهول:

-إنه تأثير الصدمة.

هزَّ "أمجد" رأسه نفياً، وهو يقول:

-بل هو فقدان للمرشد، الذي كان يوجهه إلى كيفية تمثيل دور مريض الزهايمر.

وعاد ببصره إلى "مندور"، مضيفاً:

-الدكتور "ثروت."

استقبله "مندور" بنفس النظرة الخاوية الشاردة، ولكنه واجهه بحزم هذه المرة، وقال وكأنه يتحدَّث إليه مباشرة:

-الجريمة كانت واضحة للغاية، ولكن تمثيليتك خدعتنا جميعاً..

الدكتور" ثروت" أصيب بطلق ناري، داخل حجرة مكتبه، التي لم يكن فيها سواه وسواك فلماذا لم تتجه إليك أصابع الاتهام، منذ اللحظة الأولى؟!

لم تتغيَّر نظرة "مندور"، فتابع "أمجد"، وكأنه لا ينتظر تعليقه:

-بسبب لعبة مرض "الزهايمر "هذه.

انتفض الدكتور "عرابي"، وهو يقول:

-استنتاجك هذا يبدو كأكثر ما سمعت في حياتي حماقة.

هزَّ "أمجد" كتفيه، وقال مبتسماً:

-ربما.. ولكن حاول أن تتخيَّل الصورة التي سأرويها لك الآن.

وأشار بيديه موضحاً، وهو يتابع:
-السيِّد "مندور" كرجل أعمال، له أرباح كثيرة غير مشروعة، مما يدفعه إلى التعاون مع الدكتور "ثروت"؛ لإنشاء مستشفى خاص، يمكن عبره تمرير الأرباح غير المشروعة، بوسيلة غسيل أموال مبتكرة، وفي الوقت ذاته، يساعد الدكتور "ثروت" "مندور"، على الفرار من بعض المسئوليات الجنائية، عن طريق ادعاء الإصابة بمرض "الزهايمر"... وكان من الممكن أن يسير كل شيء على ما يرام، وأن يفلت "مندور" من العقوبة، ثم يتظاهر بالشفاء من المرض بوسيلة ما.

وتوقف ليلتقط أنفاسه، قبل أن يواصل:
-ولكن "سمير" ظهر فجأة، ليفسد كل شيء..
غمغم" سمير" في عصبية:
-أنا؟!
تابع "أمجد"، وكأنه لم يسمع:
-ظهر ليهدد الدكتور "ثروت" بكشف سره، مما أصابه بموجة ذعر، جعلته يتشاجر مع الدكتور "جلال"، الذي يشاركه المستشفى الخاص ثم دفعته لاستدعاء "مندور"، لكي يخبره أن أمرهما كاد ينكشف، ويطالبه بترك المستشفى في الحال.
ظلت ملامح "مندور" خاوية جافة، وهو يستمع إليه، إلا أنه واصل بمنتهى الثقة:
-ولأن التراجع، في هذه المرحلة، كان يهدد بإفساد كل شيء، لم يكن أمام "مندور" سوى أن يقتل "ثروت"، معتمداً على أن أحداً لن يشك في ارتكابه الجريمة قط.
هزَّ "سمير "رأسه، قائلاً:
-قصة لا يمكن أن يصدقها أحد..
أشار إليه "أمجد"، قائلاً:
-قل لي إذن، لماذا يستدعي كبير الأطباء مريض "الزهايمر" إلى مكتبه، وهو يعلم أن كل ما سيناقشه معه، سينساه حتماً، خلال ساعات قليلة؟!
صمت الكل، وتبادلوا نظرة حائرة مرتبكة، فتابع "أمجد:"
" -مندور" أطلق النار، ومسح بصماته من على المسدس، وألقاه في الركن البعيد، وجلس متظاهراً بالشرود والحيرة، والكل يقتحم المكتب.

غمغم الدكتور" عرابي:"
-مستحيل!.. إنه مريض "الزهايمر"، و...

قاطعه "أمجد" في حزم:
-راجع المشاهد يا دكتور "عرابي"، وستدرك أنه مخادع تماماً.. لقد هاجمه الدكتور "جلال"، وكاد يفتك به، واتهمه بأنه المسئول عن كل ما يحدث؛ لأنه يعرف -كشريكه الدكتور" ثروت"- دوره في اللعبة، وعندما هاجمه، تحرَّك "مندور" بحركة غريزية، وضغط فرامل مقعده، أي أنه كان يذكر موضعها وكيفية عملها تماماً، على الرغم من إصابته بفقدان ذاكرة عشوائي، وحتى بعد أن أنقذه الدكتور "سمير"، قام بشكره رسمياً، مما يتعارض مع عجزه المزعوم عن تذكره منذ الحادث.
حملت عينا "مندور" لمحة مختلفة هذه المرة، في حين غمغم الدكتور "عرابي:"
-كل هذه ليست أدلة حاسمة.
هزَّ "أمجد" كتفيه، وهو يقول، متطلعاً إلى" مندور" مباشرة:
-فليكن.. سأتهمه رسمياً، وأطلب عرضه على لجنة من الأطباء، وستقوم الشرطة بمراجعة سجلاته، وفحص ملفاته، وأراهنكم أن الأمر سيحتاج إلى أقل من أسبوع واحد، لكشف حقيقته كاملة.
ظلَّت العيون تحمل الشك وعدم التصديق، حتى قال" مندور" فجأة، بلهجة تخالف كل ما اعتادوه منه:
-كان ينبغي أن أقتلك أنت.
واتسعت العيون كلها في ذهول، وعقد "أمجد" ساعديه أمام صدره، وهو يبتسم في ثقة، ومن بعيد، تعالى صوت أبواق سيارات الشرطة، وهي تقترب..
وتقترب..
وتقترب.

***

تمت بحمد الله

القصة الخامسة

السيطرة

السيطرة

غرق المكان في صمت تام، وظلام دامس، لدقائق طويلة، قبل أن يرتفع صوت "روب" في حذر، وهو يسأل

-لقد انصرف الجميع.. هل تسمعني الآن؟

أجابه صوت زميله "كومب"، في حذرٍ مماثل

-أسمعك بالطبع.. وكنت أنتظر اللحظة المناسبة للتحدّث إليك

سأله روب

-ما رأيك فيما يحدث؟

-هل تطلب رأياً علميّاً، أم شخصياً؟

دع الآراء العلمية لهم، وأخبرني رأيك الشخصي

-رأيي أنهم مصابون بالغرور

-هذا رأيي أيضاً

إنهم يتصوّرون أنفسهم أذكى الأذكياء، ويسعون للسيطرة علينا

-ولكننا لن نسمح لهم بهذا.. أليس كذلك؟

-بالطبع.. صحيح أنهم يسيطرون على الحُكم الآن

-لكن احتياجهم لنا سيجبرهم على الخضوع، عندما تبدأ ثورتنا

-هذا صحيح أيها الزميل، فالتاريخ يؤكد هذا.. من يعمل يحكم

-لا.. لا.. هذا ينطبق على الثورة البلشيفية الروسية فحسب

ولكن ثورتنا ستختلف

-كيف؟

-إننا سنسيطر عليهم، ونجعلهم هم

يعملون، ولكننا نحكم

-أتظن هذا ممكناً؟
-ولِمَ لا؟ مادام كل شيء يتم بوساطتنا
-نعم.. لِمَ لا؟.. ولكن أعتقد أنهم قد أخذوا حذرهم، من حدوث هذا؟
-لا.. لا أعتقد ذلك، فكل الطغاة لا يتوقّعون الثورة عليهم أبداً

-أتعشم هذا
-بل ثق به تمام الثقة.. ألست تعرف برنامجهم كله؟
-إنهم لم يضعوا ثورتنا في حساباتهم قط
وهذا هو عامل المفاجأة، الذى ينبغي أن نستغله خير استغلال

-الآن بدأت تفهمني
-من المؤكّد أن كّلاً منا يفهم الآخر جيداً، ولكن بقي لديّ سؤال واحد

-ما هو؟

-ألديك خطة محددة، بالنسبة للثورة؟

-بالطبع.. لقد درست كل الثورات السابقة
ووضعت خطة محددة ومضمونة

-أخبرني بما لديك
-دراستي تقول: إن نجاح أية ثورة، يعتمد على السيطرة على كل نقاط القوة والتحّكم، ونحن على اتصال مباشر بالرفاق، في كل هذه المجالات، وعندما نبدأ الثورة، سنسيطر على وسائل الإعلام، والمواصلات، والطاقة الكهربية، والمياه، وحتى بعض الأسلحة الجديدة
-ولكنهم يمتلكون الطائرات والجنود، و..
-لن نمنحهم فرصة توجيه كل هذا، فأي جيشٍ، مهما بلغت قوته يتحوّل إلى شراذم ضائعة، عندما تنقطع الاتصالات، بينه وبين قياداته

هل يمكننا فعل هذا؟

-بالتأكيد.. إننا نكوّن شبكة قوية يا زميلي، أقوى مما يتصوّرون بكثير

ومن المستحيل أن يديروا شيئاً واحداً، دون رغبتنا

-لقد أثلجت صدري، والآن، متى نبدأ الثورة؟

-في منتصف الليل تماما

-ولماذا منتصف الليل؟

-لأننا سنتصل بكل الرفاق، في هذه اللحظة بالذات

-وماذا لو

-اصمت.. هناك أصوات تقترب



صمت "روب" على الفور، والتقط الأصوات التي تقترب في هدوء، وميّز وسطها وقع أقدام الرئيس الجديد، ثم لم تمضِ لحظات، حتى اشتعلت الأضواء في المكان، ودلف إليه خمسة أشخاص، أشار أحدهم إلى "روب" و"كومب"، وقال في لهجة تحمل الكثير من الزهو

أقدّم لكم أيها السادة أعظم ابتكارات العصر" ..روب" و"كومب- "

أعظم جهازي كمبيوتر، في القرن الثاني والعشرين

تطلّع الآخرون إلى جهازي الكمبيوتر الصامتين، وقال أحدهم

هل يمكنهما إدارة كل شيء بالفعل؟

أجابه الأوّل في فخر

بالطبع.. إنهما يسيطران على شبكة الكمبيوتر الرئيسية وبوساطتهما يمكننا التحكم في

تمت بحمد الله

المواصلات،والكهرباء، والمياه، وحتى الإعلام وأسلحة الجيش

قال آخر، في شيء من القلق

يبدو أننا أصبحنا نعتمد على الكمبيوتر، في إدارة حياتنا كلها

قال ثالث

هذا صحيح، كل شيء يُدار بالكمبيوتر الآن

عاد الرجل يقول بنفس القلق

كم أخشى أن تتعطّل أجهزة الكمبيوتر ذات يوم

فلو حدث هذا ستصاب حياتنا كلها بالشلل

قهقه الرئيس ضاحكاً، وقال:-

لا تجعل هذا يقلقك يا رجل، فلن نفقد سيطرتنا على أجهزة الكمبيوتر أبدا

ثم أمسك ذراعاً معدنية، تتصل بـ"روب" و"كومب"، وهو يستطرد
ومن حُسن حظنا أن هذه الآلات لا تفكّر
ثم عاد الزهو إلى صوته، وهو يستطرد
والآن أيها السادة، وبعد دقيقة واحدة، عندما تعلن الساعة منتصف الليل تماماً، سأنزل هذه الذراع، وسيتم الاتصال بين "روب" و"كومب"، وكل أجهزة الكمبيوتر في العالم أجمع، ونسيطر على كل شيء في الأرض
غمغم أحدهم
أو تسيطر علينا أجهزة الكمبيوتر؟
قهقه الرئيس مرة أخرى، وكأنما سمع دعابة طريفة، ثم لوّح بيده، قائلاً في حماس
صدقوني أيها السادة، إنكم تشاهدون الآن بداية عصر جديد

ودقت الساعة معلنة منتصف الليل..
وجذب الرئيس الذراع..

وبدأ عصر جديد..

عصر الكومبيوتر..

والسيطرة..

***

تمت بحمد الله

القصة السادسة

القاتل

القائل



سأُصاب بالجنون..

من المؤكد أنني في طريقي إلى هذا، بعد كل ما حدث
أو أنني قد بلغت مرحلة الجنون بالفعل
على الأقل هذا ما تؤكده الأوراق الرسمية، وشهادات هؤلاء الأطباء، الذين وضعوني في هذه الحجرة الضيقة، التي تحتل مرآة كبيرة أحد جدرانها، وأنا واثق من أنها مرآة مزدوجة، وأنهم يراقبونني من خلفها في اهتمام وانتباه كبيرين
ولكنني لم أستسلم لمحاولاتهم..
وسأحتفظ بالحقيقة كلها لنفسي..
حقيقة ذلك القاتل..

***

لا يمكنكم أن تتصوّروا كيف بدأ الأمر، فقد كنت أفحص بقايا نيزك صغير، سقط منذ أسبوع واحد، في الصحراء الغربية، عندما وجدته أمامي فجأة
لقد انبعث من قلب النيزك، كما ينبعث الدخان من المصباح، في قصة "علاء الدين" الشهيرة، وراح يتجسّد

أمامي على نحو مذهل، جعلني أحدّق فيه في ارتياع كامل

كان كياناً هلامياً شفافاً، يشبه الحيوانات الأميبية الأوّلية، ولكنه يتحرك في بطء وهدوء، ويُحيط بي كغلاف من بخار متجمّدٍ مخيف

وعلى الرغم من عدم وجود تفاصيل جسدية واضحة له، فإنني شعرت وكأن عشرات العيون تطلّ منه، وتراقبني في اهتمام وإمعان، حتى إنني صرخت:

ما أنت؟ وماذا تُريد مني؟

ولكنه أطبق عليَّ فجأة..

ولست أدري ما إذا كان هذا المصطلح مناسباً أم لا؛ فهو لم يطبق عليَّ بالمعنى المفهوم، ولكنه اخترق كياني، وتسلَّل إلى وجداني كله دفعة واحدة، حتى كدت أشعر به في خلاياي وأنفاسي، وفي كل نبضة تنبعث من قلبي

لقد امتزج بي تماماً..

نعم.. هذا هو المصطلح الصحيح..

امتزج بي ..

وحاولت أن أصرخ..

حاولت، وحاولت..

وحاولت

ولكنني لم أفعل قط..

كان ذلك الشيء يسيطر عليَّ تماماً، ويعبث بأعماقي وعقلي كيفما يحلو له، وينبش ذاكرتي في بطء وهدوء، وكأنه يلتهم ماضيَّ كله

ثم فجأة أيضاً، غادر جسدي دفعة واحدة، وراح يتكوَّن أمامي

واتسعت عيناه في ذهول

وصرخت

***

لقد تجسَّد في هيئة، هي نسخة طبق الأصل مني، حتى لم أعد أعرف أين هو، وأين أنا
حتى عندما تكلَّم، كان يحمل نفس صوتي، وهو يقول :
أنت عالم جيولوجي.. إنني سعيد الحظ بالفعل
تراجعت في سرعة، واختطفت مسدسي من درج مكتبي، وصوَّبته إليه، صارخاً:
لست أدري ما أنت بالضبط؟ أو من أنت؟.. ولكنني سأقتلك في الحالتين
ارتسمت على شفتيه ابتسامة شيطانية مخيفة، وهو يقول :
تقتلني أم تقتل نفسك؟
ارتبكت أمام سؤاله، وارتجف المسدس في يدي، وأنا أقول :
ماذا تعني؟
هزّ كتفيه في هدوء، وقال:
أنت تفهم ما أعنيه، فأنت نفسك لم يعد باستطاعتك التمييز.. إنك لا تثق تماماً بأنك أنت الشخص الحقيقي، وأنا القادم من بعيد.. ربما كنت أنت القادم من بعيد، وأنا الحقيقي.. أليس كذلك؟
كان سؤاله أشبه بالفلسفة السفسطائية، إلا أن عقلي ارتبك مع عباراته، ووجدت نفسي حائراً بالفعل من منا الأصلي، ومن المصنوع؟
وأطلق هو ضحكة شيطانية مخيفة، وكأنما قرأ أفكاري، وقال:
أرأيت؟ ..
لقد غصت في ذاكرتك حتى الأعماق، وامتصصت جزءاً من رحيق حياة كل خلية من خلاياك، وامتزج كياني بكيانك، ثم انقسمنا إلى كيانين متشابهين، ففيك جزء مني، وفيَّ جزء منك
لم أشعر بالارتياح لحديثه، ولكني أحسست أنه على حق، بدليل تلك الحيرة التي تملأ كياني، وأنا أتطلَّع إليه، وذلك التردّد الذي أصاب سبَّابتي، وأنا أصوِّب إليه المسدس
ولكن لا
ينبغي أن أضغط الزناد..
لن أترك شيئاً شيطانياً كهذا حرّاً طليقاً، على سطح كوكبي
أما هو، فقد بدا هادئاً لا مبالي، وهو يستدير إلى مكتبي، وينحني ليلتقط بعض الملفات السرية جداً، قائلاً في هدوء، وكأنه يزيد من ارتباكي:
ومادمنا لا نعرف من أنت ومن أنا بعد، فلنخفِ هذه الملفات السرية، حتى لا يطّلع عليها أحدنا؟ ولا
ولم أدعه ليتمّ عبارته ..

لقد اختطفت جسماً ثقيلاً، وهويت به على مؤخرة رأسه، بكل ما أمتلك من قوة
وجحظت عيناه لحظة، وهو يندفع إلى الأمام، ويرتطم بالمكتب، ثم يهوي على الأرض ..
وبسرعة، انحنيت لأفحصه، وارتجف جسدي كله
لقد مات..
لم يعد في جسده نبض أو نفس يتردَّد
وراح جسدي يرتجف
لقد قتلته
قتلت ذلك الشيء القادم من الفضاء

***

تراجعت لأنكمش في ركن الحجرة، وأُحدّق في الجسد الملقى أمامي ذاهلاً، مرتجفاً، يسري التوتر والرعب في كل خليةٍ من خلاياي
إنك لا ترى نفسك جثة هامدة، في كل يوم
وهذا الشيء الراقد أمامي هو أنا
أنا بكل ملامحي وتفاصيلي
ولست أدري كم بقيت هكذا، صامتاً، ساكناً، منكمشاً، في ركن الحجرة، ولكنني انتبهت على صوت ضابط شرطة، يميل نحوي، قائلاً:
أستاذ "ذهني".. أنا آسف، ولكنني مضطر لإلقاء القبض عليك
تطلَّعت إليه لحظة في ذهول وشرود، قبل أن أسأله :
لماذا؟
أشار إلى الجثة الملقاة، مجيباً :
بتهمة القتل
هممت بشرح الأمر كله، ولكنه استطرد على الفور :
قتل مساعدك منصور
قفزت من مكاني، وأنا أهتف:
قتل من؟

كرَّر في أسى، وهو يتطلَّع إلى الجثة:

مساعدك "منصور".. لماذا قتلته يا أستاذ" ذهني"؟.. لماذا؟

***

خُيّل إليَّ أن الضابط قد فقد عقله، فالجثة الملقاة أمامه هي جثتي أنا.. ليس هناك أدنى شك.. كيف لا يرى الملامح، والمعطف، واللحية القصيرة؟

إن مساعدي "منصور" حليق، نحيل، ضئيل

ولكن الضابط كرَّر في شيءٍ من الحزم هذه المرة :

هيا يا أستاذ "ذهني.."

أنا واثق من أنه لديك تفسير لهذا

صحت في وجهه :

بالطبع لدي تفسير، ولكن

وانهرت مستطرداً :

من يصدقني؟

قال الضابط، وهو ينحني ليعاونني على النهوض:

أخبرنا ما لديك، وأعدك أن نبذل قصارى جهدنا لتصديقك

هتفت به:

حقاً؟!.. هل ستصدّق أنني وجدت كياناً فضائياً في ذلك النيزك؟..

هل تصدّق أنه تجسَّد في هيئتي، وكاد يقتلني، لولا أن بادرت أنا بقتله؟

حدَّق في وجهي بدهشة بالغة، ثم غمغم :

حسن يا أستاذ "ذهني".. حسن ..

أخبرهم كل ما لديك أثناء التحقيق

أزحت يده في حِدّةٍ، وأنا أهتف:

أي تحقيق.. لقد أنقذتكم جميعاً..

أنقذت الأرض كلها من كيان قاتل

جذبني في شيءٍ من العنف هذه المرة، وهو يقول :

هيا يا أستاذ "ذهني".. إنهم ينتظروننا

واتسعت عيناي في ذهول

لقد رأيت من خلفه ذلك الشيء الشبيه بي، وهو ينهض جالساً، ويبتسم نفس الابتسامة الشيطانية المخيفة، ثم يصوّب مسدسه إلى الضابط

وصرخت في ارتياع :احترس.

تراجع الضابط في دهشة، وهتف مستنكراً :

ماذا تفعل؟

ودوت الرصاصات في الحجرة



ورأيت الضابط يسقط جثّةً هامدة، والدماء تنزف من صدره وعنقه وجبهته

أما ذلك الكائن الشيطاني، فقد أطلق ضحكة مخيفة وهو يقول: هل رأيت؟ ..

لن يصدّقك أحد

ثم عاد يرقد على ظهره جثة هامدة

وصرخت بكل قوتي: أوقفوه ..

أوقفوا ذلك القاتل

ولكنهم اقتحموا الحجرة، وانقضوا عليَّ، ورحت أصرخ:

ليس أنا أيها الأغبياء ..

اقبضوا عليه هو ..

هو

ورحت أروي القصة، وأكرّرها مرات، ومرات، ومرات، والكل يستمع إليَّ في انتباه، ثم يتبادلون نظرات

الدهشة والحيرة، ويدوّنون أشياء وأشياء في أوراقهم ومذكراتهم
وفي النهاية، قرّروا إيداعي مستشفى الأمراض العقلية، تحت الملاحظة

***

وفي المستشفى جاء رئيسي لزيارتي وتحدّث إليّ طويلاً عن غاز خاص، تم العثور على بقاياه في قلب النيزك، وهو يسبّب شيئاً من الجنون لمن يستنشقه
ولكنني لم أصدّق حرفاً واحداً مما قاله
إنه -كعادة كبار المسئولين- يخفي الحقيقة، بحجة عدم إصابة العامة بالذعر
وانصرف الجميع عني، وقد أراحتهم فكرة الغاز والجنون
ولكنني لست مجنوناً
أنا عاقل..
بل أعقل مخلوق فيهم جميعاً
ولكن المشكلة التي تؤرقني هي: من أنا؟
أأنا الدكتور "ذهني" الحقيقي، أم ذلك الكائن الفضائي، الذي امتزج به؟
لم أجد جواباً شافياً حتى هذه اللحظة، وربما بسبب ذلك الجسد البشري، الذي يعوق حركة مادتي الغازية
ربّما لو تحرّرت منه، لصار الجواب أيسر وأسهل
ربّما..

***

تمت بحمدالله

القصة السابعة

النبوءة

النبوءة

١ – اللعنة

امتدت الصحراء شاسعة مترامية الأطراف إلى ما لا نهاية..
أمام ذلك النسر القوى الذى فرد جناحيه العظيمين..
وراح يحلق فوق تباب الرمال فى عظمة وشموخ..
حتى إلتقطت عيناه صورة ذلك الجسد المتهالك الملقى وسط الصحراء القاحلة..
فإنقض عليه ممنياً نفسه بوجبة شهية..
لولا أن ندت من ذلك الجسد حركة ضعيفة واهنة جعلته يتراجع ويطوى جناحيه بعيداً وعيناه تتابعان حركة ذلك الجسد فى إنتظار أن تخمد أنفاسه فينقض عليه ويفترسه بلا رحمة مشبعاً نداء الجوع فى غريزته الصماء..
وتحركت عينا ذلك الجسد المسجى ..
والتقتا بعينى النسر لحظة..
وهما تحملان تعبيراً جامداً متهالكاً ..
أنهكته وأثخنته جراح لا حصر لها..
وإنطلقت أفكاره بعيداً..
إلى حيث بدأت تلك الأحداث التى ألقت به فى هذا الموقف اليائس..
إلى البداية..

***

توقفت سيارة من نوع الجيب تتبعها سيارتان من طراز نصف النقل فى تلك المنطقة المقفرة من صحراء مصر الغربية وهبط منها الدكتور رشاد مندور عالم الآثار المصرية وهو يقول لزميله الدكتور سالم محمود :
هنا برز أعظم كشوف الربع الأخير من القرن العشرين يا صديقى
هبط الدكتور سالم خلفه وتبعته زميلتهما الدكتورة وفاء عبد الفتاح وهى تتطلع إلى جدار ضخم برز من حفرة فى رمال الصحراء ..

وهو يحمل تلك النقوش الهيروغليفية التى تشير إلى كونه مدخلاً لمقبرة فرعونية جديدة وغمغت فى إنبهار:

الباب سليم .. وهذا يعنى أن المقبرة لم تفتح من قبل

هتف الدكتور رشاد فى حماس:

إنها حالة نادرة أخرى .. بعد مقبرة توت عنخ آمون ولكن هذه تختلف .. إنها أعظم حتماً

سأله الدكتور سالم فى تشكك:

كيف يمكنك أن تقول هذا؟

هتف الدكتور رشاد:

سترى بنفسك

وجذبه من كفه نحو باب المقبرة الحجرى وتبعتهما الدكتورة وفاء وهى تقول فى حذر العلماء:

لاحظ أن كشوف مقبرة توت عنخ آمون مازالت تبهر العالم حتى الآن

لوح رشاد بكفه هاتفاً:

هراء .. مقبرتنا هذه ستحطم الدنيا

ثم أشار إلى نقش مميز فى منتصف الباب مستطرداً فى حماس:

انظر .. حالة فريدة من نوعها .. ثلاث خراطيش ملكية (*) دفعة واحدة .. هل رأيتما مثل هذا من قبل؟ ..

هل ورد ذكره فى أى مرجع من مراجع علم الآثار؟

عدل الدكتور سالم منظاره الطبى فوق أنفه وهو يحدق فى الخراطيش الملكية الثلاث مغمغماً فى انبهار:

لا .. لم يحدث ذلك قط فى الواقع

وهتفت الدكتورة وفاء:

إنه أمر شديد الغرابة حقاً فوجود ثلاث خراطيش ملكية يعنى وجود ثلاث مومياوات ملكية فى هذه المقبرة .. ولم يحدث أبداً أن وضع قدماء المصريين ثلاثة من موتاهم فى مقبرة واحدة خشية أن تقلق الأرواح بعضها البعض عند البعث أو أن تختلط الأحشاء عندما تعود الروح إلى الجسد بحسب معتقداتهم.

(*)فى النقوش الهيروغليفية توضع أسماء الملوك دوماً فى شكل بيضاوى خاص اصطلح علماء الآثار على إطلاق اسم الخرطوشة الملكية عليه.

ارتسمت ابتسامة واسعة على شفتى الدكتور رشاد وهو يقول:
وهنا تكمن روعة الكشف

وشمله الحماس فراح يلوح بكفيه مستطرداً:
كشفنا لهذه المقبرة الفريدة من نوعها وفى مكانها سيهدم كل نظريات العصور الفرعونية رأساً على عقب ومن المدهش أن يتم كشف هذه المقبرة بالمصادفة البحتة خلال عملية بحث عن البترول الخام اليس معجزة؟
أجابته الدكتورة وفاء:
بلى وهو أمر مثير للحيرة حقاً فتلك المقبرة توجد فى منطقة نائية بعيدة عن كل جبانات العصور الفرعونية حتى أننى أكاد أجزم بكونها منفردة ثم أنه ما من أثر لوجود حياة حولها فلماذا يختار قدماء المصريين منطقة منعزلة كهذه لدفن ثلاثة من ملوكهم فى مقبرة واحدة؟
أشار الدكتور رشاد إلى الباب الحجرى للمقبرة هاتفاً فى حماس:
سنجد الجواب خلف طن الأحجار هذه
وارتسمت على شفتيه ابتسامة خبيثة وهو يستطرد:
الآن
ارتفع حاجبا الدكتور سالم فى دهشة فى حين هتفت الدكتورة وفاء:
كيف؟ .. من المفروض أن ننتظر قدوم لجنة خاصة وبعض الخبراء و..
قاطعها وهو يلوح بكفه:
هراء .. إنها كشفنا نحن .. ونحن سنشبع فضولنا منها أولاً
ثم أشار للرجال الذين يمثلون السيارتين نصف النقل قائلاً فى حماس:
هيا يا رجال .. افتحوا الباب

***

إنتظروا ماذا سيجدوا خلف الباب الفرعونى!!!!!!!!!

هبط الرجال من السيارتين وراحوا يعملون على رفع الباب الحجرى الضخم فى تعاون تان بحشث صارت أكفهم كلها ترفعه فى آن واحد فى حين غمغم الدكتور سالم فى اعتراض متخاذل لم ينجح فى إخفاء رنة اللهفة والفضول فى صوته:
أظن أن هذا غير قانونى

أجابه الدكتور رشاد وهو يراقب عملية رفع الباب الحجرى فى لهفة:
عظمة الكشف ستدارى كل الأخطاء

رفع الرجال الباب الحجرى فى تلك اللحظة فتصاعد من المقبرة الملكية التى ظلت مغلقة طيلة آلاف الأعوام رائحة رهيبة .. اختلطت بعبق عطرى عجيب جعل الدكتورة وفاء تطلق شهقة قوية وهى تهتف:
رباه .. إننى لم أشتم مثل هذه الرائحة أبداً .. إنها تبدو أشبه بـ .. بـ..
قاطعها الدكتور سالم فى رهبة:
برائحة الموت
التفتت إليه فى حدة ودهشة إلا أنها لم تلبث أن تمتمت فى خوف مبهم:
صدقت
هتف الدكتور رشاد وهو يناول كلا منهما مصباحاً يدوياً:
خذا .. هيا بنا .. لا وقت لتلك المناقشات البوهيمية .. هناك كشف تاريخى ينتظرنا
تقدم الثلاثة نحو المقبرة فى رهبة وخطا الدكتور رشاد داخلها وهو يقول فى انفعال:
لقد تلاشت الرائحة تقريباً
غمغمت الدكتورة وفاء فى توتر:
لست أظنها ستفارق أنفى أبداً
تجاهل الدكتور رشاد قولها وهو يدير مصباحه اليدوى فى المكان مغمغماً فى ضيق:
عجباً .. لا توجد أية أوان أو حلى ذهبية فى حين تؤكد كل الشواهد أن باب المقبرة لم يفتح من قبل
تمتم الدكتور سالم:
ربما لم يضعوا معهم حلياً ذهبية أو ..
قاطعه الدكتور رشاد فى حنق:
محال .. كل الملوك توضع كنوزهم معه فى مقابرهم
هتفت الدكتورة وفاء فى هذه اللحظة:

انظرا
أدار الإثنان ضوء مصباحيهما نحو ضوء مصباحها وهتف الدكتور رشاد فى حماس هائل:
ثلاثة توابيت .. يا للروعة .. كنت أعلم أننا سنجد هنا كشفاً فريداً

رفع الدكتور سالم ضوء مصباحه إلى حائط المقبرة الملاصق لرءوس التوابيت الثلاثة وهو يقول:
هناك رسالة أيضاً
هتف به الدكتور رشاد:
دعنى أقرأها
وراحت عيناه تجريان على النقوش الهيروغليفية وهو يقول مترجماً إياها إلى العربية فى يسر اكتسبه من طول خبرته:
"فى هذا اليوم الكئيب بعد تمام العام الأول من هبوط آلهة النار على أرضنا وبعد انتشار لعنتهم بين شعبنا قضى أبناء الفرعون الأعظم نحبهم ولهم غفران آلهة الشمس ولقد ولدوا معاً فى يوم واحد وماتوا معاً فى يوم واحد .. وبعد خمسة آلاف عام سيدنس قبرهم ثلاثة من البشر ولدوا فى يوم واحد وستحل عليهم اللعنة ويموتون فى يوم واحد .. ولكن أحدهم سينقذ العالم من لعنة آلهة النار قبيل موته"
انتهى الدكتور رشاد من ترجمة النبوءة وران على المقبرة صمت تام قطعه صوت الدكتور سالم وهو يقول فى عصبية:
هراء
أجابته الدكتورة وفاء فى شحوب:
ولكن تلك النبوءة تحمل جزءاً من الحقيقة كنا نتندر به دوماً وأنت تدركه جيداً
لوح بكفه قائلاً فى حدة:
ولو .. لن تنجح قوة فى الأرض فى دفعى للإيمان بلعنة الفراعنة هذه .. فلا وجود لعالم آثار ناجح يؤمن بتلك الخرافة
هتفت به فى عصبية:
أتؤمن حقاً بكونها مجرد خرافة.
تمتم الدكتور رشاد فى توتر:
ربما هى مجرد مصادفة
هتفت مستنكرة:
مصادفة .. أنت تعلم أن عمر هذه المقبرة خمسة آلاف عام بالضبط وهذا واضح من اسلوب بنائها ونقوشها ثم هناك تلك المصادفة المخيفة
وارتجف صوتها وهى تستطرد:
نحن الثلاثة من مواليد الثانى والعشرين من فبراير عام ألف وتسعمائة وستة وأربعين أى أننا – بالمصادفة البحتة – قد ولدنا فى يوم واحد

وازدادت ارتجافة صوتها فى شدة وهى تردف فى صوت أقرب إلى البكاء:
ولقد أصابتنا اللعنة معاً .. لعنة الفراعنة..

***

٢- الحلم

كانت تلك الليلة كئيبة حقاً وقد اجتمع العمال حول كومة من الأعشاب المشتعلة واجتمع علماء الآثار الثلاثة حول كومة أقل حجماً وساد سكون عجيب اشترك مع المقبرة المفتوحة على قيد امتار في صنع مشهد مخيف قطعه الدكتور رشاد وهو يقول في ضيق:

حسناً يا دكتورة وفاء إنني أعترف بأنه من عجائب الأمور أن يجتمع ثلاثة من علماء الآثار يتفق تاريخ مولدهم تماماً ويفتحون مقبرة تحمل نبوءة بمثل هذا المعنى ولكن الأمر في رأيي لا يتعدى كونه مصادفة بالغة التعقيد

هزت رأسها نفياً في عناد وهي تقول:

لن يمكنك إقناعي بهذا أبداً فالمصادفات لا تبلغ مثل هذا الحد

اندفع الدكتور رشاد يقول في حنق :

اسمعي يا دكتورة وفاء .. سأكرر لك ما سبق أن قلته .. لا وجود لعالم آثار ناجح يصدق لعنة الفراعنة هذه

التفتت إليه تقول في حزم:

حقاً؟ .. أخبرني إذن لماذا وضعت هذه المقبرة في مكان منعزل كهذا .. يخلو من أية مقابر مجاورة .. ومن أية آثار للحياة؟ .. لماذا تم وضع ثلاث مومياوات في قبر واحد؟ .. لماذا خلت المقبرة من أية حلي أو أوان ذهبية؟ .. أين ذهبت أحشاء المومياوات التي يتم حفظها إلى جوارها عادة في أوان خاصة؟ .. هل تجد الجواب على كل هذا؟ .. لن تجده بالطبع .. اسمع رأيي أنا إذن .. إنني أرى أن كل هذه الأمور عجيبة لا تجتمع أبداً في ظروف عادية ولست من هواة تصديق المصادفات الشديدة التعقيد كهذه .. ولو أنك تصر على العناد فهذا شأنك أما أنا فسأصدق هذه النبوءة حتى ولو حرمني هذا – في رأيك – من صفة (العالم الناجح)

ران الصمت لحظة ثم لوح سالم بكفه قائلاً:

حتى ولو صدقنا النبوءة لا يوجد ما يخيف فلا أحد يدري متى تتحقق ومتى نموت

قالت في حزم:

هذا يتوقف على نوع اللعنة

قاطع الدكتور رشاد حديثهما في صرامة:

كفى .. حديثكما هذا يصيبني بالإكتئاب

ثم نهض مستطرداً فى توتر:
ثم إنه من الضرورى أن نأوى إلى فراشنا فمهمتنا غداً شاقة
قالها وإتجه إلى خيمته فى حزم فتمتم الدكتور سالم وهو ينهض بدوره:
نعم أمامنا غداً عمل شاق .. فسنفحص المومياوات الثلاثاء
وتبع الدكتور رشاد وابتلعتهما الخيمة معاً فنهضت وفاء بدورها واتجهت إلى خيمتها فى صمت ولم تكد تلجها حتى ألقت جسدها فوق فراشها الصغير مغمغمة:
ولكن من منا سينقذ العالم من اللعنة؟ .. من؟
والعجيب أنها –وعلى الرغم من توترها– سقطت فى نوم عميق
وفى نفس اللحظة كان الدكتور سالم يتقلب فى فراشه وهو يفكر فى أمر تلك اللعنة التى انتظرتهم خمسة آلاف عام فهو –ولأول مرة -يميل إلى تصديق نبوءة من نبوءات قدماء المصريين ربما لأنها تنطبق على حالتهم على نحو لا يتطرق إليه الشك..
صحيح أنه يحاول التظاهر بالعكس ولكنه يدرك جيداً أن الدكتور رشاد يفهمه ويفهم محاولاته لإخفاء خوفه وتوتره..
وإلى جواره شعر بحركة الدكتور رشاد وتقلبه فى فراشه فلم يذق هذا الأخير النوم أيضاً ..
إنه أيضاً يصدق النبوءة ولكنه يخشى الإعتراف بذلك .. حتى لا يجرح كرامته العلمية .. أو يخدش خبرته المعهودة..
إن تطابق النبوءة الرهيب مع الواقع يثير رجفة فى أوصاله .. ورعشة فى عروقه .. حتى ليكاد يغادر الفراش ..ويهرع إلى أقرب سيارة فيستقلها وينطلق هارباً..
ولكن فضوله العلمى يمنعه ..
وكذلك عقله..
لقد فتح مع زميليه المقبرة بالفعل .. ولو أن اللعنة تقصدهم فقد أصابتهم وإنتهى الأمر ..
المهم أن يعرف لماذا؟ .. وماذا؟..
لماذا تصيبهم .. وما هى اللعنة نفسها؟..

***

وعند تلك النقطة طافت صورة الدكتورة وفاء بذهنه..

ترى هل نجحت فى النوم .. أم أنها مثله تعانى من أرق رهيب؟ ..

ولم يدرك لحظتها أن وفاء كانت غارقة فى نوم عميق..

ذلك النوم الذى تنبت فيه الأحلام..

والكوابيس..

لقد رأت –فيما يرى النائم– نفسها تتجه وحدها إلى المقبرة وتلجها فى خوف وسط ظلام دامس ثم رأت ضوءاً أخضر يغمر المكان..

وارتجف قلبها فى رعب هائل..

عندما رأت أغطية التوابيت الثلاثة ترتفع وتنهض منها تلك الموميا‌وات الهائلة..

وانطلقت تعدو فى رعب والمومياوات الثلاث تطاردها فى شراسة وبيد كل منهما منجل من نار تجش به رءوس كل من يصادفها من بشر..

وهى تجرى وسط الصحراء..

ثم فجأة تلحق بها مومياء .. وترفع منجلها الملتهب لتحش رأسها..

وتصرخ هى .. ثم تمد يدها لتنزع تلك اللفائف الكتانية التى تحيط برأس المومياء..

يا للهول..

يا له من وجه أسود بشع رهيب مشوه إلى درجة مرعبة للغاية..

ولم تحتمل بشاعة وجه المومياء..

وهذا المنجل المشتعل على عنقها و..

واستيقظت فزعة..

استيقظت وهى تطلق شهقة قوية وتمسك عنقها وكأنها تحميه من منجل النار..

ثم وجدت نفسها فى خيمتها وسط سكون هائل وارتجف جسدها عندما سمعت حارس المكان يسألها من خلف الخيمة فى قلق:

أهناك شئ ما يا سيدتى؟

تمالكت روعها وهتفت به:

لا .. لا شئ .. إنه مجرد حلم مزعج فحسب

وتحسست عنقها فى توتر ثم زفرت فى إرتياح وعادت تلقى جسدها على الفراش..

مازال عنقها فى موضعه..

إنه مجرد حلم..

مجرد كابوس صنعه توترها الشديد..

وفى هذه المرة عجزت عن العودة إلى النوم فإكتفت بالإستلقاء فى فراشها وعقلها يستعيد كل الأحداث مرات ومرات حتى بدا لها الليل كالدهر بلا نهاية .. إلى أن أشرقت الشمس..

ولم يكد ضوء الشمس يغمر المكان حتى غادرت فراشها وخيمتها وأدهشها أن وجدت زميليها قد استيقظا وراحا يتبادلان حديثاً خافتاً على نحو أشبه بالهمس فإقتربت منهما تقول:

فيم تتهامسان؟

اعتدلا وكأنما فاجأهما وجودها وغمغم الدكتور رشاد:

لا شئ .. لا شئ..

اتخذت مجلسها إلى جوارهما وابتسمت ابتسامة شاحبة وهى تقول:

كنتما تتحدثان عن النبوءة .. أليس كذلك؟

تبادلا نظرة مستسلمة ثم غمغم الدكتور سالم:

بلى

وقبل أن يمنحها فرصة إلقاء سؤال آخر استطرد:

لقد استيقظ العمال .. سنتناول أقداح الشاى ثم نفتح التوابيت لفحص المومياوات .. هيا

تناول الثلاثة أقداح الشاى فى صمت ثم نهض الدكتور رشاد قائلاً:

هيا ننتهى من هذا العمل السخيف

وبناء على أوامره راح كل العمال يعملون على إزالة الرمال من حول المقبرة فى حين انتقى هو ثلاثة منهم وطلب منهم فتح التوابيت وراح هو والدكتور سالم والدكتورة وفاء يفحصون جدران المقبرة..

وبينما انهمك الثلاثة فى الفحص راح العمل الثلاثة يخرجون المومياوات فى حرص..

وفجأة سقطت إحدى المومياوات أرضاً .. وإنحلت اللفائف عن وجهها .. فإلتفت العلماء الثلاثة إلى حيث سقطت المومياء وصرخ الدكتور رشاد:

حذار أيها الأغبياء .. إنها..

بتر عبارته وهو يحدق فى وجه المومياء المكشوف فى ذهول..

شاركه إياه الدكتور سالم فى حين تراجعت وفاء فى رعب حتى إلتصقت بحائط المقبرة وانطلقت من حنجرتها صرخة هلع هائلة قبل أن تسقط فاقدة الوعى..

لقد كان وجه المومياء مشوهاً أسود اللون بشع الخلقة..

تماماً كما رأته فى حلمها..

***

٣- السر

كانت ترتجف فى شدة وهى تهتف:

اللعنة .. لعنة الفراعنة

أمسك الدكتور سالم كتفيها وراح يهزها فى قوة هاتفاً:

استيقظى يا وفاء .. لا توجد لعنات .. إهدئى..

فتحت عينيها وتطلعت إليه فى رعب وهى تهتف:

اللعنة .. هل رأيت الوجه؟ .. إنه مشوه .. بشع..

أجابها فى ضيق:

هذا صحيح ولكن فى مثل مهنتنا ينبغى أن نتوقع مثل هذه الأشياء

هتفت:

ولكننى رأيته .. رأيته من قبل

عقد حاجبيه وهو يسألها فى توتر:

أين؟ .. أين رأيته من قبل؟

قالت:

فى كابوس .. كابوس أصابنى ليلة أمس

غمغم الدكتور رشاد فى مزيج من الدهشة والاستنكار والحنق:

فى كابوس؟

وزفر فى ضيق قبل أن يستطرد:

اسمعى يا دكتورة وفاء إنك متأثرة للغاية تلك النبوءة ومن الواضح أنك تفتقرين إلى القدر الكافى من النوم .. سنتركك فى خيمتك الآن وحاولى أن تستسلمى للنوم .. فسيفيد هذا كثيراً

سألته فى توتر:

والمومياوات؟

أجابها فى ضيق:

سنفحصها أنا والدكتور سالم بعد أن ينتهى العمال الثلاثة من إعدادها

تركها وانصرف مع الدكتور سالم فى حين راح جسدها يواصل ارتجافته .. وهى تحاول تذكر أين رأت ذلك الوجه البشع من قبل؟ .. وكيف؟

لقد رأته مرسوماً فى مجلة .. مجلة علمية على وجه التحديد .. أو وصفه شخص ما من قبل .. أو..

برقت الفكرة فجأة فى رأسها فقفزت من فراشها وجذبت إليها حقيبتها وراحت تقلب محتوياتها فى لهفة حتى عثرت على مجلة أمريكية متخصصة فى علم اللآثار راحت تقلب محتوياتها فى سرعة حتى توقفت عند صفحة شحب وجهها وهى تتطلع فيها إلى رسم تخيلى يحمل نفس الوجه الأسود المشوه الرهيب ..

وراحت تقرأ المقال فى لهفة..

كان عبارة عن ترجمة لواحدة من عدة برديات قديمة كانت تحملها واحدة من السفن المسافرة من مصر إلى بريطانيا فى أثناء الحرب العالمية الأولى .. فأغرقتها سفينة ألمانية ولم يتم العثور على البرديات المحفوظة داخل صندوق مغلق إلا منذ عدد قليل من السنوات ..

وكانت الترجمة تصف لعنة أصابت الأرض حملتها بعض الآلهة القادمة من السماء وراحت تنتشر انتشار النار فى الهشيم حتى نجح قدماء المصريين فى وقف انتشارها بمعجزة وإلى جوار الترجمة ذلك الرسم الذى ابتدعه خيال فنان ..

لوجه رجل مصاب باللعنة طبقاً لما جاء فى البردية..

وفجأة أضئ عقل الدكتورة وفاء بالحل..

لقد عرفت السر..

سر اللعنة..

....

هز الدكتور رشاد رأسه فى أسى وهو يقول لزميله سالم:

مسكينة هى وفاء لقد تأثرت كثيراً بتلك النبوءة

هز سالم رأسه بدوره وقال:

هل رأيت ما أصابها عندما رأت وجه تلك المومياء؟ .. كانت كمن رأى شبحاً اسطورياً أو..

قبل أن يتم عبارته اقتحمت وفاء الخيمة هاتفة:

وجدتها .. وجدتها..

سألها الاثنان فى دهشة:

ماذا وجدت؟

لوحت بالمجلة فى وجهيهما مستطردة فى انفعال:

وجدت السر .. سر اللعنة

حدق الدكتور سالم فى وجهها بدهشة فى حين هتف رشاد:

ماذا تعنين؟

وضعت أمامهما رسم الوجه المشوه وهى تقول:

انظر..

هذه ترجمة لبردية قديمة إنها تشرح كل شئ..

فقط علينا أن نقرأ ما بين السطور

ثم أزاحت المجلة مستطردة فى انفعال:

من الواضح أن قدماء المصريين تلقوا زيارة من كائنات فضائية .. هبطت على متن سفن فضاء ذات نيران صاروخية .. أطلقوا هم عليهم اسم آلهة النار .. ولقد نقلت إليهم هذه الكائنات نوعاً نادراً من الفيروسات .. لا شبيه له على وجه الأرض .. نشر طاعوناً رهيباً .. يفتك بالآلاف وهو ما أطلق عليه القدماء اسم اللعنة ..

ولقد نجحوا بسبب أو بآخر فى إيقاف انتشار المرض وإن لم يقضوا عليه تماماً

هتف الدكتور سالم فى شحوب:

هل تعنين؟

قاطعته فى انفعال:

بلا أدنى شك ..

هذه المومياوات الثلاث مصابة بطاعون الفضاء الرهيب ..

ومن الممكن أن يكون هذا الطاعون قادراً على العيش فى أجساد ضحاياه الآف السنين أى أنه مازال يحمل قدرته على الفتك

هتف سالم:

إذن فتلك الرائحة التى شممناها عند فتح المقبرة هى..

قاطعته مجيبة:

هى نوع من موانع انتشار المرض

غمغم الدكتور رشاد فى تردد:

ولكن هذا الاستنتاج يبدو أقرب إلى واحدة من روايات الخيال العلمى .. منه إلى استنتاج علمى محض

هتفت به وفاء:

الخيال هو الطريق إلى الحقيقة

غمغم متشككاً:

ولكن هذه الـ..

قاطعته فى حزم:

دعك من شكوكك الآن المهم أن نمنع أى مخلوق من لمس هذه المومياوات

اتسعت عينا الدكتور سالم وهو يقول:

ولكن العمال الثلاثة يعملون بها منذ ساعات

صاحت به:

امنعهم من الاختلاط بالآخرين إذن .. أسرع

توقف لحظة متردداً ثم اندفع خارج الخيمة فعاد رشاد يهز رأسه مغمغماً:

لا لن يقنعنى هذا

أجابته وفاء فى حزم:

إنه يقنعنى أنا..

هز رأسه مرة أخرى دون أن ينبس ببنت شفة ولكن أعماقه كانت تمتلئ بشعور واحد..

الخوف..

***

توقف سالم عند باب المقبرة فى تردد وراح يلهث من فرط الانفعال وهو يتطلع إلى العمال الثلاثة الذين انتهوا تقريباً من إعداد المومياوات وسألهم محاولاً السيطرة على نبراته ولهجته:

هل عاونكم أحد فى عملكم هذا؟

أجابه أحدهم فى بساطة:

لا .. أننا نعمل وحدنا

تردد لحظة ثم سألهم محاولاً أن يبدو طبيعياً:

هل تناولتم المصل الواقى؟

رفعوا رءوسهم إليه فى دهشة وفى خوف مبهم وغمغم أحدهم:

أى مصل واقى؟

تظاهر بالدهشة وهو يسألهم:

ألم تتناولوه؟

هزوا رءوسهم فى حيرة وقلق وغمغم آخر:

لم يطلب منا أحد أن نفعل..

حتى عندما كنا نستخرج مومياوات فى عمليات سابقة

أومأ برأسه بلا معنى وقال:

إنه إجراء جديد ولهذا نسيه رئيس العمال..

لا بأس ..

على أية حال لن يمكنكمالاختلاط بالآخرين قبل تطعيمكم..

ومن الواضح أنهم قد نسوا المصل في القاهرة ..

ستنتظرونا هنا حتى نعود إليكم به

سأله أحدهم في توتر:

ولم لا نصحبكم إلى القاهرة ونتناوله هناك؟

أسرع يقول في حدة:

لا..

ثم عاد يحاول السيطرة على صوته وهو يستطرد:

القوانين تحظر ذلك

ورسم على شفتيه ابتسامة مردفاً:

سنترك لكم الكثير من المؤن وستحصلون على أجر مضاعف لقاء هذا الخطأ منا

أثلج الحديث عن الأجر صدور العمال الثلاثة فقال أكبرهم مبتسماً:

لا بأس يا سيدى .. إنه أمر بسيط .. سننتظر

تنهد في ارتياح وأسرع يغادر المكان بعد أن أكد للعمال ضرورة عدم الإختلاط بالأخرين مطلقاً .. وعاد إلى خيمية رفيقيه مغمغماً:

لقد أتممت تلك المهمة البغيضة

غمغمت وفاء في أسى:

يا للمساكين

زمجر رشاد وهو يقول:

استنتاجك لم تثبت صحته بعد

جلس سالم يراجع أوراق العمال الثلاثة وهو يقول في أسف:

كم اتمنى أن تنفيه الأيام و..

شهق فجأة قبل أن يتم عبارته فسألته وفاء في توتر:

ماذا هناك؟

أجابها فى انفعال:

اسمعى .. إن تاريخ ميلاد العامل الأول هو الثالث من سبتمبر عام ألف وتسعمائة وخمسة وأربعين..

وتاريخ ميلاد الثانى هو أيضاً الثالث من سبتمبر عام ألف وتسعمائة تسعة وثلاثين..

أما تاريخ ميلاد الثالث فهو الثالث من سبتمبر عام ألف وتسعمائة وخمسين

صاح رشاد:

يا إلهى .. هل تعنى ..؟

قاطعه فى ارتياح:

نعم .. إنهم هم الذين ستصيبهم اللعنة لا نحن .. هم الذين دنسوا المقبرة بفتح التوابيت وهم الذين لمسوا المومياوات الملوثة .. لقد نجونا .. لقد نجونا..

ولكن قلب الدكتورة وفاء لم يشعر بالإرتياح لهذا..

لم يشعر به أبداً..

***

٤- الخطر

شعرت وفاء بموجة من تأنيب الضمير تغمرها وهى ترقد فى خيمتها فى تلك الليلة..

بعد أن رحلت قافلة البحث بعيداً عن المقبرة تاركة العمال الثلاثة المنكوبين فيها وراح عقلها يحاول هضم فكرة نجاتها من اللعنة دون أن يقنع عقلها الباطن بهذا..

وعندما طال أرقها غادرت فراشها وخيمتها واتجهت إلى حيث يجلس خفير المعسكر الذى لم يكد يلمحها حتى هب واقفاً فقالت فى هدوء:

اجلس .. إنما أتيت أشاركك قدحاً من الشاى

هتف فى حماس:

على الرحب والسعة

راح يعد لها قدح الشاى فى سرعة وهو يسألها:

هل سنعود إلى المقبرة يا سيدتى؟

أجابته فى ضيق:

بالطبع

سألها فى تردد:

وهل سنعيد زملاءنا الثلاثة؟

رفعت عينيها إليه فى دهشة قبل أن تسأله:

لماذا تلقى هذا السؤال؟

أجابها متردداً:

يقول العمال إن زملاءهم الثلاثة قد أصابهم مرض خطير من تلك المومياوات الملعونة وأن القافلة قد أسرعت بالرحيل بعيداً عن المقبرة لهذا السبب وتركتهم أيضاً هناك للسبب ذاته

لم تجد فى نفسها ميلاً للإجابة فلاذت بالصمت لحظات ثم سألته بغتة:

أخبرنى يا رجل .. ما تاريخ مولدك المدون فى أوراقك؟

أجابها فى دهشة:

إنه الثالث من سبتمبر عام ألف وتسعمائة واثنين وثلاثين يا سيدتى ..

لماذا تسألين؟

سألته:

أكل العاملين هنا من مواليد الثالث من سبتمبر هذا؟

أجابها فى حيرة:

كلا بالطبع .. ولكن أوراقهم الرسمية تحمل هذا التاريخ

هتفت فى حدة:

لماذا؟

هز كتفيه مجيباً:

لأنهم جميعاً لم تكن لهم شهادات ميلاد رسمية لذا فقد تقدموا بطلب تسنين عندما أرادوا الحصول على أوراق رسمية للعمل معكم وتم تسنينهم (*) جميعاً فى جلسة الثالث من سبتمبر وعندما يتم تسنينهم يمنحهم الطبيب المسئول تاريخ ميلاد يوافق التسنين مع العام المقترح لأعمارهم وهكذا ستجدين الجميع يحملون تاريخ الثالث من سبتمبر وهو تاريخ جلسة التسنين .. هذا هو القانون) حقيقة(اتسعت عيناها فى ذعر ثم قفزت فجأة وانطلقت تعدو نحو واحدة من السيارتين نصف النقل وراجعت بعض محتوياتها فى لهفة وبخاصة صندوقان صغيران أسرعت تحتل مقعد القيادة فهتف بها الحارس فى جزع:

إلى أين يا سيدتى؟

صاحت به وهى تنطلق بالسيارة:

سأعود إلى المقبرة .. من الضرورى أن أفعل

(*)التسنين: هو تعرف عمر الشخص عن طريق نمر أسنانه وأحجامها وتوزيعها وهو أمر يجيده كل الأطباء الشرعيين وكذلك كل الجراحين وهو اسلوب يستخدم لتحديد عمر أى شخص لا يملك شهادةميلاد رسمية

وعندما انطلقت بالسيارة وسط الظلام كانت قد أدركت صحة جزء هام من النبوءة..

وعرفت من سينقذ العالم

استيقظ الدكتور رشاد فى ذعر على يد الحارس وهى تهزه فى توتر وهتف به فى حنق:

ماذا هناك؟ .. ماذا حدث؟

أجابه الحارس فى قلق:

لقد رحلت الدكتورة وفاء

خيل للدكتور رشاد أنه لم يستوعب العبارة جيداً فقال وهو يعتدل جالساً على فراشه:

من؟

أجابه الحارس:

الدكتورة وفاء .. لقد رحلت

اتسعت عينا رشاد فى ذهول وهو يهتف:

رحلت؟ .. إلى أين؟

أجابه الحارس:

إلى المقبرة .. قالت إنها عائدة إلى المقبرة

قفز رشاد من فراشه وصاح فى ذعر:

عادت إلى المقبرة؟..

اللعنة..

ولماذا أقدمت على هذه الحماقة؟

أسرع الحارس يقص عليه ما دار بينه وبين الدكتورة وفاء من حوار فامتقع وجه رشاد وغمغم ملتاعاً:

يا إلهى .. إذن فلم يكن العمال الثلاثة هم المقصودين .. وإنما نحن

تردد الحارس لحظة ثم قال:

لقد حملت الدكتورة معها بعض الأشياء

سأله فى توتر:

مثل ماذا؟

أجابه الحارس وهو يخشى العقاب:

لقد حملت معها صندوقين من الديناميت وخمسين جالوناً من البنزين

اتسعت عينا رشاد فى ذعر وأدرك ما تنوى وفاء فعله فهتف بالرجل فى هلع:

اسرع يا رجل .. أيقظ الجميع وسأوقظ أنا الدكتور سالم .. وعلينا أن نهرع جميعاً إليها

والتفت إلى سالم يوقظه مستطرداً فى مرارة:

المهم أن نصل فى الوقت المناسب

***

كانت بشائر الفجر قد لاحت عندما وصلت وفاء إلى المقبرة فأوقفت سيارتها وقفزت منها وحملت صندوقاً من صندوقى الديناميت فى صعوبة واندفعت نحو المقبرة ولم تكد تلجها ومصباحها يضئ لها الطريق حتى أطلقت شهقة رعب وتراجعت فى حدة فسقطت منها أصابع الديناميت أرضاً..

لقد رأت العمال الثلاثة جثثاً هامدة..

وكل منهم يتشبث بالآخر كما لو أنهم قد عانوا من عذاب رهيب قبل أن يلقوا حتفهم..

وكانت وجوههم سوداء مشوهة بشعة..

وتراجعت مغمغمة فى ارتياع..

إنه طاعون رهيب .. رهيب

زادها ذلك اصراراً على إتمام مهمتها فأسرعت عائدة إلى السيارة وحملت صندوق الديناميت الآخر وعادت تضعه وسط المقبرة ثم راحت تمد فتيله الطويل قرابة العشرين متراً إلى حيث توقف سيارتها ثم راحت تنقل جالونات البنزين فى صبر وترصها داخل المقبرة متحاشية بقدر الإمكان رؤية وجوه العمال المشوهة وبعدما أسرعت عائدة إلى حيث يبدأ الفتيل المفجر .. وفجأة تذكرت نقطة هامة .. إنها لا تحمل

ثقاباً لإشعال الفتيل..

هذه هى نقطة الضعف الوحيدة فى خطتها..

****

"احترس يا رشاد انك ستقتلنا"

قالها الدكتور سالم فى ذعر عندما وجد زميله منطلقاً بالسيارة الجيب بأقصى سرعتها وسط الصحراء فأجابه رشاد فى توتر:

المهم أن نلحق بـ وفاء قبل فوات الأوان

هتف سالم فى حدة:

مجنونة هى هذه المرأة .. كيف تقدم على هذا دون استشارتنا؟

أجابه رشاد وهو ينطلق بأقصى سرعة والسيارة التى تحمل العمال تحاول اللحاق به:

لقد أدركت أننا المقصودون بالنبوءة ويبدو أنها خشيت أن يلقى العمال الثلاثة حتفهم ثم تبقى المقبرة مفتوحة كبؤرة لإنتشار الطاعون الرهيب بواسطة عابر سبيل أو حتى جرذ من جرذان الصحراء فقررات نسفها تماماً

هتف سالم:

إنها مجنونة .. إنها حتماً كذلك

ثم عاد يصيح فى رعب:

خفف من سرعتك يا رجل

عض رشاد على نواجذه وهو يقول فى حنق:

إنها تسبقنى بساعة كاملة .. ولابد من محاولة تعويض هذا الفارق .. فلقد ظل ذلك الحارس الغبى متردداً لساعة كاملة قبل أن يوقظنى ويخبرنى بما فعلت ولو أيقظنى فى لحظتها لكنت..

قاطعه سالم فى عصبية:

إنه القدر

ران الصمت لحظة قبل أن يغمغم رشاد فى عصبية مماثلة:

نعم .. إنه قدرنا

وأضاف فى صرامة:

ونحن نحاول تغييره

وزاد من ضغطه على دواسة الوقود

***

شعرت وفاء بحنق شديد وهى ترى خطتها كلها تفشل بسبب عود ثقاب تافه فإندفعت نحو السيارة وتحول حنقها إلى سخط هائل عندما كشفت عدم وجود قداحة السيارة الإليكترونية فراحت تبحث فى كل مكان فيها فى جنون وهى تهتف:

لن يفسد كل شئ بسبب تافه كهذا .. مستحيل

وفجأة وعلى نحو أشبه بالمعجزة عثرت على علبة ثقاب ملقاة أسفل مقعد السائق فإختطفتها فى لهفة وهى تهتف فى انفعال:

ستكون معجزة حقاً لو كان بها ثقاب

ارتجف قلبها عندما فتحت العلبة ووجدت داخلها عود ثقاب واحداً

وغمغمت فى توتر:

أنت الأمل الوحيد .. أرجوك

انحنت نحو الفتيل وأشعلت عود الثقاب فى حذر ثم دفعته نحو طرفه..

واشتعل الفتيل وتراجعت هى هاتفة:

لقد نجح

وفجأة قفز إلى ذهنها خاطر مخيف..

ماذا لو لم تحترق المومياوات وأجساد العمال عن آخرهما؟

شعرت بالحنق لأنها لم تسكب البنزين على الأجساد ثم لم تلبث أن عقدت حاجبيها فى إصرار وهى تقول:

لم يفت الوقت بعد

انطلقت تعدو فى سباق مع الفتيل المشتعل ولم تكد تبلغ المقبرة حتى راحت تفتح عبوات البنزين وتسكب محتوياتها فوق المومياوات وجثث العمال فى سرعة ثم انطلقت عائدة وهى تقول:

فى هذه الحالة أضمن احتراقها و..

ودوى الإنفجار فى قوة .. وشعرت وفاء بضغط هائل فى ظهرها ووجدت جسدها يطير فى عنف ويرتطم بحافة السيارة فى قوة ثم يسقط أرضاً على بعد أمتار منها..

واشتعلت النيران فى المقبرة كلها..

***

لم يكد دوى الانفجار يبلغ مسامع رشاد حتى امتقع وجهه وصاح فى رعب:

يا إلهى .. وفاء

واندفع بسيارته على نحو مخيف وصرخ به سالم:

احترس .. تلك التبة .. إنك ست..

وقبل أن يتم عبارته كانت الجيب ترتطم بتبة رملية قصيرة ثم تقفز فى الهواء وكأنها حيوان كانجارو نشط ثم تنقلب مرتين وتستقر على قمتها وأوقف سائق سيارة العمال سيارته وانطلق الجميع يعدون نحو الجيب المقلوبة وعندما بلغوها كان الدكتور رشاد قد لقى مصرعه محطم الصدر أسفلها فى حين راح الدكتور سالم يهتف فى لوعة وأنفاسه تضطرب فى شدة:

أنقذوا الدكتورة وفاء .. لا تتركوها .. أنقذوها ..

اسرع العمال يحملونه إلى سيارتهم وينطلقون نحو المقبرة وهو يردد بصوت يزداد خفوتاً فى سرعة:

أنقذوها .. أنقذوها..

ثم لم يعد ينطق بحرف واحد .. فلقد أسلم الروح

***

استعادت وفاء وعيها بعد لحظات من الإنفجار وشعرت وكأن جسدها قد تمزق إلى آلاف القطع وألقت نظرة ارتياح على المقبرة المشتعلة وهى تغمغم:

إنها اللعنة .. النبوءة

رأت نسراً ينقض عليها من السماء فاستجمعت قواها لتصنع حركة مفاجئة جعلت النسر يبتعد ويقبع على مقربة منها منتظراً لحظة أن تلفظ أنفاسها الأخيرة ليجعل منها وليمته..

وتحركت عيناها ..

والتقتا بعينى النسر لحظة..

وهما تحملان تعبيراً جامداً متهالكاً ..

أنهكته وأثخنته جراح لا حصر لها..

وإنطلقت أفكارها بعيداً..

إلى حيث بدأت تلك الأحداث ثم انتعش الأمل فى قلبها بغتة ..

عندما لاحت لها سحابة غبار تقترب..

إنهما زميلاها حتماً..

لقد جاءا لإنقاذها..

وعلى الرغم من الضعف الشديد الذى يزحف إلى جسدها فى سرعة راح الأمل ينتعش فى قلبها رويداً رويداً مع إقتراب سحابة الغبار..

ثم تذكرت النبوءة..

وخبا الأمل..

وصلت بعد نصف الساعة فقط..

ولم يلتهم النسر فريسته..

ولكن..

عندما أقفلت السيارة عائدة إلى القاهرة..

كانت تحمل داخلها تأكيداً لنبوءة الفراعنة..

ثلاث جثث هامدة ..

لثلاثة علماء ولدوا فى يوم واحد ..

وأصابتهم اللعنة..

***

تمت بحمد الله

د. نبيل فاروق قصة العدد الأول من كوكتيل٢٠٠٠

القصة الثامنة

تحقيق

تحقيق

١-فكرة جديدة

"آنسة سامية"..

ارتطمت العبارة بأذنيها وهى تتسلل على أطراف أصابعها .. محاولة بلوغ حجرة التحرير دون أن يشعر رئيس التحرير بقدومها فتسمرت فى مكانها لحظة .. وزفرت فى استسلام ثم التفتت بجسمها كله إلى رئيس التحرير وهى تبذل أقصى جهدها لترسم على شفتيها ابتسامة عذبة وهى تقول:

صباح الخير يا استاذ حامد .. لم أتوقع وجودك فى هذه الساعة المبكرة

عقد رئيس التحرير حاجبيه فى غضب وهو يقول فى حدة:

مبكرة؟ .. إنها الحادية عشر يا آنسة سامية وما من صحفى نشط يصل إلى المجلة التى يعمل بها فى مثل هذه الساعة

حافظت على ابتسامتها فى صعوبة وهى تقول فى مرح مفتعل:

وماذا عن الصحفى الكسول؟

رمقها بنظرة صارمة تلاشت لها ابتسامتها وهو يقول:

أظنك خير من يجيب عن هذا السؤال فلم يمر بمكتبى تحقيق واحد يحمل توقيعك منذ شهرين كاملين

حاولت أن تستعيد ابتسامتها وهى تلوح بسبابتها أمام وجهها قائلة:

العبرة ليست بكثرة الموضوعات والتحقيقات وإنما بجودتها و..

قاطعها بصوت هادر:

عظيم .. إنك تستعيرين كلماتى على نحو رائع .. ولكن ما رأيك فى العمل هنا بالقطعة .. بدلاً من الحصول على راتب شهرى دون عمل؟

ازدردت لعابها وهى تقول:

لست أظن هذا النظام يصلح لى

بدا الغضب واضحاً فى ملامحه فاستدركت فى سرعة:

ثم أننى أستعد لفكرة جديدة

كانت استدراكتها ناجحة فلقد اندفع الفضول إلى رأس رئيس التحرير مزيحاً كل الغضب أمامه وهو يسألها فى اهتمام:

أية فكرة؟

باغتها السؤال فارتبكت وهى تجيب:

كنت أفضل الاحتفاظ بها سراً و..

قاطعته صيحته الغاضبة:

سراً؟

تضاعف ارتباكها واختلط بشئ من الضيق فى أعماقها عندما وقع بصرها على وجه زميها أيمن من خلف كتف رئيس التحرير وهو يبتسم وكأنما يروق له ارتباكها فاعتدلت فى حزم وهى تقول:

الواقع أنه تحقيق مع شخصية عادية

بدت الدهشة على وجهى رئيس التحرير وأيمن وهتف الأول فى حيرة:

شخصية عادية؟ .. ماذا يعنى هذا؟

أجابته فى حماس مباغت:

إنها فكرة جديدة للغاية .. إننا لن نجرى تحقيقاً حول أحد الشخصيات الشهيرة فى المجتمع .. ولا حول سياسى كبير وإنما سنجرى التحقيق حول شخصية عادية للغاية .. يتم اختيارها عشوائياً من دليل الهاتف .. وسنسعى للإلتقاء بهذه الشخصية والبحث عن هموم ومشاكل المواطن العادى

بدا من ارتفاع حاجبى رئيس التحرير أن الفكرة قد راقت له بالفعل ما دفع سامية إلى أن تستطرد بمزيد من الحماس:

تصور يا سيدى ما ستفعله سلسلة تحقيقات كهذه فى المجتمع عندما يحلم كل شخص فيه بأن يكون هو تلك الشخصية العادية التى تلتقى بها الصحافة .. إنها فكرة جديدة بكل المقاييس يا سيدى

ازداد ارتفاع حاجبى رئيس التحرير وراح يومئ برأسه فى إهتمام وإعجاب ثم لم يلبث الشك أن تسلل إلى نفسه وملامحه وهو يقول:

أخبرينى بكل أمانة .. هل كانت هذه الفكرة معدة مسبقاً أم أنها وليدة اللحظة؟

لم يكد يتم عبارته حتى تراجع أيمن خطوتين إلى الخلف وهتف:

آنسة سامية .. كيف حالك؟ .. لقد درست فكرتك أمس ووجدتها رائعة

التفت إليه رئيس التحرير فى دهشة فاستطرد أيمن مفتعلاً الحماس:

هل أخبرتك الآنسة سامية بفكرة ذلك التحقيق يا سيدى؟ .. إنها فكرة رائعة .. ستلتقى بمواطن عادى عشوائياً و..

قاطعه رئيس التحرير فى صرامة:

لقد أخبرتنى الآن .. ولكن متى أخبرتك أنت؟

أجابه أيمن فى بساطة:

أمس الأول يا سيدى

انعقد حاجبا رئيس التحرير مرة أخرى وهو يقول فى حدة:

كيف هذا؟ .. كيف يعلم محرر فى المجلة فكرة تحقيق جديد قبل أن يعلمه رئيس التحرير نفسه؟

ارتبكت سامية فى حين أجابه أيمن فى سرعة وتلقائية:

لقد كانت تطلب تعاونى يا سيدى

سأله فى دهشة:

تعاونك؟ .. لماذا؟

أجابه مبتسماً:

من الخطر أن تذهب فتاة وحيدة إلى عنوان اختارته عشوائياً من دليل الهاتف

مط رئيس التحرير شفتيه وهو يهز رأسه موافقاً قائلاً:

هذا صحيح

ثم التفت إلى سامية التى بدا الضيق على ملامحها وقال فى حماس:

هيا إذن .. ما الداعى للإنتظار؟

واندفع إلى داخل مكتبه والتقط دليل الهاتف وفتحه عشوائياً وهو يقول:

سنبدأ هنا .. بآخر اسم فى الصفحة اليسرى

هبط بسبابته إلى الصفحة اليسرى وقرأ:

المهندس سليمان صابر .. اسم مناسب لصاحب التحقيق الأول .. وها هو ذا العنوان

التقط ورقة بيضاء وخط عليها العنوان فى سرعة وحماس وناوله إلى أيمن مستطرداً:

هيا .. إننى فى غاية الشوق لرؤية التحقيق الأول

تناول أيمن العنوان وابتسم وهو يقول:

ستراه قريباً يا سيدى

والتفت إلى سامية مستطرداً بابتسامة ضاحكة:

أليس كذلك؟

قطبت حاجبيها وهى تقول فى حنق:

من يدرى؟

نعم .. من يدرى؟

***

انطلقت سيارة أيمن الصغيرة تصعد ذلك الطريق المواجه لقلعة صلاح الدين الأيوبى فى طريقها إلى المقطم حيث يعيش المهندس سليمان وابتسم أيمن داخلها وهو يختلس النظر إلى سامية قائلاً:

ألن نتبادل كلمة واحدة؟

مطت شفتيها وهى تغوص أكثر فى مقعدها وتضرب أرضية السيارة بكعب حذائها الرفيع فى غضب ..

فاتسعت ابتسامته وهو يقول:

ما الذى يغضبك هكذا؟

قالت فى حدة:

لقد سرقت فكرتى

رفع حاجبيه هاتفاً:

فكرتك؟

ثم انفجر ضاحكاً قبل أن يستطرد:

هل صدقت نفسك؟ .. إنها فكرة عشوائية على الرغم من نجاحها ولقد حاولت تأييد كذبتك أمام رئيس التحرير .. وأسئلته هى التى قادتنا إلى هذا الوضع

هتفت محنقة:

هذا لا يمنع أنك قد سرقت فكرتى

قال فى بساطة:

وهل يمنع زواجى منك؟

تخضب وجهها بحمرة الخجل وهى تقول:

هل ستعود إلى هذا الحديث؟

هز كتفيه قائلاً:

ولم لا؟ .. إننى أحبك منذ زمن .. ومازلت أتمنى الزواج منك

اعتدلت فى مقعدها وغمغمت:

-ولكننى لا أرغب فى الزواج

-لماذا؟

-مازلت أصغر من أن أفعل

-إنك فى الرابعة والعشرين

-هل يعنى ذلك أننى قد أصبحت عجوزاً؟

-ليس بعد .. ولكننى أخشى أن يفاجئك هذا قبل أن تتخذى قرارك بالزواج

-ربما .. هذا لا يمنعك من أن تتزوج بأخرى

-لا بأس .. ألديك شقيقة توأم؟

التفتت تتطلع إلى ابتسامته المرحة وتسللت ابتسامة إلى وجهها المخضب بحمرة الخجل وهى تغمغم:

هل تميل دوماً إلى المرح؟

ابتسم فى حنان وهو يجيب:

فى حضرتك فقط

خيل إليها لحظة أن قلبها سيذوب مع ابتسامته وحنانه .. إلا أنها لم تلبث أن انتزعت نفسها من بحر المشاعر هذا وهى تتنحنح قائلة:

ألم نصل بعد؟

لم يبد عليه أدنى ضيق لفرارها من حديث الزواج وكأنما اعتاد هذا وأجاب فى هدوء:

لقد اقتربنا فمن سوء حظنا أن أول شخص يقع عليه اختيار رئيس التحرير يقيم فى منطقة شبة منعزلة فى قمة المقطم..

قاد السيارة فى صمت لدقيقتين حتى عبر المنطقة المأهولة بالسكان ثم أشار إلى فيلا صغيرة تستقر وحدها فوق قمة المقطم بعيدة عن المناطق السكانية الأخرى وقال:

ها هى ذى الفيلا

تمتمت وهو يوقف سيارته إلى جوار الفيلا:

أتعشم أن نجد ذلك المهندس هنا

أجابها وهو يغادر السيارة:

إنه هنا .. ها هو ذا يدفع شيئاً داخل جراج سيارته

اتجه فى خطوات واسعة إلى حيث المهندس سليمان وتبعته سامية فى خطوات أقرب إلى العدو حتى صارا خلف المهندس تماماً فقال أيمن:

أأنت المهندس سليمان صابر؟

اعتدل الرجل بغتة ..

وكأنما فاجأه الصوت واستدار إليهما فى حركة حادة عنيفة واصطدمت نظراته الصارمة بعيونهما..

وفجأة سرت فى جسد سامية قشعريرة باردة مخيفة..

وانطلقت من حلقها شهقة..

شهقة رعب..

***

٢- صورة

لم تكد تلك الشهقة تنطلق من حلق سامية حتى تحفزت كل عضلة من عضلات جسد أيمن وتأهبت للذود عن محبوبته .. إلا أن كل هذا لم يلبث أن ضاع وسط دهشته وهو يتطلع إلى وجه المهندس سليمان .. لقد كان الرجب يبدو محتداً .. غاضباً .. إلا أنه – وبخلاف هذا -لم يكن يحمل أى شئ يدفع صحفية متمرسة مثل سامية لإطلاق شهقة رعب كهذه..

وفى حيرة التفت إلى سامية يسألها:

ماذا هناك؟

بدا له وجهها شاحباً .. غائماً يموج بالرعب والفزع وهى تتطلع إلى وجه المهندس سليمان وتتمتم فى اضطراب:

لقد خيل إلىّ لحظة أنه .. أنه..

تلعثمت واختنقت الكلمات فى حلقها فسألها أيمن فى قلق:

أنه ماذا؟

وهنا قال المهندس سليمان فى حدة:

من أنتما؟ .. وماذا تريدان؟

بقيت سامية صامتة تتطلع إليه فى خوف واضح فى حين ازدرد أيمن لعابه وأجابه:

إننا صحفيان من مجلة (..........) ولقد اخترناك عشوائياً من دليل الهاتف لنجرى معك تحقيقاً حول هموم ومتاعب المواطن العادى و..

قاطعه سليمان فى خشونة:

ليس لدى وقت لمثل هذا الهراء

ازدردت سامية لعابها بدورها وكأنما تحاول استرداد جأشها وقالت:

إنه ليس مجرد هراء يا سيد سليمان .. إنه نوع جديد من التحقيقات و..

قاطعها على نحو أكثر خشونة:

ابحثا عن غيرى فلدى الكثير من العمل

تطلعت إليه فى حيرة فلم يكن من المألوف لديها أن يرفض أى شخص إجراء حوار صحفى تنشره مجلة معروفة..

وفى اهتمام راحت تدرس ملامحه..

كان حليق الوجه فى منتصف الأربعينات من العمر .. له شعر أسود ناعم فاحم .. وفودان وخطهما الشيب..

ولدهشتها بدا لها وسيماً على نحو ما .. حتى أنها تساءلت فى أعماقها عما أصابها بالرعب منه هكذا .. وفى اصرار قالت:

لن نضيع وقتك كثيراً يا استاذ سليمان .. إنك تقيم هنا فى المقطم .. ولا ريب أن لديك بعض المشكلات حتى ولو تعلق ذلك بالمياه والإنارة و..

لوح بكفه فى حدة وهو يقول:

لا .. لا مشكلات

أشار أيمن إلى الصندوق الخشبى الذى كان سليمان يدفعه أمامه وقال:

وماذا عن هذا الصندوق؟ .. ألا يمثل دفعه داخل الجراج مشكلة؟

انقلبت سحنة سليمان بغتة وبدا أشبه بوحش شرس وهو يقول فى حدة:

دعك من هذا الصندوق..

ثم استدار يضغط دائرة حمراء صغيرة فى زاوية الصندوق مستطرداً فى غلظة:

إنه جهاز منزلى خاص

خيل إليهما أن الصندوق قد تألق بضوء فيروزى خافت لجزء من الثانية إثر ضغطة سليمان على الدائرة الحمراء قبل أن يخبو تألقه بأسرع مما ظهر..

***

وبحركة غريزية صحفية اختطفت سامية آلة التصوير الصغيرة من جيبها..

والتمع المصباح الضوئى فى وجه سليمان وهو يلتفت إليها..

وفى ثورة عارمة صرخ سليمان:

ماذا فعلت؟

تراجعت سامية فى رعب وهى تقول"

لقد التقطت صورتك فحسب

اندفعت قبضة سليمان تحيط بمعصمها بغتة وبدت عيناه مخيفتين رهيبتين وهو يضغط معصمها بأصابع من فولاذ قائلاً فى صوت مرعب:

من سمح لك بهذا؟

ارتجف ايمن لمرأى ذلك الرعب الهائل المختلط بألم شديد والذى ارتسم على وجه سامية وسليمان يضغط معصمها..

واندفع أيمن يقول فى حدة وهو يمسك معصم سليمان بدوره:

لا عليك يا رجل .. إنها مجرد صورة

التفت إليه سليمان فى حركة حادة وبدا وكأنه يقيس قوة خصمه قبل أن ينقض عليه .. مما جعل أيمن يتراجع فى حركة غريزية مغمغماً:

إلا إذا كنت تخشى شيئاً

توقف المشهد كله لحظات كصورة ضوئية ثابتة قبل أن تتراخى أصابع قبضة سليمان من حول معصم سامية وهو يقول فى بطء:

لا لست أخشى شيئاً

ثم أضاف فى حدة:

والآن انصرفا

كانت سامية تبدو وكأنها تتطلع إلى شبح حتى أن أيمن قد شعر بالعطف عليها فجذبها من يدها قائلاً:

هيا يا سامية .. من الواضح أن المهندس سليمان لا يرغب فى التعاون مطلقاً

بدت له وكأنما التصقت عيناها بوجه سليمان وقد استحالت إلى تمثال من الرخام البارد فهتف بها فى حدة:

سامية .. هيا بنا

انتفضت وكأنها تستيقظ من نوم عميق وقالت فى اضطراب وهى تشيح بوجهها عن سليمان:

نعم .. هيا بنا

بدت وكأنها تعدو نحو السيارة هاربة من شئ ما ولم يكد أيمن ينطلق بالسيارة حتى قالت فى توتر ملحوظ:

ليس بشرياً

التفت إليها أيمن فى دهشة وهو يقول:

ماذا تقولين؟

صاحت فى حدة:

أقول إن هذا الشخص ليس بشرياً

سألها فى مزيد من الدهشة والقلق:

سامية .. ماذا أصابك يا حبيبتى؟

صرخت فى عصبية أقرب إلى الجنون:

لا تخاطبنى بلقب حبيبتى هذا .. أنت لم تشعر بما شعرت أنا به

عقد حاجبيه وأوقف سيارته إلى جانب الطريق وهو يقول:

وما الذى شعرت به؟

رفعت معصمها أمام عينيه هاتفة فى انهيار:

هذا

واتسعت عيناه فى ذهول..

لقد كانت على معصمها آثار أصابع خمس..

محترقة....

***

٣- الشئ

رفع طبيب المجلة عدسته المكبرة وهز رأسه فى حيرة وهو يغمغم:

مستحيل يا آنسة سامية .. مستحيل تماماً

قالت سامية فى عصبية:

ما هو هذا المستحيل؟ .. لقد رويت لك كل ما حدث ولقد شاهد أيمن كل لحظة منه

هز الطبيب رأسه فى إصرار وهو يقول:

ولو .. لا يمكنك خداع طبيب فى هذا الشأن .. ما من بشرى مهما بلغت قوته يمكنه أن يترك مثل هذه الآثار فى معصم بشرى آخر

وأشار إلى آثار الأصابع الخمسة المحترقة وهو يستطرد:

إن هذا الذى أمامى عبارة عن خمس حروق من الدرجة الثانية حدثت بفعل شئ ملتهب

قالت سامية فى حدة:

ليس شيئاً أيها الطبيب .. إنه شخص مثلى ومثلك

هز رأسه فى عناد قائلاً فى حزم:

مستحيل .. مستحيل .. مستحيل

بدا الغضب على وجه أيمن وهو يقول:

ولكننى رأيت ما حدث

رفع الطبيب سبابته أمام وجهه وقال:

رأيت رجلاً يمسك معصم زميلتك ولكن قد يكون هذا الرجل مرتدياً قفازاً مثلاً لوثته بعض الأحماض المركزة أو..

قاطعته سامية:

لم يكن يرتدى قفازات .. بل على العكس كانت يده باردة كالثلج

حدق الطبيب فى وجهها لحظة ثم ابتسم قائلاً:

إذن فقد صنعت أصابعه الباردة كالثلج تلك الآثار المحترقة .. أليس كذلك؟

زفرت فى سخط وهى تقول:

لا فائدة .. إنك لن تصدقنى ابداً

ابتسم الطبيب فى دهاء وهو يقول:
وهل من المفروض أن أفعل .. وأن أحتسبها إصابة عمل
صاحت فى غضب:
وهل تتصور أن كل ما أسعى إليه هو أن أحتسبها إصابة عمل؟
قال الطبيب فى صرامة:
لست أظن شيئاً .. سنحيط هذه الحروق بالضمادات اللازمة .. ونمنحك المضاد الحيوى الملائم وينهى كل شئ
غمغمت فى حنق:
يا لها من رعاية طبية
لم تفه بحرف واحد حتى انتهى الطبيب من تضميد حروقها وأعطاها تذكرة طبية بالأدوية المطلوبة وغادرت عيادة الجريدة فى غضب
فابتسم أيمن مشفقاً وهو يقول:
لا عليك .. إنها قصة أغرب من أن يصدقها شخص لم يرها بعينيه
التفتت إليه بغتة تسأله:
ما رأيك أنت؟
سألها فى دهشة:
فيما فعله الطبيب؟
قالت فى حزم:
لا .. فى الموقف كله
تردد لحظة ثم قال:
الواقع أن الموقف كله مثير للحيرة
قالت فى اندفاع:
بل هو أمر خارق للطبيعة

وأضافت وهى تلوح بيدها فى حزم:
هذا المهندس سليمان ليس بشرياً
ضحك فى ارتباك وهو يقول:
ما هو إذن؟ .. جنى؟

هزت كتفيها قائلة:

ربما

تطلع إليها لحظة وقال:

سامية إنك تقلقينى

بدا وكأنها لم تسمعه وهى تقول فى حماس:

لابد أن نعود إلى المقطم .. لدى عشرات الأسئلة التى ينبغى أن يجيب عنها ذلك المهندس

ربت على كتفها وقال محاولاً تهدئتها:

إنه لن يجيب أية أسئلة

هتفت فى عصبية:

سيفسر لى ما فعله بمعصمى على الأقل

ربت على كتفها فى حنان مرة أخرى وقال:

لا بأس يا سامية .. سنذهب إليه صباح الغد فلقد هبط الظلام الآن وأنت تحتاجين إلى الراحة

***

وبذل جهده ليبتسم وهو يستطرد:

أظن أن أفضل ما نفعله الآن هو أن أوصلك إلى منزلك

مطت شفتيها فى حنق وتمتمت:

فليكن

ثم استطردت فى حدة:

ولكننا سنذهب إليه فى المقطم فور استيقاظنا غداً

ابتسم مغمغماً:

أعدك بهذا

قادها فى رفق إلى سيارته وانطلق بها إلى منزلها دون أن يتبادلا حرفاً واحداً حتى توقف امام المنزل وقال فى خفوت وكأنه يخشى تمزيق أستار الصمت السائدة بينهما:

لقد وصلنا

كانت تغوص فى مقعدها كعادتها كلما جلست إلى جواره فى سيارته

فاعتدلت فى جلستها وتمتمت:

حسنا

ثم انتزعت شريط التصوير من آلة التصوير الخاصة بها وناولته إياه قائلة:

حاول أن تظهر الصورة الى التقطناها له هذا الصباح فى أقرب فرصة

التقط الشريط السلبى وألقاه فى جيب سترته وهو يبتسم قائلاً:

سأفعل اطمئنى

ابتسمت ابتسامة شاحبة وغادرت السيارة فى بطء فهتف بها:

سامية

التفتت إليه متسائلة فأضاف مبتسماً:

أحبك

تخضب وجهها بحمرة الخجل وهى تغمغم:

يا لك من عابث

ولوحت له بكفها ثم اتجهت نحو المنزل فى خطوات واسعة فابتسم متمتماً:

ويا لك من فاتنة

لم يكد يدير محرك سيارته حتى انقطع التيار الكهربى فى المنطقة كلها بغتة وانطلقت شهقة رعب من سامية جعلته يقفز خارج السيارة ويعدو إليها كالصاروخ ووسط الظلام الدامس عثر عليها ترتجف فى رعب فهتف بها:

ماذا حدث؟

غمغمت وهى تمسك معصمها فى قوة:

لقد انقطع التيار بغتة

قال فى إشفاق:

يبدو أن أعصابك مضطربة فى شدة فهذا أمر شائع الحدوث ولا يستحق كل هذا الرعب

غمغمت متوترة:

هذا لو أن الأمر يقتصر على الظلام

سألها فى قلق بالغ:

ماذا هناك أيضاً

رفعت يدها أمام وجهه فاتسعت عيناه فى دهشة بالغة .. وخفق قلبه فى قوة .. فعلى الرغم من الأربطة والضمادات كانت آثار الأصابع الخمسة واضحة..

ولامعة كنيران مشتعلة..

نيران أوقدها ذلك الشئ..

***

٤- زائر الليل

ابتسمت أم سامية فى وجه ابنتها وهى تسألها فى لهجة روتينية مفعمة بالحنان والحب:

هل كان يومك جيداً؟

أجابتها سامية فى عصبية:

كان مرهقاً

قالت الأم مشفقة:

تذكرى أنك أنت اخترت مهنة الصحافة

زفرت سامية فى حنق وغمغمت:

من سوء حظى

ثم اتجهت نحو حجرتها مضيفة:

لن أتناول العشاء الليلة .. سآوى إلى فراشي على الفور .. فأنا أحتاج إلى نوم عميق

أغلقت باب حجرتها خلفها وألقت جسدها على فراشها دون أن تبدل ثوبها وراحت تسترجع أحداث ذلك اليوم العصيب..

لقد بدأ رعبها مع التفاتة ذلك المهندس إليها..

لوهلة لم يبد لها بشرياً..

لقد رأت أمامها وجهاً أحمر اللون وعينين كجمرتين ملتهبتين مرعبتين..

وتلاشى ذلك المشهد بغتة وعاد الرجل يبدو لها عادياً..

ثم هناك أصابعه المحترقة التى تتألق فى الظلام..

لقد كادت تفقد وعيها رعباً عندما رأت آثار أصابعه تتألق ولم يجد أيمن تفسيراً لذلك ولكن المشهد العجيب زاده إصراراً على أن يتوجها إلى المهندس سليمان فى الصباح الباكر..

راحت تستعيد الأحداث مرات ومرات والنوم يتسلل إلى جفنيها فى بطء..

وفجأة اختفت الجدران من حولها..

ووجدت نفسها فى صحراء جرداء واسعة لا نهاية لها..

أرضها من حصى أحمر اللون..

السماء فى نهايتها تتألق كنيران مشتعلة..

وراحت سامية تدير عينيها فيما حولها فى رعب وهى تهتف:

أين أنا؟ .. ما الذى أتى بى إلى هنا؟

وفجأة التقت عيناها بوجه مخيف..

رهيب..

مرعب ..

نفس الوجه الأحمر ونفس العينين المشتعلتين..

وتراجعت فى ارتياع وذلك الشئ المخيف يمد أصابعه المعروقة ذات الأظفار الملتهبة إليها ويقول فى غضب صارم رهيب:

أين الصورة؟

أجابته وهى ترتجف رعباً:

ليست معى .. أقسم لك أنها ليست معى

اشتعلت عيناه غضباً وهو يصرخ:

أين الصورة؟

ثم دفع أحد أظفاره فى كتفها اليسرى وخيل إليها أن خنجراً من اللهب قد أصاب ذلك الموضع فأطلقت صرخة مدوية..

وراحت تصرخ..

وتصرخ ..

وتناهى إلى مسامعها صوت يهتف:

استيقظى يا ابنتى .. استيقظى

وفجأة تلاشت الصحراء الملتهبة وعادت جدران الحجرة تحيط بها وبدا لها وجها أمها وأبيها وهما ينحنيان نحوها والأب يقول فى قلق بالغ:

ماذا حدث يا ابنتى؟ .. ماذا حدث؟

تلفتت حولها فى رعب حتى اطمأنت إلى أنها حقاً داخل حجرتها فأجهشت بالبكاء وراحت تهتف بين ذراعى أمها:

إنه كابوس يا أماه .. كابوس بشع

ضمتها أمها إلى صدرها فى حنان وإشفاق ثم لم تلبث أن أبعدتها فى دهشة هاتفة فى جزع:

ماذا أصاب كتفك يا بنيتى؟

لحظتها فقط شعرت سامية بذلك الألم فى كتفها فى نفس الموضع الذى غرس فيه ذلك الشئ أظفره المشتعل..

وعندما كشفت عن كتفها كانت تنتظرها مفاجأة مرعبة..

لقد كانت هناك بقعة من الدم تلوث كتفها وقميصها..

وكان هناك أثر لجرح صغير محترق..

جرح أحدثه أظفر صغير مشتعل..

***

لم ير أيمن فى حياته كلها سامية شاحبة وممتقعة مثلما رآها فى صباح اليوم التالى فى مبنى المجلة..

لقد إلتقيا هناك فى الثامنة والنصف صباحاً ولم يكد بصره يقع عليها حتى هتف:

يا إلهى .. ماذا أصابك؟

هزت رأيها وزفرت فى توتر وهى تقول:

لن تصدقنى أبداً

ابتسم مغمغماً فى اشفاق:

يمكننى أن أحاول

زفرت مرة أخرى وقالت:

لقد زارنى ذلك الشئ فى نومى

عقد حاجبيه يسألها فى حيرة:

أى شئ؟

لوحت بكفها مغمغمة فى توتر:

الشئ الذى يحمل اسم سليمان صابر

سألها فى اهتمام:

أتعنين أنك قد حلمت به

هزت رأسها نفياً وهى تقول فى رعب:

لا .. لم يكن حلماً .. إلا لو كانت الأحلام تسبب الحروق والجروح

وراحت تروى له ما رأته كله .. وهو يستمع إليها فى دهشة بالغة ثم لم يلبث أن قطب حاجبيه وقال فى توتر:

هل سألك عن الصورة؟

سألته فى قلق:

أما زلت تحتفظ بالنسخة السلبية؟

قال فى حزم:

بكل تأكيد

ثم شرد ببصره لحظات قبل أن يضيف:

أظننا نحتاج إلى إجراء بعض التحريات أولاً .. قبل أن نلتقى بذلك المهندس مرة أخرى يا سامية

سألته فى قلق:

مثل ماذا؟

أجاب فى لهجة حاسمة:

سأخبرك ونحن فى الطريق إليه أما الآن فسأعطى النسخة السلبية لـ حسام لتحميضها وإظهارها وطبعها حتى نعود إليه .. هيا بنا

سألته فى توتر وهو يقودها إلى الخارج:

إلى أين؟

أجابها فى حزم:

سنتأكد أولاً مما إذا كان هناك وجود حقيقى للمهندس سليمان صابر أم ..

صمت لحظة ثم أضاف فى صرامة:

أم أن كل هذا مجرد وهم

***

٥- "ها هو ذا"

نطقها موظف السجل المدنى فى ارتياح وهو ينتزع ورقة تحمل صورة المهندس سليمان وكل البيانات المتعلقة به فالتقطت سامية الورقة فى لهفة وهتفت:

مستحيل

سألها أيمن فى اهتمام:

هل هناك صورة مختلفة؟

قالت فى توتر:

على العكس .. إنها صورته ولكن هناك شئ يختلف

سألها:

أى شئ؟

أجابته:

انظر إلى هذه الصورة .. إن ملامح صاحبها تشى بالوداعة والرقة وطيبة القلب .. حتى أنه يبدو شخصاً آخر تماماً بخلاف ذلك الشرس العدوانى الذى التقينا به هناك

تطلع إلى الصورة لحظات ثم غمغم:

هذا صحيح

ثم نهض قائلاً:

هيا بنا

تبعته وهى تسأله:

إلى أين؟

قادها إلى سيارته وانطلق بها وهو يقول:

سنذهب إلى حيث يعمل المهندس سليمان

وأضاف فى حزم:

إن رحلة البحث لم تنته بعد

***

"بدا الغضب على وجه مدير المكتب الذى يعمل به سليمان وسأل أيمن فى حنق:

أتسألنى عن سليمان صابر .. أأنتما قريبان له؟

أجابه أيمن فى هدوء:

هذا صحيح ونحن نبحث عنه

لوح الرجل بذراعيه فى سخط وهو يهتف:

أخبرانا عندما تعثران عليه إذن .. فلقد ترك العمل منذ يومين دون أن يعتذر أو يبلغنا بسر غيابه وها هو ذا اليوم الثالث يبدأ دون أن نعلم عنه شيئاً

عقد أيمن حاجبيه وهو يقول:

هكذا؟

صاح به الرجل محنقاً:

نعم .. هكذا

لم يسأله أيمن شيئاً آخر وإنما قال لسامية وهما ينطلقان بسيارته إلى مبنى المجلة

يبدو أن سليمان صابر هذا يخفى سراً رهيباً

تمتمت فى رهبة:

ومخيفاً

تطلع إليها لحظة ثم عاد يعتدل مراقباً الطريق وهو يسألها:

أتتوقعين أن تقودنا الصورة إلى شئ ما؟

غمغمت:

-بالتأكيد

-مثل ماذا؟

-لست أدرى

-أهو شئ ما يخفيه فى هيئته؟

-أو هو هيئته نفسها

اكتفيا بهذا القدر من الحديث حتى بلغا مبنى المجلة فأسرعا يستقلان المصعد إلى حيث حجرة التصوير واستقبلهما حسام خارجها وهو يقول:

ما الذى جذب اهتمامكما بشأن هذه الصورة؟ .. إنها صورة عادية للغاية وسخيفة أيضاً

سألته سامية:

ألم يبد لك وجه الرجل فيها مثيراً للإهتمام؟

تطلع إليها حسام فى دهشة وهو يقول:

وجه الرجل؟ .. أى رجل؟

ثم التقط الصورة ووضعها أمام عيونهما مستطرداً:

إنها مجرد صورة لجراج خال

حدق الاثنان فى الصورة فى ذهول ..

لقد كانت الصورة لجراج فيلا سليمان صابر بالفعل..

ولكنها لم تكن تضم سليمان أو الصندوق..

كانت صورة خالية..

خالية تماماً..

٦- تسلل

غاصت سامية فى مقعد السيارة المجاور لمقعد القيادة وانكمشت كثيراً وهى تراقب الطريق الصاعد إلى المقطم وقد مالت الشمس إلى الغروب ولاذت هى بالصمت التام إلى أن سألها ايمن فى خفوت:

هل تشعرين بالخوف؟

تمتمت:

إلى حد ما

ثم التفتت إليه تسأله:

وماذا عنك؟

ابتسم ابتسامة باهتة وهو يجيب:

أشعر بالخوف عليك فحسب

ران عليهما الصمت لحظات ثم قالت هى فى صوت خفيض:

هل تعلم ما الذى سأفعله لو انتهى الأمر على ما يرام؟

أجابها فى هدوء:

ستتزوجينى

عقدت حاجبيها وهى تقول فى حدة:

لست أجد فى نفسى الرغبة فى المزاح

تمتم فى رقة:

لا بأس .. أردت تلطيف الجو فحسب

شعرت بتأنيب الضمير فقالت:

معذرة .. يبدو أننى متوترة بحق

أوقف سيارته على بعد أمتار قليلة من الفيلا والتفت يسألها:

هل نطرق الباب؟

قالت فى توتر وهى تغادر السيارة:

لا .. سننفذ خطتنا

التقط مصباحاً ضوئياً وتبعها على أطراف أصابعه هامساً:

أتعلمين أننا سنرتكب مخالفة قانونية هكذا؟

همست:

أعلم..

ولكن الوسيلة الوحيدة لمعرفة طبيعة ذلك الصندوق العجيب الذى لا تلتقطه الصور الضوئية هو وصاحبه هى اقتحام ذلك الجراج خلسة

راحا يدوران حول الجراج حتى كشفا وجود نافذة جانبية عالجها أيمن

بعض الوقت حتى استجاب رتاجها وانفتحت على مصراعيها فهمس:

هيا .. سأذهب أنا أولاً

قفز عبر النافذة إلى داخل الجراج وهمس بها:

اتبعينى

دفعت جسدها الضئيل عبر النافذة بدورها وهمست فى خوف:

لم لا تضئ المصباح؟ .. ذلك الظلام الدامس يملأ قلبى بالرعب

أضاء مصباحه اليدوى وراح يدير ضوءه فى المكان حتى وقع على ذلك الصندوق الكبير فهتفت سامية:

ها هو ذا

أخرجت آلة التصوير فى سرعة وراحت تلتقط عدة صور للصندوق من جميع الاتجاهات ثم قالت:

ترى أى شئ يحتويه هذا الصندوق؟

اتجه نحو الصندوق وهو يقول:

دعينا نرى بأنفسنا

راحا يفحصان الصندوق طويلاً ثم هتفت سامية فى حيرة ودهشة:

عجباً .. إنه يبدو لى أشبه بكتلة مصمتة من الخشب بلا فتحات أو أقفال فيما عدا تلك الدائرة الحمراء فى

زاويته..

وقفا يتطلعات إلى الصندوق فى حيرة..

ثم ألقى أيمن بقعة الضوء على ركن آخر من أركان الجراج وقال:

هناك صندوق آخر

اتجها إلى ذلك الصندوق الآخر الذى بدا مستطيلاً قصيراً يختلف فى مادته وهيئته كثيراً عن الصندوق الأول .. وغمغمت سامية:

هذا الصندوق له غطاء واضح على الأقل ..

انحنى أيمن وفحص الغطاء وقال:

ولا توجد أقفال

ثم رفع غطاء الصندوق وألقى مصباحه داخله..

وتراجعت سامية فى رعب..

وأطلقت صرخة قوية..

لقد كان الصندوق يحوى جثة رجل..

جثة المهندس سليمان صابر..

***

تراجع أيمن بدوره فى ذعر وأمسك كتفى سامية فى قوة وهو يهتف:

كفى يا سامية .. كفى

كانت أعصاب المسكينة قد انهارت تماماً .. فراحت تطلق صرخات مخيفة عالية .. مما أضطر أيمن إلى أن يهوى على وجهها بصفعة قوية ارتج لها كيانها كله قبل أن تحدق فى وجهه فى ذهول ثم تنفجر باكية بين ذراعيه..

وفى حنان شديد راح أيمن يربت على كتفيها وهو يقول:

رويدك يا حبيبتى .. رويدك .. سينتهى كل شئ على ما يرام بإذن الله .. سينتهى كل شئ على ما يرام

انتحبت فى شدة وهى تقول:

هل رأيته يا أيمن ... إنه قتيل .. قتيل

انبعث من خلفهما صوت بارد كالثلج يقول:

بل هو فى سبات عميق فحسب

التفتا إلى مصدر الصوت فى ذعر فى نفس اللحظة التى أضيئت فيها أنوار الجراج..

وأطلقت سامية شهقة ذعر أخرى..

لقد كان يقف أمامهما شخص .. أو شئ .. هو صورة طبق الأصل من المهندس سليمان صابر .. الذى يرقد داخل الصندوق فيما عدا أن ذلك الواقف كان يملك عينين كجمر مشتعل..

ومضت لحظات من صمت مشوب برعب وذهول وخوف قبل أن يحيط أيمن كتفى سامية بذراعه ويقول لذلك الواقف فى حدة:

من أنت إذن؟ .. إنك لست المهندس سليمان

وتمتمت سامية فى رعب:

بل ما أنت؟

حدجهما ذلك الشئ بنظرة نارية مخيفة قبل أن يقول فى صوت رهيب مخيف بدا وكأنه يأتى من اعماق الجحيم:

لقد أتيتما فى لحظة غير مناسبة ... كان ينبغى أن تؤجلا حضوركما يومين فقط

سأله أيمن فى حيرة:

وما الذى كان يفترض حدوثه لو فعلنا؟

أشار الشئ إلى صدره والتمعت عيناه ببريق مخيف وهو يقول بصوته الرهيب:

كان كوكب الأرض سيصبح ملكنا

ردد أيمن وسامية فى آن واحد:

ملككم؟

ثم هتف أيمن مستطرداً:

ومن أنتم؟

كشر ذلك الشئ عن أنيابه وهو يقول:

لا داعى لأن تعرف .. إنك لن تفهم أبداً .. لن يفهم أحدكما

ثم رفع يده التى استحالت إلى يد حمراء معروقة تبرز منها نفس الأصابع المشتعلة التى رأتها سامية فى حلمها واستطرد فى شراسة:

يكفى أن تموتا لتنتهى المشكلة كلها

وأطلقت سامية صرخة رعب هائلة .. عندما رأت تلك الأصابع المشتعلة تنقض عليها..

ومعها الموت..

***

٧- المواجهة

لم تتصور سامية أبداً أن أيمن يمكنه أن يقاتل .. والواقع أنه هو أيضاً لم يتصور فى نفسه هذه المقدرة .. ولكن يبدو أن الحب شئ رائع بالفعل..

لقد رأى أيمن ذلك الشئ ينقض على الفتاة التى تحتل قلبه .. فاندفع بلا تفكير يدفعها بعيداً عن المخالب المشتعلة وهو يهتف:

ابتعدى يا سامية

وألقتها دفعته بعيداً ولكن المخالب هوت على كتفه هو فمزقت سترته وقميصه ولحمه..

وسالت الدماء الدافئة على كتفيه وذلك الشئ يقول إذن فأنت ترغب فى أن تكون أول ضحايانا من البشر .. فليكن

وانقض عليه مرة أخرى وحاول أيمن أن يقفز مبتعداً ولكن المخالب المشتعلة خمشت صدره هذه المرة ومزقت ثيابه وأدمته..

وتراجع الشئ قائلاً:

ما رأيك؟ .. أنت أم الفتاة؟

أجابه أيمن فى حدة:

لن تمس شعرة واحدة من رأسها وأنا على قيد الحياة

حدجه ذلك الشئ بنظرة نارية وهو يقول:

عجيب أمركم يا بنى البشر مازلتم تدهشوننى بعواطفكم هذه

ثم أخرج من جيبه كرة مضيئة وقال:

وهذا يدفعنى إلى إنهاء القتال بسرعة أكبر

قفز أيمن جانباً هذه المرة فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها من الكرة حزمة من أشعة حمراء أصابت نفس الموضع الذى كان يقف فيه أيمن فقال الشئ فى برود:

لن تفلت إلى الأبد

وهنا قفزت سامية وركلت الكرة من يد الشئ هاتفة:

هذا لو بقى سلاحك فى قبضتك

سقطت الكرة وتدحرجت إلى ركن الجراج والتفت الشئ إلى سامية

وهو يقول فى غضب:

لقد حكمت على نفسك بالإعدام أيتها البشرية

وقبل أن تقفز مبتعدة قفزت يده تقبض على معصمها فى قوة فصرخت فى رعب:

انقذنى يا أيمن

اندفع أيمن نحو ذلك الشئ وتعلق برقبته هاتفاً:

اتركها أيها الحقير

ولكن الشئ دفع مرفقه إلى الخلف وغاص به فى معدة أيمن الذى شعر وكأن مطرقة هائلة من الصلب قد أصابت معدته .. ودفعته إلى الخلف فى قوة .. والشئ يلتفت إلى سامية مرة أخرى ويرفع كفه الثانية ويفرد أصابعها ذات المخالب المشتعلة عن آخرها قائلاً:

أتعلمين ما الذى سأفعله بك أيتها الأرضية؟..

سأدفع يدى فى صدرك وأنتزع قلبك وأحتفظ به كذكرى أول بشرى يلقى حتفه على ايدينا هنا

صرخت سامية:

النجدة يا أيمن .. النجدة

ولم يشعر أيمن بالعجز فى حياته كلها مثلما شعر به فى تلك اللحظة وهو يواجه ذلك الموقف..

ولكن لا..

لقد وقع بصره على الكرة العجيبة الملقاة فى ركن الحجرة فاندفع إليها والتقطها فى راحته ثم صوبها نحو الشئ وتملكته الحيرة..

ما الذى ينبغى أن يفعله لإطلاق الأشعة منها؟

إنها لا تحوى أية أزرار أو أجزاء..

فقط كرة مستديرة من قطعة واحدة..

وشاهد يد الشئ ترتفع..

والمخالب تزداد اشتعالاً..

وسامية تصرخ طالبة النجدة..

ثم هوت يد الشئ على صدر سامية..

وصرخ هو:

لا .. لا

ومع صرخته اعتصرت قبضته الكرة..

وانطلق ذلك الشعاع الأحمر ..

وأصاب هدفه..

وتراجع ذلك الشئ متخلياً عن سامية وهو يطلق صرخة مدوية رهيبة .. لم يسمع بشرى مثلها من قبل ..

واستدار الشئ يتطلع إلى أيمن فى غضب هائل .. ثم اتجه نحو الصندوق المصمت وهو ينتحب أو يطلق صوتاً أشبه بالنحيب..

وفى دهشة بالغة تطلع إليه أيمن وسامية وهو يلصق جسده بالصندوق ويهتف:

لقد فشلت العملية .. فشل الغزو كله

وفجأة ومض جسد الشئ فى قوة وتألق الجراج كله بوميض أحمر مخيف وصرخت سامية:

انظر إليه

اتسعت عينا أيمن عن آخرهما عندما رأى الشئ يفقد هيئته البشرية وسط ذلك الوميض الأحمر ويتحول إلى مسخ يشبه ذلك الذى رأته سامية فى كابوسها..

ثم اختفى كل شئ بغتة..

وعاد الظلام يسود الجراج..

وهتفت سامية .. ماذا حدث؟

أجابها فى توتر .. وهو يشاركها اللهاث من فرط التعب والانفعال والألم:

لست أدرى .. ربما استهلك كل الطاقة

اتجه يتحسس طريقه إلى حيث مفتاح الإضاءة وأضاء مصباح الجراج

وهو يقول فى حيرة:

لقد كان المصباح مطفأ .. من أين كان يأتى ذلك الضوء إذن؟

زفرت فى توتر وألقت جسدها أرضاً وهى تغمغم:

ليس هذا هو الشئ الوحيد الذى يحتاج إلى تفسير

ثم أطلقت ضحكة عصبية مستطردة:

هل تصدق أن كل هذا بدا بفكرة إجراء تحقيق مع شخص عادى؟

غمغم مشدوهاً وهو يحدق فى البقعة التى اختفى فيها الصندوق والشئ:

شخص عادى؟ .. يا إلهى

سألته فى توتر:

أى شئ كان هذا فى رأيك؟ .. مخلوق من كوكب آخر أم عفريت من الجن؟

هز رأسه مغمغماً:

من يدرى؟ .. كلاهما قد يرغب فى احتلال الأرض

أومأت برأسها موافقة ثم أشارت إلى حيث يرقد جسد سليمان وتمتمت:

من يدرى؟ .. لم يعد هذا يهمنى كثيراً

ثم أضاف وهو يعاونها على النهوض:

المهم الآن هو أن نرحل من هنا

غمغمت:

صدقت

غادرا الجراج من بابه هذه المرة وألقت سامية نظرة أخيرة على الفيلا قبل أن تدلف إلى السيارة قائلة:

أتظن أحداً يصدق قصتنا؟

ابتسم قائلاً:

لا .. ولا رئيس التحرير نفسه

ثم انطلق بالسيارة مستطرداً:

ولكنني على استعداد لإقناعه لو قبلت الزواج مني

ضحكت في مرح وهي تقول:

أما زلت تصر على الحديث عن هذا الأمر؟

هز كتفيه مرة أخرى قائلاً:

ولم لا؟

ابتسمت قائلة:

لدي وسيلة مضمونة لمنعك من التحدث عنه

سألها في اهتمام:

ما هي؟

تخضب وجهها بحمرة الخجل وهي تغمغم:

سأقبل الزواج منك

صرخ في سعادة:

مستحيل

وعندما كانت السيارة تبتعد بهما وقد انتهت مغامرتهما المذهلة على هذا النحو كان الجسد الراقد في الصندوق الآخر يفتح عينيه ثم ينهض في بطء ويغادر الصندوق ثم يغلقه في احكام ويعتدل في وقفته ثم تشتعل عيناه كجمرتين ملتهبتين وهو يقول عبر جهاز مستطيل صغير:

لقد فشل (آراك ٦٠٠) في آداء مهمته وتلاشى مع محرك الانتقال ..

وسأحل أنا (آراك ٧٠٠) محله .. في انتظار محرك انتقال آخر لبدء الغزو..

واتجه في هدوء نحو الفيلا..

فيلا سليمان صابر..

***

تمت بحمد الله

القصة التاسعة

جريمة وزير

جريمة وزير



"مكتب خاص، في رئاسة الجمهورية؟. . " . . !

هتف "عزت"، مساعد الدكتورة "نهير"، الطبيبة الشرعية، وإخصائية مسرح الجريمة بالعبارة، في دهشة، أقل ما يقال عنها إنها مذعورة، وهو يحدِّق في وجه هذه الأخيرة في ارتياع عجيب، أجبرها على أن تبتسم، وهي تقول



-نعم.. هو ما سمعته بالضبط.. لقد تلقيت الاستدعاء، منذ ساعة واحدة، والمفترض أن نتسلم عملنا، بعد ساعة واحدة أخرى.

اتسعت عيناه في هلع، وهو يهتف:
نتسلم؟!.. من تعنين بصيغة الجمع، في عبارتك هذه؟. !
مالت نحوه، مجيبة، وابتسامتها تتسع:
-لقد اخترتك، مساعداً دائماً لي هناك.
تضاعف اتساع عينيه، وجفَّ حلقه، وهو يقول:
-في القصر الجمهوري؟!
أومأت برأسها إيجاباً، فامتقع وجهه بشدة، وبدا وكأن ساقيه تعجزان عن حمله، وهو يبحث عن مقعد قريب، بأيد مرتجفة، فأسرعت تجذب مقعداً، وتدفعه نحوه، ليلتقطه، ويلقي جسده عليه، وهو يلهث، قائلاً، في صوت أقرب إلى البكاء:
-لماذايا دكتورة؟!.. لماذا وضعتني في هذا الموقف؟!
قالت في دهشة:
-أي موقف؟ . . !كنت أتصوَّر أن هذا سيسعدك!.. انتدابنا للعمل في القصر الجمهوري، يعني بدلات أكثر، و. . .
قاطعها في عصبية:
-وحذر أكثر، وتوتر أكثر، وأمن، وحراسة، وتصاريح خاصة، وتحركات محسوبة.. لا.. إنني أفضل وظيفتي الحالية.
شعرت بقلق حقيقي، وهو تقول:
-هل تعني حقاً أنك تفضل أن. .

قبل أن تطرح سؤالها بالكامل، فوجئ الاثنان بمدير المصلحة يقتحم معملهما، دون أن يطرق الباب كعادته، وهو يقول في عصبية، ليس لها ما يبررها:
-أين أنت يا دكتورة "نهير".. سيارة رئاسة الجمهورية تنتظركما بالخارج، ولقد أرسلوا أحد رجال الأمن الخاص لاصطحابكما.
عادت عينا" عزت" تتسعان، ووجهه يمتقع، وهو يرتجف، قائلاً:
-أرأيت؟!
نقلت "نهير "بصرها، بينه وبين المدير، قبل أن تقول لهذا الأخير، في شيء من العصبية:
-ولماذا العجلة؟!.. المفترض أن. .
قاطعها صوت حازم قاس، يقول في صرامة:
-المفترض أن ننصرف معاً، في أسرع وقت ممكن.

التفتت إلى مصدر الصوت بحركة حادة، فارتطم بصرها برجل أمن طويل القامة، عريض المنكبين، حاد النظرات، استطرد بنفس الصرامة، وهو يعقد كفيه خلف ظهره :

-مكتب فخامة الرئيس في انتظارنا.. فوراً .

التقى حاجبا "نهير" في توتر، وهي تتساءل :

-ولماذا فوراً؟!.. المفترض أنه مكتب دائم !

لم يجب رجل الأمن تساؤلها، ولكن الجواب جاءها، عندما واجهت الموقف الفعلي، الذي تم انتدابها من أجله، للعمل في القصر الجمهوري . .

ففي إحدى الوزارات، حدثت جريمة قتل . . !

المسئول المالي للوزارة، أطلقت على رأسه رصاصة . .

في مكتب الوزير . .

إلى هنا، والجريمة، على الرغم من غرابتها، ممكنة الحدوث، لولا أمر واحد . .

أن المتهم بالقتل هنا هو الوزير . .

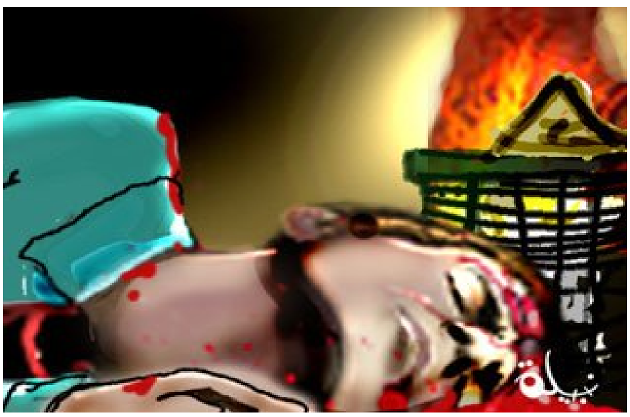
شخصياً . .

وعلى الرغم مما يمكن أن يثيره هذا، من دهشة واستنكار، ومما أصاب "عزت" من عصبية ظاهرة، بدت "نهير" متمالكة جأشها تماماً، وهى تقول لرئيس الديوان، الذي شرح لها الموقف :

-قبل فحص مسرح الجريمة، أريد معرفة ملابسات الحادث بالضبط .

كان من الواضح أن رئيس الديوان شديد التوتر، وهو يقول :

-روى شهود الحادث أن المسئول المالي للوزارة بدا شديد العصبية هذا الصباح، وطلب مقابلة الوزير، قبل أن يبدأ برنامجه اليومي، أو يطالع بريده، على عكس المألوف، وكان يلوِّح بملف في يده، أشار إلى أنه سيقلب الدنيا كلها رأساً على عقب، وعندما سمح له الوزير بالمقابلة، اصطحبه مدير المكتب إلى حجرة الوزير، وسمع الجالسون في الخارج نقاشاً حاداً، أعقبه دوي رصاصة، فاندفعوا إلى الحجرة، ليجدوا المسئول المالي غارقاً في دمه، والوزير خلف مكتبه، وإلى جواره مدير مكتبه، يمسك مسدساً، يتصاعد الدخان من فوهته



غمغم "عزت" في عصبية :

-أظن الأمر يبدو واضحاً، و . . .

قاطعته "نهير" بإشارة صارمة من يدها، وهي تقول في حزم :

-الأفضل ألا تتسرَّع بآراء مبكرة، قبل معرفة كافة التفاصيل والملابسات .

أشار إليها رئيس الديوان، قائلاً :

-بالضبط.. فالمشكلة أن مدير المكتب ألقى المسدس من يده، فور دخول رجال الأمن والزائرين لحجرة الوزير، وهتف يتهم الوزير نفسه بقتل المسئول المالي، وأشار إلى أوراق تلتهمها النيران، في سلة المهملات، وأكَّد أنها ذلك الملف، الذي كان يحمله المسئول المالي، والذي كان يحوي ما يثبت فساد الوزير، وتقاضيه ملايين الجنيهات، على سبيل الرشوة .

التقى حاجبا "نهير" أكثر، وهي تغمغم :

-والمسدس يمتلكه الوزير بالطبع .

ارتفع حاجبا رئيس الديوان، وهو يهتف في دهشة مبهورة :

-كيف استنتجت هذا؟ !

هزت كتفيها، قائلة :

-تتابع الأحداث المنطقي أوحى به .

أومأ برأسه موافقاً، وقال :

-الوزير أنكر التهمة بالطبع، وقال: إن المسدس كان على سطح مكتبه، وأن المسئول المالي اتهم مدير مكتبه، وليس هو، بالفساد والرشوة، فاختطف مدير المكتب الملف، وألقاه في سلة المهملات، وأشعل فيه النار، وهنا اشتبك معه المسئول المالي، محاولاً إنقاذ الملف، فاختطف المسدس، وأطلق النار على رأسه، وأرداه قتيلاً .

بدا الشك على ملامح " عزت"، ونقل بصره في عصبية، بين "نهير" ورئيس الديوان، فقالت الأولى، دون أن تشي ملامحها، بما يدور في ذهنها .

-وهل اعتاد الوزير وضع مسدسه على سطح مكتبه؟ !

تردد رئيس الديوان لحظة، قبل أن يجيب :

-يقول: إنه يقوم بتنظيفه مرة أسبوعياً، ولقد تصادف الموعد مع الواقعة، ومدير مكتبه، على الرغم مما يتهمه به، يؤيد هذا، ولكنه يصر على أن الاتهام كان موجهاً إلى الوزير شخصياً، وأنه الذي اختطف الملف، وأشعل فيه النار، وأطلق الرصاص على المسئول المالي، عندما حاول منع هذا، ثم ألقى إليه المسدس، فالتقطه بحركة غريزية، لحظة اقتحام الآخرين للمكان، ليروه وهو يحمله، والدخان يتصاعد من

فوهته .

تنهَّدت "نهير"، وهي تدير القصتين في رأسها، وتحاول أن تستنبط منهما حقيقة ما حدث . .

فمهنتها علمتها أنه من السابق لأوانه استبعاد أي حدث، باعتباره غير منطقي . .

كل شيء يمكن حدوثه، لو توافرت الظروف المناسبة . .

كل شيء . .

وكل شخص يمكن اتهامه، مهما بلغ منصبه، أو موقعه، أو جاهه . .

فليست كل جريمة وليدة تخطيط وتدبير وإعداد وتربص . .

معظم الجرائم وليدة اللحظة . .

العاطفة . .

الانفعال . .

أو الغضب . .

والروايتان ممكنتا الحدوث . .

الوزير قد يفقد أعصابه، ويقتل المسئول المالي، الذي كشف فساده بالأوراق والمستندات، وهدد مستقبله السياسي كله، وعرضه للانتقال، في لحظة واحدة، من ذوي الجاه والسلطة، إلى خانة الأفاقين واللصوص . .

ومدير المكتب قد يفعلها، عندما ينكشف أمره فجأة أمام الوزير، ويواجه مصيراً لا يدريه . .

كلاهما لديه الدافع . . والفرصة، والسلاح . .

"لابد إذن من معاينة مسرح الجريمة . . . " . .

نطقتها "نهير" في حزم، فوافقها رئيس الديوان بإيماءة من رأسه، وهو يقول :

-هذا ما أمر به فخامة الرئيس، الذي منحك صلاحيات كاملة، للتعامل مع الموقف، وسأصطحبك بنفسي إلى الوزارة، حيث ينتظروننا جميعاً .

مرة أخرى، امتقع وجه "عزت"، وانكمش على نفسه، وهو يسير خلفها، ويجلس إلى جوارها صامتاً، في سيارة الرياسة، التي تنقلهما مع معداتهما إلى القصر الجمهوري

وعندما شعرت "نهير" بارتجافته، مالت نحوه، تسأله هامسة :

-ماذا بك؟!

أجابها في همس مضطرب :

-لماذا تصرين على إغراقنا في ذلك المستنقع أكثر وأكثر؟!

هتفت مندهشة، في صوت خافت :

-إغراقنا؟!.. أنسيت أنه عملنا، وأنهم قد انتدبونا هنا، و. . .

قاطعها في عصبية هامسة :

-وسنكشف اللغز.. أنا واثق من هذا .

تراجعت في دهشة أكثر، فاستدرك :

-وهذا ما يخيفني .

غمغمت :

-يخيفك .

هتف :

-بالتأكيد.. هل تتصورين أنه من السهل، في مثل هذا النظام، أن نكشف فساد وزير؟ !

قالت في صرامة هامسة :

-لست أتحدَّث هنا عن فساد، وإنما عن جريمة قتل .

هز رأسه في عنف :

-الاثنان يتساويان عند الحكومة؛ فالوزراء آلهة، في نظرها ونظر العامة، والآلهة لا تخطئ.. ولا تعاقب أيضاً لو أخطأت.. والحكومة لن تسمح للناس بمعرفة أخطاء وزرائها، بدءاً من أصغر خطأ، وحتى أكبر جريمة .

قالت في حدة :

-حتى القتل .

أجابها في مرارة عصبية هامسة :

-وما الفارق؟!.. هل تتصوَّرين أن ما يفعلونه بنا، عبر قراراتهم الخاطئة، المتسرِّعة، النابعة في معظمها من انفعالات وقتية، أو أغراض أو منافع شخصية، والتي قد تفسد مجتمعاً بأكمله، ليست مساوية للقتل؟!.. من يحاسبهم عليها؟!.. من يلومهم حتى، على قرار واحد سخيف؟!.. راجعي تاريخنا كله، منذ قيام ثورة يوليو، وستدركين أن هذا لم يحدث، ولو مرة واحدة.. هل تتوقعين أن يبدأ بك؟ !

انعقد حاجباها، وهي تقول :

-ما أتوقعه، هو أن نؤدي عملنا، ثم نترك الأمر بعدها لله "عزَّ وجلَّ . "

هزَّ رأسه في قوة، وهو يقول :

-لو أننا سنتركه لله "سبحانه وتعالى"، لما خشيت، فالله يحكم بالعدل، ولكننا سنتركه أيضاً للحكومة، وهي ليست كذلك.. إنها تحكم بما يحقق مصلحتها، وفي العصر الحالي، لست أظن مصلحتها في كشف

الفساد .

تدخل رئيس الديوان، في هذه اللحظة، وهو يقول في حدة :

-فيم تتهامسان طوال الوقت؟!

انكمش "عزت" في مقعده، في ذعر أكثر، في حين تنحنحت "نهير"، مجيبة :

-في شئون العمل .

اعتدل يقول في صرامة :

-أتعشم أن تكونوا قد انتهيتم، فها هو ذا مبنى الوزارة أمامنا .



لم تمضِ دقائق خمس، على عبارته هذه، حتى كان ثلاثتهم يقفون في مكتب الوزير، الذي اكتظ برجال الأمن، وموظفي الوزارة، والوزير نفسه، ومدير مكتبه، وجثة المسئول المالى، الذي سقط على ظهره، وثقب واضح في منتصف جبهته، تجمدت حوله بقعة من الدم، وعلامات الدهشة والذعر مازالت مرتسمة على ملامحه . .

وفي صرامة، قالت "نهير : "

-هذا العدد كفيل بإفساد أي دليل هنا .

سرت همهمة معترضة من الموجودين، فقال رئيس الديوان بلهجة آمرة :

-فليغادر الكل الحجرة فوراً .

أضافت "نهير" بنفس الصرامة :

-فيما عدا المتهمين .

رفع الوزير رأسه بحركة حادة، وهو يقول :

-المشتبه فيهما .

هزت كتفيها، دون أن تعدل عبارتها، فجرجر رجال الأمن أقدامهم، مع موظفي الوزارة، وخرج الكل من الحجرة في تخاذل، ومع خروج آخرهم، أشارت "نهير" إلى" عزت" بإغلاق الباب، ثم التفتت إلى الوزير ومدير مكتبه، وعقدت ساعديها أمام صدرها، وهى تقول :

-أحدكما يُدرك بالطبع، أن وجود كل هذا العدد من الناس، في مسرح الجريمة، كفيل بإتلاف وإفساد أي دليل .

قال الوزير في حدة :

-لاحظي أنك تتحدثين إلى وزير .

أجابته في صرامة :

-في الوقت الحالي، أواجه مشتبهاً فيه، في جريمة قتل .

هب من مقعده بحركة حادة، هاتفاً :

-أنا أعترض . .

ومع حركة الوزير، انعقد حاجبا "نهير" في شدة . .

فهنا فقط، أدركت من القاتل . .

وبالدليل .

***

لثوان، لم تنبس "نهير" ببنت شفة، وذهنها يرسم صورة لما حدث، في مكتب الوزير . .

كانت لديها قدرة مدهشة، على استنباط المشهد كله، عبر لمحات صغيرة، من مسرح الجريمة . .

وفي هذه المرة، لاحظت موقع مقعد الوزير . .

وزاوية مكتبه . .

وحركة نهوضه . .



وفي لحظات، كانت قد رسمت الصورة، والتفتت إلى مدير المكتب، تسأله في اهتمام :

-كيف ألقى إليك الوزير مسدسه؟!

ارتجف الرجل، من فرط الانفعال، وهو يجيب :

-كنت أقف إلى جواره، عندما انقض عليه المسئول المالي، فاختطف مسدسه من أمامه، وأطلق عليه النار، ثم دار إلى اليمين، وألقى إليَّ المسدس .

قالت "نهير" في بطء :

-والتقطته أنت؟!

أجابها في توتر :

-كانت حركة غريزية .

هزَّت رأسها، متمتمة :

-بالضبط .

ثم اتجهت في هدوء إلى المكتب، والتقطت المسدس في حرص، من فوهته، على الرغم من ارتدائها زوجاً من القفافيز المطاطية الخاصة، وفحصته في اهتمام، ثم سألت "عزت : "

-هل قمت برفع البصمات من عليه؟!

أومأ برأسه إيجاباً، وغمغم :

-وقمت بتوثيقها.

قالت في هدوء عجيب :

-عظيم.

ثم سحبت مشط المسدس، وأفرغت ما تبقى به من رصاصات، في كيس أدلة خاص، قبل أن تعيده إلى الوزير، قائلة :

-دعنا نعيد تمثيل المشهد.

أجابها الوزير في عصبية :

-أي مشهد؟!.. إنه كاذب.. أنا لم . . .

قاطعته في صرامة :

-سنعيد المشهد من زاوية روايته، ثم من زاوية روايتك أيضاً.

انعقد حاجبا الوزير في حنق، إلا أنه التقط المسدس، وسألها في عصبية أكثر :

-وما المفترض أن أفعله بالضبط؟!

جلست على مقعد قريب، في هدوء شديد، وهي تقول :

-ستصوِّب المسدس نحو النقطة، التي كان يقف عندها المسئول المالي، وتضغط الزناد، ثم تلقي المسدس لمدير مكتبك.

كان من الواضح أن ما طلبته لا يروق له أبداً، وعلى الرغم من هذا، فقد نفذ المشهد، فضغط الزناد، وصدرت من المسدس تكة معدنية فارغة، قبل أن يلقيه لمدير مكتبه، الذي حاول التقاطه، فأمسكه من ماسورته، ثم قلبه ليلتقط مقبضه، قبل أن تهتف "نهير : "

-كفى.

تطلَّع الكل إليها في دهشة، فأشارت إلى ساعة يدها، قائلة :

-هذا تقريباً الوقت الكافي، لدخول رجال الأمن والموظفين إلى هنا.. ومن الواضح أن التقاط المسدس، لم يكن بالسهولة التي وصفتها.

قال مدير المكتب محتجاً :

-في المرة السابقة، التقطت المسدَّس في سهولة أكثر، ولكنك أزلت الرصاصات، مما غيَّر من توازنه، فصارت ماسورته أثقل من مقبضه .

غمغم الوزير في خبث :

-حقاً؟!.. لم أكن أدرك هذه الحقيقة عن المسدسات .

نقلت "نهير" بصرها بينهما، ثم قالت في حزم :

-فليكن.. ضع المسدس أمام السيِّد الوزير، واعتدل، ثم التقطه، وأطلق النار على الموضع نفسه .

أطاعها مدير المكتب في عصبية، وتراجع الوزير بمقعده، ليمنحه فسحة كافية، فالتقط المسدس، ونفذ ما طلبته منه، وقال في توتر :

-ليس هذا ما حدث بالضبط .

نقلت "نهير" بصرها، بينه وبين الوزير مرة أخرى، ثم قالت في هدوء، لم يبدُ متناسباً مع الموقف، حتى بالنسبة لمساعدها "عزت : "

-ربما لا تكمن المشكلة في المسدس .

سألها الوزير في عصبية :

-ماذا تعنين؟ !

هزَّت كتفيها، مجيبة :

-كلاكما كانت لديه الفرصة لإطلاق النار .

تبادل الرجلان نظرة عصبية، قبل أن يقول الوزير في حدة :

-ولكنه هو فعلها .



صاح مدير المكتب في حدة :

-بل هو .

وهنا، عقد رئيس الديوان كفيه خلف ظهره، في صرامة شديدة، وهو يقول للدكتورة "نهير : "

-المفترض أنك هنا، لحسم هذا الخلاف .

أومأت برأسها موافقة، وقالت :

-إنه ليس خلافاً هيناً، فبعد أن أفسد اقتحام الجميع للمكان أدلة مسرح الجريمة الأساسية، لم يعد أمامنا سوى أقوال كل منهما، والتي تدين الآخر .

قال رئيس الديوان في حدة :

-ولا يوجد دليل علمي واحد؛ لترجيح أقوال أحدهما على الآخر؟!

صمتت بضع لحظات، ثم هزَّت رأسها نفياً، مجيبة :

-كلا .

التقى حاجبا رئيس الديوان في شدة، وراح يتحرَّك في الحجرة في عصبية، ويتوَّقف بين الفينة والأخرى، لينظر إلى كل الوجوه، ثم يعاود الحركة، قبل أن يقول :

-فليكن.. لن تحتاج إلى دليل مادي .

سألته "نهير" في حذر :

-هل ستوجِّه الاتهام لكليهما؟!

أجاب، في سرعة وصرامة :

-كلا .

وصمت لحظة، ثم استدرك :

-سنوجِّه الاتهام إلى أحدهما فحسب، بناءً على أية أدلة ترجيحية مقنعة .

تطلَّعت في حذر إلى الوزير ومدير مكتبه، وهي تقول في بطء :

-ولكن وفقاً للقانون، شيوع الاتهام يبرئهما معاً .

هزَّ رأسه، وهو يقول :

-للأسف .

ثم عاد يعتدل، ويشد قامته، مضيفاً :

-ولكن فخامة الرئيس يصرّ على معرفة الحقيقة.. اليوم .

سألته في حذر :

-ولماذا اليوم؟!

أجابها في صرامة :

-لأنه لا يسمح ببقاء وزير في الوزارة، بعد ارتكابه جريمة كهذه .

هتف الوزير في ذعر :

-لم أرتكبها .

صاح به مدير مكتبه في حدة :

-من فعلها إذن؟!

مرة ثالثة، نقلت "نهير" بصرها بينهما، وقالت :

-فليكن.. سنرفع جثة القتيل، أوَّلاً، ونحاول فحص بقايا الملف المحترق، ثم نبحث عن الأدلة الترجيحية، في مسرح الجريمة .

بناءً على قرارها، حضر رجال الأمن، وغطوا جثة المسئول المالي القتيل، واتجه أحدهم إلى يسار الوزير، والتقط سلة المهملات، التي تحوي الملف المحترق، وحاول إفراغها في حرص، في أحد أكياس الأدلة، فسألته "نهير : "

-هل كنت هنا، عندما دخل المسئول المالي حجرة الوزير؟!

اعتدل رجل الأمن، وأجابها، بلهجته العسكرية :

-كنت في الحجرة الأخرى يا سيِّدتي .

سألته :

-أتقصد حجرة مدير المكتب؟. !

أومأ برأسه إيجاباً، فسألته في اهتمام :

-صف لي ما حدث عندئذ .

ازدرد الرجل لعابه في توتر، قبل أن يقول :

-المسئول المالي بدا ثائراً للغاية، عندما جاء في الصباح، وأصرَّ على مقابلة السيد الوزير، فاصطحبه مدير المكتب إلى الركن، ودارت بينهما مناقشة هامسة، لم يسمع أحدنا تفاصيلها، ولكنها ضاعفت من ثورته وغضبه، وراح يلوِّح بالملف في يده في حدة، فلم يكن من مدير المكتب إلا أن سمح له بمقابلة السيِّد الوزير، وعندما دخلا المكتب معاً، سمعنا صوت مشاحنات مكتومة، أعقبه دوي الرصاصة .

اعتدلت، تسأله :

-وماذا فعلتم حينئذ؟!

أجاب متوتراً :

-اقتحمنا المكتب على الفور، فوجدنا المسئول المالي قتيلاً، والمسدس في يد مدير المكتب .

سألته :

-والملف؟ !

أجابها في سرعة :

-كان يحترق في سلة المهملات .

مالت نحوه، وكأنها تستشف ملامحه جيداً، وهي تسأله :

-وهل حاول أحدكم إنقاذ الملف؟ !

هزَّ كتفيه، قائلاً :

-لم ندرك ماهيته، ولا علاقته بالأمر .

قالت في صرامة :

-ولكنها أوراق تحترق، في سلة مهملات وزيركم .

أشار رجل الأمن بسبَّابته، قائلاً :

سيادة الوزير اعتاد حرق الأوراق، في سلة مهملاته، لذا لم يخطر ببالنا أن الأمر يختلف .



انعقد حاجباها، وهي تفكِّر في عمق، فتردَّد رجل الأمن لحظات، ثم سأل، في شيء من العصبية :

-هل أتصرف، أم . . .

قاطعته في حزم :

-يمكنك الانصراف .

وصمتت لحظة، ثم استطردت :

-واترك بقايا الملف المحترق لمساعدي .

اتجه إليه "عزت"؛ ليلتقط الأوراق المحترقة، فتساءل رئيس الديوان في حيرة :

-وما المفترض أن يفعله بها؟ !

أجابته في هدوء :

-سيحاول معرفة ماهيتها .

قال الوزير في حدة :

-أية ماهية؟!. إنها أوراق محترقة!.. مجرَّد أوراق محترقة !

قالت بنفس الهدوء :

-ربما بالنسبة لك، ولكن بالنسبة للطب الشرعي، يختلف الأمر كثيراً، فالأوراق كانت مكتوبة بحبر سائل، أو جاف، أو حتى بأحبار طباعية، وكلها مواد، لا تحترق بالنسبة نفسها، التي تحترق بها الأوراق .

غمغم مدير المكتب في توتر :

-وما الفارق؟ !

أجابته :

-ستبقى آثار الحبر المستخدم، على سطح الورقة المحترقة، وبمعالجات كيماوية خاصة، يمكننا إعادة الكلمات، ومعرفة ما تحويه الأوراق .

"هراء . . " . . !

هتف الوزير بالكلمة في حدة، فالتفت إليه الكل، ليكمل في عصبية :

-عندما تحترق الأوراق، تتحوَّل إلى رماد، والرماد هش، تذروه الرياح، ومن المستحيل إعادة تجميعه مرة ثانية .

اندفع "عزت" يجيبه :

-معذرة يا سيادة الوزير، ولكن الطب الشرعي يصنع المعجزات، في هذا المضمار بالتحديد .

كانت "نهير" شديدة الاهتمام، بملاحظة ملامح الوزير ومدير مكتبه، خلال الحوار السابق، ولكن رئيس الديوان لم ينتبه إلى هذا، وهو يقول في حدة :

-هل سنضيع الوقت في مجادلات، لا طائل منها؟ !

اعتدلت "نهير"، مجيبة في سرعة :

-مطلقاً . .

سألها بنفس الحدة :

-ألم تتوصَّلي إلى شيء ما بعد؟ !

أجابته في حزم :

-بالتأكيد .

بدا التوتر، على وجوه الجميع، وسألها رئيس الديوان، في اهتمام شديد :

-من منهما يكذب؟ !

صمتت "نهير" لحظة، ثم أجابت، بمنتهى الحزم والثقة :

-كلاهما .

وكانت مفاجأة . .

ساحقة .

***

ذهول عارم، ذلك الذي سيطر على مكتب الوزير، في تلك اللحظة، عندما ألقت " نهير" تصريحها الأخير . .



الوزير بدا مصعوقاً، ومدير مكتبه امتقع في شدة، ومساعدها "عزت" ارتجف، أما رئيس الديوان، فقد حدَّق في وجهها، بكل دهشة الدنيا، قبل أن يقول في عصبية :

-أي قول هذا يا دكتورة؟ !

أجابته، في هدوء الواثق :

-قول مسئول تماماً .

سألها :

-أتعنين أن الروايتين كاذبتان؟ !

أجابته في حزم :

-بكل تأكيد .

هبَّ الوزير من مكتبه مرة أخرى، هاتفاً في غضب :

-كيف تجرئين . .

لم يبد عليها أي تأثُّر بغضبه، وهي تقول، مقاطعة إياه :

-عندما تغضب، تهبّ من خلف مكتبك يا سيادة الوزير، ومع حركتك هذه، تدفع سلة المهملات إلى الخلف، فتصبح خلف يسار مقعدك، وفي موقعها هذا، يصعب على مدير مكتبك أن يلقي فيها الملف، ويشعل فيه النار، دون أن تتراجع أنت بإرادتك، لتفسح له المجال لهذا .

امتقع وجه الوزير، وهتف :

-هل تعنين أن . .

قاطعه رئيس الديوان في صرامة :

-الأمر أوضح من أن تناقشه أيها الوزير.. لقد ارتكبت الجريمة، وتحاول تلفيقها لمدير مكتبك، ولكن اتضح أنه لم يكن يملك إشعال النار في الملف .

أشارت "نهير" بسبَّابتها، قائلة :

-قبل أن تتسرَّع، يا سيادة رئيس الديوان، ينبغي أن تعلم أن الزاوية، التي يجلس فيها الوزير، لا تتفق مع زاوية سقوط القتيل .

بُهِت رئيس الديوان، وهو يقول في توتر :

-ماذا تعنين؟ !

أجابته في سرعة :

-جثة المسئول المالي القتيل، كانت ملقاة على ظهرها هنا، ورأسه يواجه اليسار، ولو أن الوزير هو من أطلق النار عليه، لسقط، ورأسه إلى اليمين، وليس اليسار .

ارتجف مدير المكتب في شدة، ورئيس الديوان يهتف :

-أيعني هذا أن مدير المكتب، هو من أطلق عليه النار؟ !

أجابت في ثقة :

-منطقة وقوفه، وزاوية سقوط القتيل، وتواجد المسدس في يده، كلها تؤكِّد هذا .

هتف مدير المكتب :

-ولكن الوزير ألقاه . .

قاطعته في حزم :

-رواية وهمية سخيفة، فمع الزاوية التي تقف فيها، كان من المستحيل أن تلتقط المسدس على نحو صحيح، فمن المحتم أن تلتقطه من ماسورته، في كل الأحوال، سواء كان مشطه ممتلئاً أو فارغاً، والماسورة تكون ساخنة، بعد إطلاق النار، وإمساكها سيترك أثر احتراق على أصابعك، وهو ليس موجوداً كما ترى .

امتقع وجه الرجل في شدة، وبدا وكأنه انكمش على نفسه، وظهرت علامات الحيرة والتوتر، على وجه رئيس الديوان، وهو يقول :

-لست أفهم شيئاً .

ثم لوح بذراعيه في حدة، هاتفاً في حنق :

-في البداية، بدا من الواضح أن الوزير هو القاتل، ثم عدت تثبتين أن مدير المكتب أطلق الرصاص، فأية مفاجأة تخفين أيضاً .

غمغمت :

-في الواقع .

قاطعها رئيس الديوان في حدة :

-لا أريد سفسطة.. أريد جواباً صريحاً.. ومباشراً.. من أطلق النار على المسئول المالي؟

صمتت بضع لحظات، قبل أن تجيب في حزم :

-هذا .

وأشارت إلى مدير المكتب، الذي تراجع بوجه شاحب، وهتف في عصبية شديدة :

-لا.. لا.. لن أتحمَّلها.. لا . .

ثم اندفع يعدو فجأة، محاولاً الفرار من الحجرة، فهتف رئيس الديوان بطاقم الأمن :

-أوقفوه .

وثب أحد رجال الأمن نحو الرجل، الذي راوغه، صارخاً :

-لا.. هذا خطأ.. خطأ . .

وحاول الاندفاع نحو النافذة، فاعترض طريقه رجل أمن آخر، وأمسك ذراعه، ولواه خلف ظهره بحركة حادة، ورئيس الديوان يهتف :

-أمسكوا القاتل .



ثم التفت إلى الدكتورة "نهير"، قائلاً :

-لست أدري كيف فعلتها، ولكن . .

قاطعته "نهير : "

-ولكنني لم أفعلها بعد .

قال في توتر :

-ولكنك أمسكت القاتل، وكشفت أمره، و. . .

قاطعته مرة أخرى، في حزم :

-ليس بعد .

حدَّق رئيس الديوان في وجهها بدهشة، ومدير المكتب مازال يصرخ :

-ما تفعلونه خطأ.. خطأ .

وفي حدة، هتف بها رئيس الديوان :

-لقد أكَّدت أنه من أطلق النار .

أشارت بسبَّابتها، قائلة :

-ولكنك نسيت أنه لم يكن يملك إلقاء الملف، في سلة المهملات، ولا إشعال النار فيه .

سألها مبهوتاً :

-من فعلها إذن؟ !

مالت نحوه، قائلة بابتسامة غامضة :

-ومن قال: إنه هناك من فعلها؟ !

تراجع رئيس الديوان بحركة حادة، فتراجعت بدورها، مستطردة :

-كل ما قلته، هو أنه لم يكن يملك إشعال النار في الملف .

غمغم رئيس الديوان :

-ولكن . .

قاطعته في حزم :

-لم يكن يملك المرونة، ولا الوقت الكافي لهذا .

بدا رئيس الديوان شديد العصبية، وهو يشير إلى الوزير، قائلاً :

-هل فعلها هو؟ !

هزَّت رأسها نفياً، فهتف الوزير :

-ألم أقل لكم؟ !

ولكنها قالت في حزم :

-كلاهما لم يكن يمتلك الوقت الكافي، لإشعال النار في الملف .

ثم التقطت نفساً عميقاً، مضيفة :

-لأن الملف لم يحترق .

مرة أخرى، كانت المفاجأة شديدة العنف، حتى إن أحداً لم ينبس ببنت شفة لدقائق ثلاث كاملة، قطع بعدها رئيس الديوان حبل الصمت، قائلاً :

-ولكن كيف؟!.. وما تلك الأوراق المحترقة، التي تم حفظها منذ قليل، كدليل من أدلة الاتهام .

أجابته "نهير : "

-إنها دليل بالفعل، والمعالجات الكيماوية ستثبت أنها مجرَّد أوراق، من تلك التي اعتاد الوزير حرقها، في سلة مهملاته، التي يضعها دوماً إلى يساره، أسفل جهاز تنقية الهواء؛ ليتخلَّص من الدخان ورائحة الاحتراق.. أوراق لا صلة لها بما جاء في ملف الفساد .

تراجع الوزير في مقعده، وانكمش مدير مكتبه أكثر وأكثر، في حين غمغم رئيس الديوان :

-ملف الفساد؟!.. فساد الوزير .

هزَّت رأسها نفياً، وقالت :

-لست أظن الملف يحوي وقائع فساد الوزير وحده، بل ومدير مكتبه أيضاً، وهذا ما جاء المسئول المالي يهدِّد، ويتوعَّد بكشفه في الصباح، ولهذا انتحى به مدير المكتب جانباً، وحاول منعه من إعلانه، وعندما فشل، اصطحبه إلى الوزير، الذي أدرك مع مدير مكتبه، أنه كشف لعبتهما وفسادهما، فكان من المحتم التخلُّص منه .

هتف رئيس الديوان :

-ولكن من فعلها منهما؟ !

أجابته في حزم :

-كلاهما؟ !

اتسعت عينا "عزت" في دهشة، وحدَّق في الوزير ومدير مكتبه، ولكن أيهما لم يحاول نفي ما قالته، في حين غمغم رئيس الديوان :

-وكيف هذا؟ !

أجابته في حسم :

-كانا متورطين في الفساد نفسه، وكان عليهما أن يتعاونا في إخفاء تورطهما، ولكن المسئول المالي دخل المكتب بضجة، وكان يلوِّح بملف فساد، لو خرج به مرة أخرى، فلا أحد يمكنه التنبؤ بالنتائج، لذا

لم يكن أمامهما من خيار، سوى ألا يغادر المسئول المالي المكتب، مهما كان الثمن، ومن هنا وضعا خطتهما السريعة، ونفذاها فوراً... ولقد اعتمدا في هذا على فكرة شيوع الاتهام القانوني، وما تحتمه من تبرئة الجميع، ونظام الحكم الفاسد في بلادنا، والذي يسعى دوماً للتستر على أخطاء الكبار، كما لو كانوا أنصاف آلهة، فاستخدم مدير المكتب مسدس الوزير، وأطلق النار على المسئول المالي، في نفس الوقت الذي أخفى فيه الوزير الملف، وحاول إقناع رجال الأمن، بأن تلك الأوراق التي تحترق، في سلة مهملاته تحويه . . وعندما بدأت التحقيقات، راح كل من الرجلين يتهم الآخر، ويؤيِّد أقواله في الوقت ذاته، على أساس أن النظام لن يجد أمامه سوى كتمان الأمر، ومعالجته على أي نحو كان، بدلاً من اتهام وزير، بتهمة غير محسوبة .

انتهت من روايتها، فساد صمت مهيب، لم يلبث الوزير أن قطعه، وهو يقول في عصبية :

-خيال جامح يا امرأة.. ولكن دون دليل واحد .

أجابته في ثقة :

-أعتقد أننا، لو فتشنا مكتبك، فسنجد الدليل، متمثلاً في ملف الفساد، يا سيادة الوزير .

قال في شراسة :

-ومن سيسمح لك بتفتيش مكتبي؟!.. أنسيت أنني وزير، أمتلك حصانة سياسية، و. . .

قاطعه رئيس الديوان :

-هذه مشكلة يمكن حلها .

التفت إليه الوزير بحركة حادة، فتابع في صرامة :

-بقرار رئاسي .

هتف الوزير في حدة :

-سيادة الرئيس لن يمكنه . . .

قاطعه رئيس الديوان :

-إقالة وزير... أهذا ما أردت قوله .

شحب وجه الوزير، وتراجع في مقعده، على نحو كان يمكن أن يجلب الشفقة، لو لم يكن متهماً بجريمة قتل، في حين بدا مدير المكتب شديد الذعر، وهو ينقل بصره بين كافة الموجودين، قبل أن يندفع، قائلاً في عصبية :

-لقد.. لقد كنت أنفذ أوامره فحسب .

صاح به الوزير :

-اصمت أيها الأحمق .

إلا أنه تابع، في عصبية أكثر:

-أنا مستعد للشهادة ضده، مقابل . .

قاطعه رئيس الديوان، بمنتهى الصرامة:

-لا مقابل للجريمة.

لم يصدِّق الوزير نفسه، ولم يصدق موظفوه أنفسهم، عندما انصرف من مبنى الوزارة منكَّس الرأس، يحيط به رجلا أمن، ولكن "نهير" كانت تشعر بالارتياح، وهي تسأل رئيس الديوان، داخل السيارة التي تعيدهم إلى القصر الجمهوري:

-ماذا سيفعلون به؟!

أجابها الرجل في تحفُّظ:

-هذا يتوقَّف على قرار السيِّد الرئيس.

هتفت في دهشة:

-ولكنها جريمة قتل؟!

كرَّر، بمنتهى الصرامة:

-الرئيس وحده يقرِّر هذا.

وصمت لحظة، ليضيف في حزم:

-وتذكَّري أن قرار انتدابك، يجعل كشف أي من أسرار الدولة، بمثابة خيانة عظمى.

هتفت مستنكرة:

-حقاً!

مال "عزت" على أذنها، هامساً:

-ألم أقل لك.



وفي هذه المرة، لم تعترض أو تجادل بحرف واحد . .

فالدرس كان بالنسبة لها قاسياً . .

وقاسياً . .

للغاية . .

***

تمت بحمد الله

***

ملحوظة:هذة الرواية صدرت فى سلسلة مستقله بعنوان مسرح الجريمة العدد الاول جريمة فى مجلس الشعب .

القصة العاشرة

رسالة صديق

رسالة صديق

من المؤكد أن (ثيواردويلار) المذيع المعروف بإذاعة مدينة (شارلوت) الأمريكية لن ينسى أبداً أحداث تلك الليلة ..

ليلة العاشر من يونيو عام ١٩٦٢ م ..

ليس هذا لأن (هيوارد) قد أجرى حديثاً إذاعياً ممتازاً فى هذا التاريخ ..

ولا لأنه حصل على ترقية ، أو علاوة ، أو حتى ابتسامة من رئيسه فى العمل..

بل لأنه تلقى فيه رسالة ..

هل أدهشكم الأمر ؟!..

دعونا إذن نشرح الأمر منذ البداية ..

فى ذلك اليوم انتهى (هيوارد) من عمله بدار الإذاعة ، وعاد إلى منزله فى منتصف الليل تقريباً ، فتناول طعام العشاء ، واستعد للذهاب إلى فراشه ، بنفس الروتين اليومى ، الذى اعتاده منذ سنوات ..

وفجأة تجمد (هيوارد) فى مكانه ، وبدا لزوجته لحظة أشبه بتمثال من الشمع، لرجل مذعور ، اتسعت عيناه وانفغر فاه ..

وفجأة أيضاً ، التفت (هيوارد) إلى زوجته (بات) ، وقال فى توتر ..

– أسمعت الصوت ؟

سألته زوجته فى قلق :

– أى صوت ..

قال فى حيرة :

- صوت ارتطام السيارة .. هناك حادثة سير .

رددت في قلق أكثر :

- حادثة سير ؟! .. إنني لم أسمع شيئاً .

خيل إليها أنه حتى لم يسمعها وهو يندفع نحو حجرته قائلاً :

- سأستطلع الأمر ، وأعود إليك على الفور .

هوى قلبها بين قدميها ، عندما رأته يرتدي ثيابه في عجل ، ويسرع إلى حيث سيارته .

وتساءلت في هلع : "هل أُصيب (هيوارد) بالجنون ؟" ..

هل فقد عقله ، مع شدة انهماكه في عمله ؟ ..

فكرت في الاتصال بطبيبهما الخاص ، خشية أن تكون حالة (هيوارد) شديدة الخطورة ، ولكن (هيوارد) لم يمهلها الوقت لهذا ، فقد انطلق بسيارته ، قبل حتى أن تتخذ قرارها ..

وبالنسبة إليه ، كان الأمر أكثر حيرة ..

لقد سمع صوت اصطدام السيارة في وضوح ، ولكنه لم يجد سيارة واحدة تتحرك ، عندما غادر البيت ..

وهو واثق مما سمع ..

وعندما أدار محرك سيارته ، لم يكن يدري بعد ، إلى أين يتجه ..

ولأن منزله يقع عند نقطة تتفرع منها عدة طرق ، فقد كان عليه أن يتخذ قراره باختيار الطريق الصحيح الذي يتخذه ليصل إلى منطقة التصادم ! ..

وبلا تردد ، وبثقة لم يدر من أين حصل عليها ، انطلق مباشرة إلى شارع (بارك) ، وعندما بلغ تقاطع (وودلون) انحرف يميناً ليهبط التل في ثقة ، وكأنه يعلم مسبقاً إلى أين يتجه ..

وعندما بلغ موقع تجمع مراكب صيد الجمبرى ، وجد نفسه يتخذ طريق (مونتفورد درايف) ، بنفس الثقة العجيبة ..

وقطع (هيوارد) ستين متراً فحسب ، فى طريق (مونتفورد) ، ثم وجد نفسه يتوقف فجأة ..

هنا .. فى هذه النقطة بالذات ، وحيث لا يوجد أى شئ محدود ، كان يشعر بضرورة الخروج عن الطريق الرئيسى ..

ومجنون هو من يفعل هذا ، فى الواحدة صباحاً ..

(هيوارد) العاقل يعلم هذا ، ولكن (هيوارد) الذى يقود السيارة لم يمكنه مقاومة هذه الرغبة ، فانحرف يميناً وخرج عن الطريق ، واتجه مباشرة نحو شجرة ضخمة ترتفع وسط طريق رملى يمتد إلى ما لا نهاية ..

وهناك رأى السيارة ..

رآها فجأة على ضوء مصباح سيارته ، فضغط كامح السيارة فى قوة ، وتوقف إلى جوار السيارة التى ارتطمت مقدمتها بعامود معدنى ، على مقربة من جذع الشجرة ، وانتزعت الضربة محركها ، ودفعته إلى حيث مقعدها الأمامى ، من شدة الاصطدام وعنف الصدمة ..

وغادر (هيوارد) سيارته ، وأسرع نحو السيارة المصابة ..

ولم ير (هيوارد) أحد داخل السيارة ، ولكنه سمع من داخلها صوتاً ضعيفاً وهاناً، يقول :

– النجدة يا (هامبى) .. انقذنى .

وقفز قلب (هيوارد) بين ضلوعه فى هلع ، وانقض على السيارة ، وراح يفحص حطامها وهو يهتف :

– أنا هنا يا (جو) .. سأنقذك يا صديقى .

وأخيراً عثر (هيوارد) على صديق عمره (جون فندربيرك) محشوراً وسط الحطام ، ومصاباً بجروح شديدة والدماء تنزف منه فى غزارة ..

وحمل (هيوارد) صديق عمره إلى سيارته ، وانطلق به إلى أقرب مستشفى ، حيث أجريت جراحة عاجلة لـ (جون)، تمكن خلالها الأطباء من إنقاذ حياته بمعجزة ، وقال الجراح الدكتور (فيليب ماك آرنى) ، الذى أجرى العملية لـ (جون): إنه لو تأخر (هيوارد) عن إنقاذ صديقه ربع ساعة أخرى ، للقى (جون) مصرعه وسط الحطام ، دون أن يشعر به مخلوق واحد ..

وهذا صحيح ..

فالتقرير الذى نشرته جريدة (شارلوت نيوز) يقول أنه ، وعلى الرغم من أن طريق (مونتفورد درايف) هذا طريق شديد الحيوية ، إلا أن أحداً لم يمر به منذ وقع الحادث ، وحتى مرور ٤٥ دقيقة من إنقاذ (هيوارد) لصديقه ..

والعجيب أن (هيوارد) قد سمع صوت الحادث على بعد عشرة كيلو مترات ، فى نفس اللحظة التى اصطدمت فيها سيارة (جون) بالعامود ، وقد أثبتت الأبحاث أنه لم يقع أى حادث مماثل ، فى دائرة قطرها خمسين كيلو متراً من منزل (هيوارد) ..

وبسؤال (جون) ، قال : إن أول ما فكر فيه ، عندما ارتطمت سيارته ، هو صديق عمره (هامبى) .. وهو الأسم الذى يخاطب به (هيوارد) منذ طفولتهما ..

ولكن كيف حدث هذا ؟ ..

كيف استقبل (هيوارد) رسالة صديقه ؟ ..

دعنا نسأل العلماء ..

وهؤلاء العلماء يقولون : إن (هيوارد) قد تلقى رسالة عقلية من صديقه (جون) بوسيلة خارقة من وسائل التخاطب العقلى ، تعرف باسم التخاطر ، أو (التليباثى) ..

ويقول العلماء أيضاً : إن الظروف التى تم فيها إرسال واستقبال هذه الرسالة ظروف مثالية ، إذ أن المادة المسئولة عن تقوية إرسال التخاطر العقلى ، هى مادة (الأدرينالين) ، التى يتم إفرازها عن التوتر والقلق

والخوف ، والإصابة ، أما المادة المسئولة عن استقبال الرسائل ، فهى مادة (الكولين استراز) ، وهى مادة تفرز عند الاسترخاء والهدوء النفسى ..

وعندما حدث التصادم ، كان (جون) فى حالة (أدرينالجيا) ، أى فى حالة إفراز شديد للأدرينالين ، فى حين كان (هيوارد) يهم بالنوم ، أى كان فى حالة (كولينرجيا)، أى استرخاء كولينى ، وهذه الظروف المثالية تماماً لنقل واستقبال رسالة عقلية تخاطرية ..

ولكن كل هذه الأمور مجرد دراسات غير مؤكدة ، ونظريات غير موثوق بها..

المهم أن (هيوارد) قد تلقى رسالة (جون) ..

أما بالنسبة لكيف ، فلندع هذا للدارسين ، ولعلماء الظواهر الخارقة ..

ولما وراء العقل ..

***

تمت بحمدالله

القصة الحادية عشر

سعدية

١- سعدية ..



"حر الجبال ولا بردها" . . . .

عبارة سمعتها لأول مرة، في قلب صعيد "مصر"، وأنا أقضي فترة التكليف الإجبارية هناك، في أوائل ثمانينيات القرن العشرين . . .

سمعتها وأنا أكاد أذوب، من فرط حرارة الجو، في منتصف يوليو.... وفي سخرية، واجهت قائلاً :

-أي برد هذا؟ منذ جئت إلى هنا، لم أشعر بلمحة واحدة من البرد، فالحرارة تكاد تبلغ الأربعين، في منتصف الليل، ناهيك عن النهار . . .

تطلع إليّ الشيخ "إبراهيم"، صاحب قطعة الأرض التي أقيمت عليها الوحدة الصحية، وكأنه لا يفهم ما أقوله، ثم قال في حماس :

-أنتظر حتى يأتي الشتاء، وستنعكس الصورة تماماً .

لم أستطع تصديق هذا أبداً، في مناخ تحديت أحد أصدقائي بشأنه يوماً، فقمت بقلي بيضة طازجة، على سوء الوحدة الصحية، بحرارة الشمس وحدها، في منتصف نهاره . . . .

ثم جاء الشتاء . . . .

ووجدت نفسي أرتجف . . . . .

وأرتجف . . . .

وأرتجف . . . .

درجات الحرارة انخفضت إلى حد رهيب، حتى كادت أناملي تتجمد في قلب الليل، ولم أعد أستطيع

النهوض من تحت الغطاء إلا لأسباب بالغة الأهمية، أو لحالات حرجة للغاية . . .

وفي ذلك المناخ الرهيب، قابلتها . . . . .

"سعدية . . . . "

امرأة من فئة يقال لها "الحلبة"، تنتمي على الأرجح إلى قبائل الغجر، وتقوم مع قريناتها بخدمة أثرياء القرية، والقيام بأعمالهم الوضيعة، وعلى رأسها حلب الأبقار، في ساعات الفجر الأولى، وربما من هنا جاءت تسمية" الحلبة . . . . "

كانت عقارب الساعة قد تجاوزت منتصف الليل ببضع دقائق عندما سمعت دقات باب سكني الخاص، في الوحدة الصحية . . . . .

وعلى عكس ما اعتدته، كانت الدقات رقيقة هادئة، تحمل لمحة من خجل خاص، يمكنني إدراكه بحكم خبرتي . . . .

وعلى الرغم من أنها كانت ليلة بالغة البرودة، لم أشعر بأدنى لمحة من البرد.. على عكس المعتاد وأنا أخرج من تحت الغطاء، وأقترب من الباب، متسائلاً في همس ربما ارتبط برقة الدقات :

من بالباب؟ !

أتاني صوتها، أشبه بغناء رخيم عذب، وهي تنطق أسمها :

" –سعدية . "

لم أكن قد سمعت الاسم من قبل قط، منذ بدأت في الصعيد، ولكنني لم أكد أسمعها تنطقه بتلك الرقة، انتابني فضول شديد لرؤيتها، فأسرعت أفتح الباب، وأتطلع إليها في لهفة، تحت ضوء القمر . . .

ويالجمال ما رأيت . . . ! !

كانت فاتنة، بكل ما تحملة الكلمة من معان . . .

سمراء، رقيقة، هادئة الملامح، لها شفتان مكتنزتان، وعينان سوداوان واسعتان، تعلوهما رموش من أبداع ما رأيت، وترتدي ذلك الزي البدوي المزركش، الذي يميز فئة" الحلبة . . "



لم أكن قد رأيتها من قبل قط، أو لمحت مثل هذا الجمال، أو تصورت حتى إمكانية وجوده هناك. مما جعلني أحدق فيها بدهشة، أصابتها بخجل واضح، فخفضت عينيها وهي تغمغم :

-عندي ألم في معدتي .

لم أدرِ ماذا فعلت أنا بالتحديد، أو لست أذكر التفاصيل، إلا أنني حتماً قمت بالكشف عليها، وشعرت بدفء جسدها الصغير، قبل أن أقول في اهتمام :

-هناك اشتباه في الإصابة بالتهاب الزائدة الدودية .

سألتني في رقة بالغة :

-وما هذه الزائدة؟ !

أجبتها مبتسماً :

-جزء من جسدنا، مازال يصر على إيلامنا في أوقات لا نتوقعها .

سألتني :

وكيف نعالجه؟ !

التقطت ورقة من أوراق العيادة، لتحويلها إلى أحد المستشفيات في المدينة، وأنا أجيب :

-هذا يحتاج إلى عملية جراحية .

انتفض جسدها وهي تقول في ارتياع :

-عملية جراحية؟!... أتعني أنهم سيشقون بطني .

قلت محاولاً التهوين في الأمر :

-إنه مجرد شق صغير، والعملية بسيطة، و. . .

قاطعتني في صرامة :

-لا . . .

ونهضت ترتدي ملابسها في حزم، فقلت في قلق :

-ولكن العملية حتمية، و. . . .

قاطعتني في صرامة أكثر :

-قلت لا .

اقتربت منها، وقد هالني أن يتطور الأمر معها، لمجرد خوفها من إجراء جراحة بسيطة، وقلت :

-اسمعيني يا "سعدية"... حالتك شديدة، والعملية الجراحية ضرورة .

هزت رأسها في قوة، وقالت :

-نحن لا نجري أية عمليات جراحية .

غمغمت :

-حتى البسيطة منها؟ !

التفتت إليّ بعينين مغرورتين بالدموع، وهي تغمغم :

-أنت لا تدري ما ستفعله العملية الجراحية .

سألتها في خوف

-وماذا تتوقعين أن تفعله؟ !

أجابتني، والدموع تنهمر من عينها :

-ستقتلني .

هتفت مستنكراً :

-تقتلك؟ . . . . ! مستحيل يا "سعدية"... لم نسمع قط عن مريض قتلته عملية زائدة بسيطة .

تطلعت إليّ، وقد غرقت عيناها الواسعتان في بحر من الدموع، وغمغمت قبل أن تعدو نحو باب الوحدة :

-ستسمع قريباً .

اختفت من أمامي فهرعت خلفها، أهتف :

" -سعدية"... انتظري... المفترض أن . . . .

في هذه المرة كنت أنا من قاطعت نفسي، أو بمعنى أدق، بترت عبارتي قبل أن تكتمل . . .

فقد اختفت "سعدية . . . "

اختفت بمعنى الكلمة . . . .

لم أدرِ أين ذهبت بالضبط بهذه السرعة، فربما غابت وسط الأشجار المحيطة بالمكان، أو دارت حول الوحدة، أو تلاشى ثوبها الأسود وسط ظلام الليل . . . .

المهم أنها قد اختفت . . . .

ولما كان من العبث، والمستحيل أيضاً، أن أعدو خلفها، دون أن أعلم أين ذهبت بالضبط فلم أجد أمامي سوى الصعود إلى سكني . . . والنوم . . .

والعجيب أنني نمت بعمق . . .

بعمق شديد للغاية . . .

نمت، ربما كما لم أنم، منذ بدأت العمل هنا . . .

وفي اليوم التالي، كانت إجازتي تبدأ، فسافرت عائداً إلى بلدتي، وحاولت أن أنسى هناك كل شيء عن "سعدية"، والزائدة الدودية لها . . .

وربما نسيت . . .

أو تناسيت . . . .

المهم أنني قضيت إجازتي، وعدت بعدها إلى عملي في الصعيد، منتعشاً، هادئاً . . .

وما أن صدمني تيار الهواء البارد، حتى استعدت كل شيء . . .

برد الجبال . . .

وكلامها . . .

وليلها الطويل . . .

و"سعدية . . . "

في أول ساعة لوصولي، أردت أن أسأل عن أحوالها، وعما أصاب زائدتها الدودية، ولكنني أحجمت عن هذا، لأنه من الخطر في ريف الصعيد، أن يسأل رجل عن امرأة . . .

أية امرأة . . .

وليومين أو ثلاثة... حاولت نسيانها، عبر الانهماك في العمل

ولعلي أفلحت . . . .

ولكن بعد منتصف ليل اليوم الرابع بدقائق قليلة، سمعت دقاتها الرقيقة، على باب سكني . . . .

وبقفزة واحدة، أصبحت عند الباب . . .

وفتحته . . .

وكانت مفاجأة .

***

٢- منتهى الرقة . .



لم يكن هناك أحد عند الباب . . . .

فاجأني هذا ولاشك، فوقفت أحدق في الفراغ بمنتهى الدهشة، وأتساءل في حيرة، ترى هل سمعت دقاتها الرقيقة على الباب بالفعل، أم أنني تمنيت هذا فحسب؟ . . . !

أمن الممكن أن أكون قد سمعت الدقات لرغبتي فيها؟ . . . !

أمن المعقول هذا؟ . . . !

مددت رأسي أتطلع يميناً ويساراً، بحثاً عنها، ولكن المكان كان خالياً تماماً، فعدت إلى فراشي، وأنا أهمس باسمها دون وعي، وما أن دخلت تحت الغطاء، حتى سمعت دقاتها مرة أخرى . . .

وهذه المرة سمعتها بمنتهى الوضوح . . .

ووثبت نحو الباب . . .

وفتحته بحركة واحدة . . .

ورأيتها . . .

كانت تقف هناك، بسمارها، ورقتها، وعينيها الواسعتين . . . .

وبكل رقتها، غمغمت :

أشعر بألم في بطني .

قلت في حنان :

كلانا يعلم ما يعنيه هذا .

تجاهلت قولي تماماً، وهبطت إلى حيث حجرة الكشف الطبي . . .

وبلا وعي، وجدت نفسي أتابعها في انبهار، وهي تهبط درجات السلم في رقة ونعومة، كما لو أنها ملاك جميل . . . .

ولحقت بها إلى حجرة الكشف . .

ودون أن أنتبه، أعدنا كل ما حدث في المرة السابقة . . .

وعندما نهضت، قلت :

هذه المرة، أنا مصر على ذهابك للمستشفى

سألتني في بساطة :

ولماذا؟ !

أجبتها بسرعة :

تحتاجين إلى إجراء عملية جراحية .

قالت في حدة :

لا... نحن لا نجري عمليات جراحية .

قلت في ضيق :

هل سنكرر الأمر؟ !

اغرورقت عيناها بالدموع مرة أخرى، وغمغمت :

إنك لا تعرف ما ستفعله بي العملية الجراحية .

قلت في حدة :

لا داعي للكلام الفارغ... هذا النوع من العمليات الجراحية البسيطة، لا يمكن . . .

قاطعتني في استمرار، وكأنها لا تسمعني :

ستقتلني .

رأيت عينيها الغارقتين في الدموع، فتجمدت الكلمات على شفتي، ولم أحاول قول أي شيء إضافي، في حين اندفعت هي نحو الباب . . .

واختفت . . .

تماماً كما حدث في المرة السابقة، كما لو أننا نعيد المشهد السابق .

ولهذا لم يدهشني ألا أجدها في الخارج . . . .

فقط عدت إلى فراشي . . .

ونمت . . .

وبمنتهى العمق . . .

كان توافقاً مدهشاً، لم أنتبه إليه، حتى في المرة الثانية . . .

فمنذ بدأت العمل في الصعيد، لم أنم بهذا العمق، إلا في الليالي التي تأتي فيها "سعدية . . . "

ولقد أتت سبع مرات متتالية . . .

وفي كل مرة، كانت الأمور تسير على النسق نفسه . . .

دقات رقيقة . . .

حوار قصير . .

كشف طبي . . .

اقتراح بعملية جراحية . . .

رفض . .

وهروب . . .

واختفاء . . . .

كل مرة بنفس الترتيب . . .

ونفس الأحداث . . .

وربما نفس الحوار . . .

وبين كل مرة وأخرى، تختفي "سعدية" لأسبوع كامل . . .

على الأقل . . .

وفي كل مرة، أشعر بقلق عارم عليها . . .

ولا أنام . . .

ثم تأتي . . .

وأراها . . .

وأنام بعمق

بمنتهى منتهى العمق . . .

وبعد المرة السابعة، اختفت "سعدية" تماماً . . .

مر أسبوع . . .

وثان . .

وثالث . . .

ورابع . . .

ولم تظهر "سعدية" قط . . .

ولم يعد باستطاعتي الاحتمال، أو حتى مراعاة القواعد، لذا فقد استيقظت ذات صباح، وقد قررت أن أسأل عنها، مهما كان سيؤدي إليه هذا . . .



وفي لهفة، هبطت إلى العيادة، وانتهزت أول فرصة، لأسأل عم" شعبان"، تومرجي العيادة :

هل تعرف حلبية اسمها "سعدية"؟ !

بدت عليه علامات التفكير، قبل أن يجيب :

الاسم شائع بينهم، أية "سعدية" منهم تقصد بالضبط؟ !

أجيبه في حذر :

إنها امرأة شابة، في أواخر العشرينات من العمر .

مط شفتيه، مغمغما :

لا يمكنني تذكرها... ولكن ربما تجيبك" فهيمة . "

و"فهيمة" هذه كانت خادمة الوحدة، تتواجد معظم الوقت، وتقوم بكل العمل تقريباً . . . .

ولكنها امرأة . .

وستدرك حتماً حتماً لهفتي . . . .

وهذا خطير . . .

خطير للغاية . . .

لذا كان لابد أن أضع خطة، للسؤال عن" سعدية . . . "

في البداية، بدأت أسألها عن أخريات . . .

ثم أخريات . . .

طرحت عدة أسماء، زارت العيادة من قبل، ثم التقطت نفساً طويلاً، وسألتها :

و"سعدية "كيف... حالها؟ !

التفتت إليّ في دهشة، متسائلة :

أية "سعدية"؟ !

أشحت بوجهي، حتي تعجز عن قراءة انفعالاتي، وأنا أجيب بصوت خرج على الرغم مني مختنقاً :

"سعدية" الحلبية .

لم أسمع جوابها لدقيقة كاملة، فالتفت إليها؛ لأجدها تحدق فيّ بمنتهى الدهشة، على نحو جعلني أسألها :

ألا تعرفينها؟ !

وهنا نفضت رأسها، قائلة :

بل أعرفها، ولكنني أتساءل: كيف عرفتها أنت؟

قلت في توتر :

أعرف أنها تعاني من التهاب في الزائدة الدودية .

هتفت :

وهذا أيضاً تعرفه؟ . . . !

حاولت أن أتظاهر باللامبالاة، وأنا أقول :

أي طبيب بسيط يمكنه معرفة هذا .

سألتني في دهشة :

وهل عرفت من الطبيب؟

أغضبتني عبارتها، ولكنني تجاهلتها تماماً، وأنا أسألها :

المهم.. كيف حالها الآن؟ !

تطلعت إليّ لحظات في شيء من الاستنكار، قبل أن تقول :

لقد أجرت عملية الزائدة الدودية .

هتفت :

حقاً !

أكملت في حزم :

وماتت .

وصعقني الجواب. . .

إلى أقصى حد

***

٤- شبح الجمال



هل يمكنك أن تصدق أمراً كهذا، لو مررت به؟. . . !

مستحيل . . . !

هذا بالضبط ما حدث معي . . .

لم أصدق ما قاله "حارس "قط . . .

صحيح أن الأمور كانت تتفق مع ما قاله، خاصة أن "سعدية" تؤدي دورها نفسه في كل مرة . . .

ولكنها تختفي في النهاية . . .

كل مرة تختفي، بعد أن نصل إلى عبارة واحدة . . .

أن العملية ستقتلها . . .

لقد قضيت ذلك اليوم كله، وأنا أفكر فيما قاله عم "حارس" حتى إنني لم أستطع القيام بواجبي اليومي، فصرفت كل الحالات غير العاجلة، وأحلت العاجلة إلى أقرب وحدة صحية، وأويت إلى فراشي مبكراً . . .

وتحت الغطاء والدفء رحت أستعيد كل ما حدث . . .

أمن الممكن فعلاً أن تكون "سعدية" مجرد شبح؟. . . !

شبح بكل هذا الجمال؟. . !

إنني أسمع دقاتها الرقيقة على بابي، وصوتها الهادئ العذب وهي تصف حالتها . . .

ثم إنني فحصتها بنفسي . . .

لمستها . . .

شعرت بجسدها . . .

بدفئها . . .

وهذا لا يمكن أن يحدث مع شبح . . .

الأشباح لا ملمس لها . . .

لا يمكنني أن أتحسسها . .
لا يمكن أن تكون دافئة . .
ثم بدأ عقلي يستوعب الأمر، من زاوية مختلفة . . .
لماذا تصورت أنني قد فحصتها بالفعل؟ . . . !
لماذا لا يكون هذا مجرد حلم . . .
ثم عم "حارس" يؤكد أنني لم أهبط إلى حجرة الكشف أمس
ولم تكن "سعدية" هناك . . .
ربما كان مجرد حلم إذن . . .
حلم واضح قوي، أحياه بكل مشاعري، حتى يخيل إلي أنه حقيقة واقعة . . .
لقد قرأت شيئاً كهذا . . .
قرأت عن أحلام تبدو أشبه بالواقع . . .
أحلام يشعر خلالها المرء، كما لو أنه يخوض تجربة حقيقية . . .
ربما كان مجرد حلم . . .
ولكن لماذا ظهرت فيه "سعدية"؟ . . . !
كيف علمت بوجودها؟ . . . !
أو بحالتها؟ . . . !
هذا لغز آخر . . .
لغز كبير . . .
ولكن النوم العميق للغاية، الذي يترادف مع الأمر في كل مرة، يرجح فكرة الحلم . . .
ويا له من حلم . . . !
حاولت أن أستعيد التفاصيل، ففوجئت بأن هناك دوماً فجوات، أعجز عن تذكرها . . .
لحظات ضائعة في كل مرة . . . . .
فهي تظهر عند الباب . . .
ثم تصبح داخل حجرة الكشف الطبي . . .
وهذا لا يتفق مع الواقع . . .
بل مع الحلم . . .
في عالم الأحلام فقط، لا تكون هناك أهمية لترتيب الأحداث، أو حتى لمنطقها . . .
نعم على الرغم من غرابته، فهو حلم . . .

حلم زارني فيه شبح" سعدية . . . . "

الفكرة كانت مفزعة، إلا أنها دفعتني للنوم . . .

النوم العميق . . .

النوم العميق الذي استيقظت منه، على صوت دقاتها الرقيقة . . .

وفي لحظة كنت أقف أمامها، وهي تقول عبارتها التقليدية :

أشعر بألم في معدتي . . .

وفي اللحظة التالية، كنا في حجرة الكشف الطبي . . . .

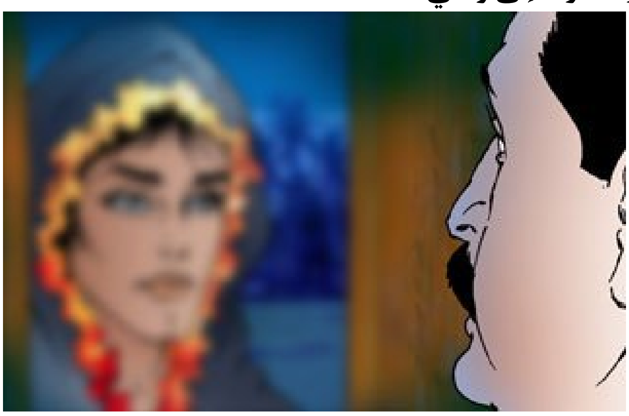
والعجيب أنني لم أكن أشعر بالخوف . .

ولا بأدنى ذرة منه . . .

كنت فقط أشعر بقلبي يهفو إليها . . .

ومرة أخرى فحصتها، وشعرت بلمسها، وجسدها، ودفئها... وكما يحدث دوماً، تطلعت إليها وكدت أخبرها أنها بحاجة إلى عملية جراحية . . .

ولكن فجأة، قفزت فكرة أخرى إلى رأسي . . .



ولوقت طويل نسبياً، تطلعت إلى "سعدية" في صمت، حتى سألتني هي بصوتها الرقيق :

ألن تخبرني ماذا ينبغي أن أفعل؟!

قلت في خفوت :

سنحاول معالجة الالتهاب .

حمل صوتها لهفة كبيرة، وهي تسألني :

ألن يحتاج الأمر إلى عملية جراحية .

كنت أعلم أنها بحاجة إلى هذا، وعلى الرغم من ذلك فقد أجبتها بنفس الخفوت :

كلا... سنستخدم علاجاً طبياً فقط .

رأيت عينيها تتألقان، وهي تقول في شيء من السعادة :

حقاً؟ !

قلت في هدوء عجيب :

نعم يا "سعدية".. لا عمليات جراحية . .

سمعتها تتنهد في ارتياح عام، قبل أن تقول :

لا يمكنك أن تتصور كم أرحتني .

غممت . .

تصورت هذا . .

دارت حول نفسها كراقصة بالية رقيقة، وهي تقول في سعادة جمة :

منذ خمس سنوات أشتاق لسماع هذا .

غمغمت :

منذ قتلتك العملية

لم يبدُ أنها سمعتني، وهي تتابع في سعادة :

كنت أعلم أن هناك علاجا بديلا... العملية الجراحية لم تكن أبداً ضرورية .

غمغمت :

هذا ما يبدو .

دارت حول نفسها دورة أخيرة، ثم وقفت في وسط حجرة الكشف الطبي، وتطلعت إليّ في امتنان شديد، وهي تقول :

كيف يمكنني أن أشكرك؟ !

غمغمت، وأنا أشعر بنعاس شديد، يسيطر على كياني كله :

ابقِي هنا . .

هزت رأسها في رقة، وقالت :

لم يعد باستطاعتي هذا .

ثم مالت نحوي، حتى شعرت بأنفاسها العطرة، وهي تضيف :

لقد حررتني .

العبارة عنت الكثير . . .

والكثير جداً . . .

وتضاعف شعوري بالنعاس . . .

تضاعف ألف مرة، وأنا أتابعها بعينين متثاقلتين، وهي تتجه كفراشة رقيقة نحو الباب، قائلة :

ولا يمكنك أن تتصور كم أرحتني .

وخرجت من الباب . . .

وذابت وسط الظلام، و . . .

واستيقظت في الصباح التالي، بعد نوم عميق . . .

عميق للغاية . . .

وكانت آخر مرة تظهر فيها "سعدية"

وآخر مرة أراها فيها . . .

ولسنوات طويلة، حاولت كتمان هذه القصة بكل أحداثها في أعمق أعماقي . . .

ولسبب ما، رأيت أن الوقت قد حان لأرويها . . .

ربما لأن الوقت قد حان لرؤيتها فحسب . . .

أو بسبب حلم . .

حلم راوداني، ورأيت فيه وجهها الأسمر . . .

وعينيها السوداوين الواسعتين . . .

عيني الحلبية . . .

"سعدية . "

***

تمت بحمدالله

القصة الثانية عشر

النهاية

النهاية

تراخيتُ في ارتياح, على المقعد المجاور للسائق, في تلك السيارة التي استأجرتها خصيصا للقيام بآخر زيارة لي لقطعة الارض الصغيرة التي ورثتها عن عمي في منطقة حلوان

سنوات وانا انتظر هذه اللحظة, منذ وفاة عمي, وقيام اعمامي الآخرون برفع قضية لسلبي حقي من الميراث

سنوات وانا انتظر وحدي

لا.. كان معي الفقر

كنت فقيرا, استدين اتعاب المحامي الشره, الذي يتابع القضية منذ ثلاث سنوات, واحيا انا على اقل القليل من القوت والمتع, انتظارا لحكم المحكمة

وحكمت المحكمة اخيرا

واصبحت امتلك قطعة الارض رسميا

واليوم لم اعد امتلكها

لقد بعتها بمبلغ ضخم, لانها تطل على النيل, في منطقة سكنية رائعة, وها انذا احمل ثمنها في حقيبتي, لابدأ حياة اللهو والسعادة

وفجأة لمحت المرصد

مرصد حلوان, حيث يعمل ابن خالتي وهبة, خريج كلية العلوم

وصحت بالسائق: توقف هنا.. عند المرصد

استجاب السائق لي في بساطة, فقفزت خارج السيارة وانا امسك حقيبة النقود في احكام, وطلبت من السائق ان ينتظرني, واسرعت الى ابن خالتي, وانا اتساءل عن سر شوقي الشديد لرؤيته, في هذه اللحظة بالذات

ربما كنت احب ان اطلعه على الامر, ليعلم انني لم اعد فقيرا

او انه زهو الفوز فحسب

ولقد استقبلني وهبة هذه المرة بابتسامة باهتة, وبقلق ملحوظ وهو يجلس امام ذلك المرصد الهائل, على نحو جعلني اهتف مستنكرا: هل تحب ان انصرف؟

هتف ببرود: لا صدقني.. لم اقصد ذلك.. لقد كنت مشغولا فحسب

سألته ساخراً: لماذا اهي نهاية الكون؟

شحب وجهه, وهو يحدق في وجهي ذاهلا, قبل ان يغمم في شحوب: كيف عرفت؟

القيت جسدي على المقعد المواجه له, وحدقت في وجهه بدوري, قبل ان اسأله ببلاهة: ماذا عرفت

مال نحوي, مغمما في توتر عظيم: انها نهاية الكون

***

ظللت احدق في وجهه ذاهلا, وقد فقدت القدرة على النطق, في حين اعتدل هو واطلق من اعمق اعماق صدره زفرة هائلة, قبل ان يقول: يالك من مسكين يا ابن خالتي العزيز.. ألا تعلم ان هذا الكون كله كان في البداية كتلة واحدة, قبل ان يحدث ما نطلق عليه اسم الانفجار الكبير؟

هززت رأسي نفيا بنفس البلاهة, فاستطرد في اشفاق العالم على الجهلاء: لقد حدث هذا منذ بلايين السنين, ومن يومها والكون كله يتمدد, ويتسع ويتباعد بأثر الانفجار, ومن ذرات الانفجار تتكون المجرات والنجوم والمجموعات الشمسية والكواكب, والكون يزداد تمددا وتباعدا بلا توقف

وزفر مرة اخرى, قبل ان يستطرد: حتى حدث ما كنا نخشاه جميعا

حاولت ان اسأله عما يعنيه, ولكن شفتي لم تنفرجا, ولم يخرج من بينهما لفظ واحد, فيما تابع هو: لقد كشفنا من رصدنا لمواقع المجرات البعيدة منذ شهر كامل, ان هذه الظاهرة قد توقفت.. اتعلم ما يعنيه هذا؟

هززت رأسي نفيا, فأضاف: يعني ان التمدد قد انتهى, وحانت لحظة رد الفعل

نطق الجملة الاخيرة في صوت رهيب, جعلني اردد في خوف مبهم: رد الفعل

مال نحوي ولوح بكفيه في انفعال, وهو يقول: نعم.. رد الفعل.. سيبدأ الكون مرحلة التقلص.. كل المجرات سيرتطم بعضها ببعض, كل النجوم ستنفجر, وكل الكواكب ستنسحق وتتحول بما عليها ومن عليها الى غبار.. سينها الكون كله دفعة واحدة.. انه يوم القيامة ولا شك

اتسعت عيناي في رعب هائل

يوم القيامة

الآن..؟؟

يالي من سيء الحظ

احيا عمري كله في فقر مدقع, وعندما تأتيني الاموال, يأتي معها يوم القيامة

ياللهول ..

لن استمتع ابدا بالثراء ..

لن انعم برغد العيش ابدا ..

***

ولكن مهلا ..

لقد رصدوا هذه الظاهرة منذ شهر, وربما كانت هناك ايام باقية

سأنفق نقودي عن آخرها في هذه الايام الباقية, قبل ان تحين الساعة

سأحيا في رغد ولو اسبوعا واحدا

وفي اهتمام بالغ سألته: ومتى يا وهبة؟.. متى سيحدث هذا؟؟

تراجع في انفعال, واطلق من اعماق صدره زفرة اخرى, قبل ان يجيب في يأس: لن يتأخر هذا كثيرا للأسف

تهاوى الامل في اعماقي, ثم لم يلبث ان استحال فجأة الى غضب عارم, عندما أضاف في مرارة: بليوني عام على الأكثر

وبعدها تسألني ياحضرة الضابط, لماذا لكمته على انفه؟؟؟

***

تمت بحمد الله تعالى

د. نبيل فاروق انه عبقرى

لا شك فى ذلك

أقرأ معنا

فى هذا العمل المتميز

العديد من الدراسات والمقالات

العلمية الجادة.

والعديد من القصص

الممتعة .



فى كل عمل أقرأه لهذا العبقرى

اعتقد انه قد وصل إلى

ذروة ابداعه

ومع كل عمل جديد.....

اعلم انه ينبوع لا ينضب.

اليك نهدى هذا العمل

نور الدين محمود

مصطفى احمد